كلية الآداب

جامعة الفيوم
Fayoum University

مجلة كلية
الآداب جامعة الفيوم

Scanned by CamScanner

مجلة كلية الآداب. جامعة الفيوم

دورية علمية نصف سنوية محكمة

رقم الإيداع 2014/18953

الترقيم الدولي ISSN 2357-0709

العدد الحادي عشر

يناير 2015م – المجلد الأول

مجلس إدارة المجلة

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة (عميد الكلية)	رئيساً لمجلس الإدارة
أ.د/ مجدي أحمد توفيق (وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا)	رئيساً للتحرير
أ.د/ محمد الخزامى عزيز (الأستاذ بقسم الجغرافيا)	عضواً
أ.د/ إبراهيم محمد صقر (الأستاذ بقسم الفلسفة)	عضواً
أ.د/ حامد أمين شعبان (الأستاذ بقسم اللغة العربية)	عضواً
أ.د/ عادل عبد العزيز (الأستاذ بقسم التاريخ)	عضواً
أ.د/ إيمان محمد صبري (الأستاذ بقسم علم النفس)	عضواً

هيئة التحرير

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة	رئيساً لمجلس الإدارة
أ.د/ مجدي أحمد توفيق	رئيساً للتحرير
د/ سيد أحمد محمد الوكيل	مديراً للتحرير
د/ محمد عيد سعيد	محرراً للنص العربي
د/ على عبد التواب	محرراً للنص الإنجليزي
أ/ أحمد شمبولية	سكرتيراً للتحرير

الهيئة الاستشارية

الاسم	الرتبة الأكاديمية
أد. إبراهيم محمد صقر	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ أحمد محمد عبد الخالق	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أد/ أحمد محمد بقوش	أستاذ بقسم اللغة الفارسية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ سامية محمد جابر	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة الإسكندرية
أ.د/ سيد جاب الله السيد	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة طنطا
أ.د/شعبان جاب الله رضوان	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أ.د/ توفيق محمد عبد المنعم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة البحرين
أ.د/ بدر سليمان الأنصاري	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الكويت
أ.د/ عزة أحمد صيام	أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة بنها
أ.د/ معتز سيد عبد الله.	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة
أد/ عبد الحميد حمودة	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. يمني احمد رضوان	أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ مجدي أحمد توفيق	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ عادل كمال خضر	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة بنها
أ.د/ هناء أحمد شويخ	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الفيوم
أد/ عبد الرحمن الشرنوبي	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد الخزامي عزيز	أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. صبري عبد الله شندي	أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم
أد. محمد محمد عناني	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة القاهرة
أد. مصطفى رياض	أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة عين شمس
أد. محمد دياب	أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم
أ.د/ محمد حسن غانم	أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة حلوان

قواعد النشر:

1- مجلة كلية الآداب بجامعة الفيوم دورية علمية محكمة تعني بنشر الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي تتميز بالأصالة والجدية وتساهم في التقدم المعرفي للعلوم الإنسانية وتقبل النشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية واللغات الأخرى شريطة ألا يكون البحث منشورًا من قبل.

2- تقدم البحوث التي يراد نشرها بالمجلة مكتوبة على برنامج ميكروسوفت ورد بخط Simplified Arabic نوع الصفحة B5 والهوامش 3سم في الأربعة جوانب ببنط 14 للمتن والهوامش بنط 12 والعناوين الجانبية بنط 16. والمسافة بين الأسطر 1.15سم.

3- في حالة رغبة الباحث نشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية ملونة يلتزم دفع تكاليفها.

4- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًا ممهورًا بتوقيعه بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.

5- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية تشمل أهم مؤلفاته وأعماله.

6- الأبحاث التي ترد للمجلة ليست لها أغراض دينية أو سياسية وإنما أبحاث علمية في مجال العلوم الإنسانية بمختلف فروعها. وكل ما يرد من أبحاث تعبر عن وجهة نظر الباحث وتحت مسؤوليته.

7- يشترط عمل ملخص للبحث باللغة العربية والإنجليزية.

8- يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعه أن ترتب أرقام التوثيق بطريقةٍ مُتسلسلة حتى نهاية الفصل، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

9- تقدم ثلاث نسخ من البحث إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير مع سي ي CD بالبريد المسجل أو تسلم بيد الباحث.

10- أصول البحوث التي ترد إلى الدورية لا ترد ولا تسترجع سواء قبلت للنشر أو لم تُقبل.

11- يحصل صاحب البحث على 10 مستلات من بحثه بالإضافة إلى نسخة من العدد بعد طبعه.

تُرسل البحوث بريدياً على العنوان التالي:

جمهورية مصر العربية، الفيوم، كلية الآداب – جامعة الفيوم، رمز بريدي: 63514

ت: 0846379326 فاكس:0846379325

البريد الالكتروني:

mat03@fayoum.edu.eg

sae11@ fayoum.edu.eg

البِنْيَاتُ المتَوَازِيَة في قَصِيْدَةِ " الآدَابِ والسُّنَّةِ " لِعَبْدِ المَلِكِ الجزِيرِيِّ الأَنْدَلُسِيّ

إعداد

الدكتور محمد دياب محمد غزاوي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥

البْنَيَاتُ المتَوَازِيَةُ فِي قَصِيْدَةِ " الآدَابِ والسُّنَّةِ " لِعَبْدِ المِلِكِ الجزِيرِيّ الأَنْدَلُسِيّ

إعداد

الدكتور محمد دياب محمد غزاوي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب – جامعة الفيوم

المقدمة

التوازي parallelism من المفاهيم القديمة التي ما فتئ القدماء يحتفون بها عبر كتاباتهم البلاغية، ويحتفلون بها في أبحاثهم الأدبية والنقدية، بيد أن ابتكاره في الدراسات اللسانية الحديثة يرجع إلى الشكلاني الروسي **رومان ياكبسون R. Jakobson**(١)؛ حيث استنفد جزءا كبيرا من دراساته، وجانبا كبيرا من حياته وانشغالاته، ومن ثمة وضع مبادئه، وشقق أنواعه، وأبرز أنماطه، وحدَّد أنساقه، وجعله المميز للدراسات الأدبية شعرا ونثرا، بل عدَّه المبدأ المؤسس للغة الشعرية، وإحدى الركائز الجوهرية في دراسة النص وتحليل الخطاب Discourse Analysis.

ويعد التوازي مقوما رئيسا من مقومات الشعر، ومن الظواهر الجوهرية التي لها حضور فاعل في لغته؛ حيث يثري النص إيقاعيا، ويغنيه دلاليا، حتى غدا – بتعبير **ياكبسون** – يحتل المنزلة الأولى بالنسبة للفن الأدبي(٢)، بل إنه – حسب **هوبكنسْ** Hopkins– الجزء المصنوع من الشعر (٣)،

(١) وفي ذلك يقول ياكبسون: لا أعتقد أنه قد استهوتني مسألة خلال حياتي العلمية بقدر ما استهوتني مسألة التوازي . قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٨، ص١٠٤.

(٢) نفسه، ص ١٠٣، وينظر: محمد كنوني، التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد، ع١٨، ١٩٩٩، المغرب، ص ٧٨.

(٣) نفسه، ص ٤٥، ٨٣، ١٠٥.

ولعل هذا ما حدا **بمحمد مفتاح** إلى القول بأن الشعر العربي هو شعر التوازي[١]. كما أن التوازي كما يقول **محمد العمري** مبدأ أساسي في الشعر عند الاتجاهات الثلاثة:(الشعرية اللسانية، والشعرية اللسانية البلاغية، والشعرية السميائية البلاغية) برغم اختلاف العبارة [٢].

هذا بالإضافة إلى أن التوازي مظهر من المظاهر الأساسية في اتساق Cohesion النص وانسجام Coherence الخطاب؛ وذلك بوصفه خاصية بنيوية ونصية؛ حيث إنه إحدى البنى[٣] الرئيسة التي تسهم في مقاربة النص وتحليل الخطاب؛ إذ إنه يحقق سمة الارتباط العضوي والتضامّ الخطيّ، إضافة إلى التناسق بين أجزاء النص من خلال استمرارية البنية الشكلية له.

والتوازي ليس خاصا باللغة الشعرية؛ إذ إن" ثمة أنماطا من النثر الأدبي تتشكل وفق المبدأ المنسجم للتوازي، ولكنَّ هناك فارقا تراتبيا هرميا بين تواز في الشعر وآخر في النثر؛ ففي الشعر يكون

---

(١) محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ١٩٩٤، ص١٤٩. وفي هذا الإطار نؤكد أن محمد مفتاح يعد من أكثر الباحثين العرب الذين اهتموا بهذه الظاهرة وعنوا بها عبر أكثر من كتاب. وينظر له أيضا: التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ١٩٩٦، ص٩٧ تحت مصطلح **التشاكل**. والمفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١ ١٩٩٩، ص١٩١.

(٢) محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب،١٩٩٠، ص٢١.

(٣) مصطلح **البنية** structure كما يراه صلاح فضل أهم مصطلح لغوي حديث ... وتطلق على النظام الذي يشرح قابلية الكل لأن يتكون من أجزاء متضامَّة، وأحيانا أخرى يطلقونه على النظام الذي تنتظم فيه عناصر ذات طبيعة محددة . كما أنه ذو طابع تجريدي، فهو أكثر علمية وأشد قابلية للالتقاط على مستويات عديدة، تتدرج من الأبنية الصغرى إلى الكبرى حتى تصل إلى النص كله باعتباره بنية،، ثم تجاوز ذلك لتتسع لاعتبار هذه البنية مغلقة أو مفتوحة على غيرها من الأبنية في النظم الأخرى. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الأعلى للعلوم والآداب والفنون، الكويت، ١٩٩٦، ص ١٢٢. وينظر له أيضا: نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص١١٤. بينما يرى يوري لوتمان أن مفهوم البنية يعني قبل كل شيء توفر الوحدة العضوية، وقد لاحظ كلود ليفي شتراوس أن البنية ذات طابع عضوي؛ لأن علاقة العناصر المكونة لها تقتضي أن يكون تغيير أي عنصر مفضيا بذاته إلى تغيير بقية العناصر. يوري لوتمان، تحليل النص الشعري؛ مهاد نقدي، ترجمة: محمد أحمد فتوح، النادي الأدبي الثقافي، السعودية ،ط١، ١٩٩٩، ص٣٧.

الوزن بالضبط هو الذي يفرض بنية التوازي، وتحدد البنية العروضية عمومًا والوحدة الموسيقية وتكرار البيت ومكوناته الوزنية، تحدد جميعها التوزيع المتوازي لعناصر النحو والدلالة اللفظية ... وعلى العكس من ذلك، نجد في النثر أن الوحدات الدلالية والمعنوية هي التي تنظم بالأساس البنيات المتوازية(١).

مادة الدراسة

ينهض هذا البحث بدراسة قصيدة " **الآداب والسنة** " للشاعر الأندلسي **عبد الملك الجزيري**(٢)، وتعد هذه القصيدة من أجمل شعره، كما أنها – بحق – من عيون الشعر الأندلسي،

---

(١) ينظر: رومان ياكبسون، أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب، ترجمة: فالح صدام، وعبد الجبار محمد علي، مراجعة: مرتضى باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٩٠، ص ١٠٨ . ١٠٩، وينظر: قضايا الشعرية، ص ١٠٨.

بيد أن هذا على خلاف ما أكده بعضهم بقوله: " لقد نظر دارسو الشعر إلى التوازي على أن وروده علامة على وجود الملمح الشعري، وغيابه دال على حضور الملمح النثري ". ينظر: george Buchanangray.the forms of Hebrew poetry.hodder and syoughton .r.r . clark limited . edinburg . p40

(٣) يجمع المؤرخون على أنه أبو مروان عبد الملك بن إدريس الخولاني الأزدي، وينتسب إلى الجزيرة الخضراء algeciras، مدينة بالأندلس، فيقال **الجزيري**، وفي ذلك يقول ابن الأثير في اللباب: هذه النسبة إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس ينسب إليها الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس المعروف بابن الجزيري "، وكان سريع البديهة، وندبما من ندماء الدولة العامرية، ووزيرا من وزرائها، أديبا، شاعرا، وله رسائل نثرية وأشعار كثيرة.

ويبدو من تأمُّل حياة الجزيري أنه قد اعتقل ثلاث مرات؛ فقد سجن في مطبق الزاهرة، ثم عفي عنه، ثم سجن في طرطوشة في إحدى القلاع، ثم عفي عنه، وفيها مكث ثلاث سنوات وأشهر، وهي هذه المرة التي قال فيها هذه القصيدة، والثالثة: في عهد المظفر ابن المنصور وذلك بسعي من عيسى الوزير، وقد قتل في هذا السجن على يد قوم من السودان. وقد عاصر من الخلفاء كلا من: عبد الرحمن الناصر ت٣٥٠ هـ، الحكم المستنصر ت ٣٦٦ هـ، هشام المؤيد ت هـ ٤٠٣، ومن الحجَّاب كلا من: المنصور ٣٩٢ هـ، المظفر ٣٩٩ هـ. ينظر في ترجمته: ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، د.ت، ١/ ٢٧٨ . الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس، تحقيق: محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨، ص١٧٧. الحميدي (أبو عبد الله محمد بن نصر الأزدي)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨، ص٢٨٠. المقري، نفح الطيب من غصن

بل لا نبعد إذا قلنا إنها من فرائد الشعر العربي والعالمي؛ نظرا لما تحويه من صدق العاطفة، وما تشتمل عليه من معانٍ رائعةٍ ومضامينَ راقية تحثُّ على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، ناهيك عما تتضمنه من تِقنياتٍ فنيةٍ وآلياتٍ أسلوبيةٍ ترقى بها إلى المرتبة العالية والمنزلة السامقة، وربما كان كل هذا قد حدا **بالحميدي** أن يقول عنها في جذوة المقتبس: " **ولا أعلم لأحد مثلها في معناها** "[١].

ولعل أهم ما يميز هذه القصيدة وصف **الجزيري** علاقته بزوجته وأولاده إبان معتقله، وما قاساه فيه من مرارة الأيام، وغصص الحدثان، وحوادث الدهر، وصروف الزمان.

ومن ثم فقد كان من أسباب اهتمام الأندلسيين بهذه القصيدة رغم النهاية المأساوية لقائلها — كما يقول **هلال ناجي** — بلاغة ناظمها، ورفعة المعاني، وجِلاد الحكم والوصايا، وصدق الشعور، والعاطفة التي تضمنتها [٢].

وقد اخترنا دراسة تقنية التوازي في هذه القصيدة؛ وذلك لأنها تشكل معلما مهما وظاهرة إبداعية رئيسة عبر ثناياها ومنحنياتها، حيث استطاع الشاعر توظيف هذه التقنية بكل أنساقها، وكافة أنماطها، وجل بنياتها.

الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١/ ٢٨٢-٢٨٦، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢، ص٤١٨، ابن بشكوال، الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٦٥، ابن الأبّار، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٣، ٢/ ٢٢٥، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٤، ١/ ٢٠٤، ابن بسَّام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٧، ق٤، مج١/ ٣٥، ٦٩.

(١) جذوة المقتبس، ص٢٨٠

(٢) عبد الملك الجزيري، قصيدة الآداب والسنة، تحقيق: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤، ص٣٥. وسنحيل لاحقا إلى هذه النشرة كل أبيات القصيدة .

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى ثلة من الأهداف، ومنها:

- محاولة الوصول إلى مفهوم حديث مائز للتوازي عبر ركام المصطلحات القديمة والمسميات التراثية.
- البحث عن تجليات التوازي عبر منحنيات القصيدة وخلاياها.
- محاولة استكشاف البنى المتوازية في النص من خلال استقراء مستوياته، واستنباط أنساقه، وتحليل بنياته المتعددة، وأنماطه المتباينة؛ بغية الوصول إلى محاولة استنطاقه، وما به من جماليات أسلوبية وظواهر فنية، ومن ثم سبر أغواره، وكشف أسراره، وفك شفراته، وتأويل interpretation تيماته.
- استكشاف العلاقة بين أنساق التوازي من جهة والبنيات الدلالية من جهة أخرى، ومعرفة ما بينهما من وشائج القربى وصلات الرحم.

الدراسات السابقة

لم نعثر على أية دراسة نهضت بتحليل هذي القصيدة الرائعة، أو نهدت بمقاربتها وتأويلها- على الرغم من أهميتها الموضوعية وقيمتها الفنية، إضافة إلى مكانتها في سياقها الثقافي ونسقها الاجتماعي - وكل ما وجدناه إنما هو شذرات متفرقة، ونظرات عجلى تتحدث عن مكانتها وموضوعاتها دونما التطرق إلى ما عدا ذلك من تقنيات أسلوبية وفنيات إبدعية [١]. وربما من أجل ذلكم تجد هذي الدراسة منطلقا للدرس ومشروعية للبحث.

---

(١)للباحث ياسر سلامة أبو طعمة كتاب مهم عن شاعرنا وقد عنونه بـ "**خاتم بلغاء كتاب الأندلس: الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك الجزيري؛ حياته وشعره وسجنه**"، دار الجنان للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٥، ص١٤٨. بيد أن كل ما فعله المؤلف في هذا الكتاب هو تحدثه عن حياة الشاعر وظروف سجنه واعتقاله، إضافة إلى أنه لم يتعرض لقصيدتنا إلا من الوجهة الموضوعية فقط بعد أن شرحها لغويا، ثم أوضح ما وافقت فيه القرآن والسنة.

خطة الدراسة

تشتمل الدراسة على أربعة مباحث، يسبقها مقدمة وتمهيد، ويعقبها خاتمة وثبت بأهم المراجع، وذلك على النحو التالي:

- **مقدمة**: وقد تحدث فيها الباحث عن أهمية الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.
- **تمهيد**: وقد تناول فيه الباحث مصطلح التوازي نشأة وتطورا
- **المبحث الأول**: التوازي الصَّوتي
- **المبحث الثاني**: التوازي الصَّرفي
- **المبحث الثالث**: التوازي النَّحوي
- **المبحث الرابع**: التوازي الدِّلالي
- **الخاتمة**: وفيها خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة
- **المصادر والمراجع**: وفيها ثبت بأهم المصادر والمراجع

وختاما، فإن التوازي أحد العلامات البارزة والصُّوى الكامنة في هذي القصيدة؛ إذ كان مقوما مهما من مقوماتها، وخاصية رئيسة من خصائصها؛ حيث أمكن من خلاله بَوْتَقَةُ معظم الإمكانات الفنية التي تكتنفها، وإبراز ما لها من خَلْقٍ رائع وإبداع متميز؛ وذلك أن التوازي يمكن أن يحوي في رحمه معظم، إن لم يكن كل، العناصر الفنية والبنيات الأسلوبية، بما فيها من تراكيب، وأساليب، وإيقاع، ومجازات، واستعارات، وكنايات، ومن ثمة فهو يستوعب جلّ الآليات التي من شأنها تحليل الخطاب ومقاربة النص. هذا، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب

د/ محمد دياب غزاوي

وثمة دراسة أخرى عنيت فقط بدراسة نثر الجزيري، ينظر: الأستاذ فواز أمحمد بن لخضر، **سمات نثر الشاعر أبي مروان الجزيري الأندلسي**، الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ، الجزائر، العدد السادس، ماي ، ٢٠٠٧، ص٦٤- ٨٣. .

التمهيد

التوازي: المصطلح والمفهوم

التوازي لغةً

لمادة **وزي** في المعاجم العربية معانٍ متعددةٌ ودلالاتٌ متنوعةٌ متباينةٌ، يهمنا منها: **المقابلة والمواجهة**، جاء في **لسان العرب**: قال **أبو البَخْتَرِيّ**: فَوازَيْنا العَدوَّ، وصافَفْناهُم؛ والموازاةُ: المقابلة والمواجَهةُ، قال: والأصل فيه الهمزة، يقال آزَيْته، إذا حاذَيْتَه [١]، وهو اقتراب البعض من البعض.

التوازي اصطلاحاً

تعددت تعريفات التوازي عند الباحثين، وتنوعت لدى النقاد والدارسين؛ وإن كانت في جلها تسير في إطار متقارب وبوتقة متكاملة ينتظمها عِقد واحد.

ويعد التوازي مفهوما ألسنيا بلاغيا " يتعلق ببنية العبارة ودلالتها والخصوصية الأساسية له، إنه تناظرٌ بين جمل العبارة يقوم على استعادة مخطط إسنادي واحد، اسمي أو فعلي" [٢].

ويقوم مفهوم التوازي في الخطاب الأدبي من منظور لسانيات النص على التقطيع المتساوي لأقسام الخطاب من خلال تجزئة جمله إلى مقاطع متساوية بغض النظر عن توافقها أو اختلافها المعنوي على أن تكون هذه الأبنية المتوازية متتالية في البناء النصي دون فاصل نحوي بينها (٣).

وفي هذا الإطار يعرف **جيمس فوكس** Fox, james التوازي بأنه " تماثل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات أو العبارات القائمة على الازدواج الفني، وترتبط ببعضها، وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية ..." [١].

---

(١) لسان العرب، مادة وزي

(٢) عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٨٩، ص٢٧٨

(٣) رجب عبد الجواد، الجمل المتوازية عند طه حسين؛ دراسة في أحلام شهر زاد، مجلة علوم اللغة، مجلد ٣، عدد٤، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٣١

ويرى **لوتمان** lutman أن التوازي " مركب ثنائي التكوين لا يعرف أحد طرفيه إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر بدوره يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه"(٢).

بينما يعرفه **أوسترليتز** Austerlits بأنه كل شطرتين في البيت يمكن اعتبارهما متوازيتين، إذا كانتا متطابقتين، فيما عدا جزءا واحدا، يشغل في كل منهما نفس الموقع تقريبا (٣).

كما أن التوازي عند كل من **مولينو** Molino **وتامين** tamina . j بمثابة متواليين متعاقبين أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية ودلالية، وبوجه عام يعد التوازي تشابها يقوم على تكرار بنيوي في بيت شعري أو مجموعة شعرية(٤).

بينما يعرفه **محمد مفتاح** بأنه " تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة " (٥).

في حين يراه **محمد كنوني** أنه " عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها، وقد فُسِّرَ ذلك بأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما البنية نفسها، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم إمَّا على أساس المشابهة، أو على أساس التضاد " (٦).

ومن ثمة فإن التوازي يتأتَّى عبر الاتِّساق الذي يحسُّه الإنسان في تلكم السيمترية لعناقيد الأصوات، وهذي الانتظامية للحزم الصوتية، وذلكم التكرار المتناسق للمقاطع، بالإضافة إلى

---

(1) Fox, james: the Compartive study of Parallism p.p 60.61

وينظر أيضا: عبد الواحد الشيخ، البديع والتوازي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٩،ص٧، ٢٤٠.

(٢) تحليل الخطاب الشعري، ١٧٨

(٣) نفسه، ص١٧٧

(4) Molino Tamine, Introdicthon p.209. التشابه والاختلاف، نحو منهاجية شمولية، ص ٩٧.

(٥) تحليل النص الشعري، ص٢٥.

(٦) ينظر: التوازي ولغة الشعر، ص٧٩.

التَّعادُل في البُنَى الصرفية، والتماثل الموقعي للتراكيب النحوية، أي أن التوازي ينبع من التشابه في البنية، والتقارب في التركيب، والتشاكل في الدلالة، أو التضاد في المعنى.

إن التوازي إذن ظاهرة إيقاعية تركيبية دلالية معجمية يمكن للشاعر أن يوظفها في بناء نصِّه الشِّعري، بوصفها مستوى أساسيا من مستويات إبداع النص، ومن ثم مقاربته بصورة تسمح بفك شفرته، وكشف أسراره، وتحليل بنياته، وتفكيك جزئياته.

وبالنظر إلى تقنية التوازي وآليتها يتبين لنا أن **التكرار** يمثل ركيزة أساسية في بنيته، ومعلما رئيسا في آلية عمله، وطريقة نسقه، ولعل هذا ما دعا **السِّجِلْمَاسِيُّ** إلى عدَّ **الموازنة** من أنواع **التكرار**، وهي ليست من التوازي ببعيدة " [١]، بيد أن التوازي –كما يقول **سعد مصلوح**– ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبنى" [٢].

وفي هذا الإطار يؤكد **يوري لوتمان** أن" التوازي يمكن النظر إليه كضرب من التكرار، وإن يكن تكرارا غير كامل [٣]؛ حيث إن التوازي يتضمن نوعا من التشابه، مما يعني" أن التوازي ليس علاقة تطابق كامل، ولا تباين مطلق، ومن ثم فإن هذا الطرف الآخر يحظى من الملامح العامة بما يميزه الإدراك من الطرف الأول، ولأنهما – في نهاية الأمر – طرفا معادلة وليسا متطابقين تماما [٤]. ومن أجل ذلك فإن التوازي يفترق عن التكرار، ويتمايز عنه بوصفه بنية أشمل، ونسقا أعم من مجرد التطابق التام والتماثل المطلق.

---

(١) السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ١٩٨٠، ص٤٧٧. والموازنة كما يعرفها السجلماسي هي: تصيير أجزاء القول متناسبة الوضع، متقاسمة النظم، معتدلة الوزن، متوخى في كل جزء منهما أن يكون بزنة الآخر دون أن تكون مقاطعهما واحدة. ويعرفها عبد العزيز عتيق بأنها: تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية . ينظر: عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، القاهرة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ص ٢٣٩.

(٢) سعد مصلوح، نحو آجرومية، للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، ضمن كتاب في اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة ، ٢٠٠٤، ص٢٤٥.

(٣) تحليل النص الشعري، ص١٧٧، وينظر: قضايا الشعرية، ص ١٠٣، ١٠٦.

(٤) نفسه، ص١٨٧.

نشأة التوازي

إن التوازي مصطلح هندسي" يدل على الخطوط المستقيمة التي لا تلتقي، وهو خطان لا يلتقيان، والمسافة الفاصلة بين الخطين المتوازيين واحدة، نحو خطي سكة الحديد، أو درجات السلم" [١]. لكنه لم يلبث أن انتقل كما انتقل غيره إلى مجال الأدب عامة والشعر بخاصة.

وتكاد تجمع الدراسات على أن " أول من اقترح التوازي وسيلة للتحليل هو الراهب **روبرت لوث** Robert lowth الذي حلل الآيات التوراتية في سفر **أشعيا**، وذلك في ضوء ثلاثة مظاهر من التوازي هي: **التوازي الترادفي، والتوازي الطباقي، والتوازي التوليفي**" [٢]. ومنطلق **لوث** في تحديد التوازي هو أنه" عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من نفس السلسلة اللغوية. وقد فسر **بلير** blair ذلك بأن هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما نفس البنية، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم إما على أساس المشابهة أو على أساس التضاد" [٣].

بيد أن بلورة هذا المفهوم —كما قلنا – إنما يعود إلى **رومان ياكبسون** الذي اعتمد على دراسات **روبرت لوث**، واتكأ أيضا على آراء **هوبكنس** الذي يرى أن "كل زخرف يتلخص في مبدأ التوازي، كما أن بنية الشعر هي بنية التوازي المستمر"[٤].

---

(١) عبد الرحمن تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة العربية الحديثة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣ ص ٢٥٢.

(٢)وقد أرجع الباحثون نشأة التوازي إلى ملاحظة ذلك النوع من الإنشاد خاصة للعهد القديم؛ حيث كان الازدواج أو التقابل يسيطران على العبارة والجملة، فقد كانت البنية التكوينية للجملة الشعرية تقوم على أساس التساوي فيما بينها، أو التوازي بين عناصر كل جملة تامة، وربما تتعدى ذلك أحيانا إلى وجوده في سطرين متتاليين، يربط بينهما المعنى فتتوازى أو تتشابه وتتعادل المعاني غالبا مع المعاني، وأيضا الكلمات مع الكلمات في نسق متلائم، كما لو كانت محكومة بقاعدة معروفة. ينظر البديع والتوازي، ص١١.

(٣) التوازي ولغة الشعر، ص٦.

(٤)ينظر: قضايا الشعرية، ص٤٧ ، ١٠٦، التوازي ولغة الشعر، ص٩، موسى ربابعة، في قراءة النص الشعري، ص١٢٧.

التوازي عند البلاغيين والنقاد العرب

ما برح النقاد القدامى والبلاغيون العرب بين الفينة والأخرى يذكرون التوازي بكل تجلياته المتنوعة وتمظهراته المختلفة، وإن ورد لديهم بمصطلحات متباينة ومسميات متعددة، تناثرت عبر كتبهم البلاغية، وتشرذمت في أبحاثهم النقدية، ومن ذلك: الترصيع، والتصريع، والتطريز، والتشطير، والتوشيح، والتشاكل، والترتيب، والتجزئة،، والتصدير، والتكرار، والتكافؤ، والتلاؤم، والترديد، والعكس والتبديل، والمقابلة، والمطابقة، والمناسبة، والمماثلة، والموازنة، والمؤاخاة، والاشتقاق، واستواء الأجزاء، وتشابه الأطراف، والمزاوجة بين المعنيين، والنظم[١]. مما يعني أن البلاغة العربية القديمة قد" احتفت بهندسة البيت الشعري احتفاءً كبيرا، وراعت أن تكون عناصر البيت الشعري التركيبية والصوتية متساوية إلى حد بعيد، فهناك تماثلات وتقابلات تعمق هندسة البيت الشعري، وربما تمتد هذه العناصر لتشمل أكثر من بيت أو تتوسع دائرتها لتشمل مقطعا أو مقاطع من القصيدة"[٢].

وفي هذا الإطار فقد ذكر **قدامة بن جعفر** (ت٣٣٧هـ) **التوازي** بقوله: وأحسنُ البلاغةِ: الترصيعُ، والسَّجعُ، واتّساقُ البناء، واعتدالُ الوزنِ، واشتقاقُ لفظٍ من لفظ ... **والتوازي**، وإردافُ اللَّواحق، وتمثيل المعاني [٣]. كما اعتمد **قدامة** أيضا على المفهوم اللغوي للتوازي أي: **المواجهة والمقابلة**، وذلك إبَّان حديثه عن تصحيح المقابلة، يقول: فيؤتَى في الموافقة بالموافقة، وفي المضادة بالمضادة، كقوله:" أهل الرّأي والنُّصحُ، لا يُساوِيهم ذوو الأَفْنِ والغشّ، وليس مَنْ جمعَ إلى الكفاية الأمانة، كمن جمع إلى العجز الخيانة، وإذا تُؤمّلت هذه المقابلاتُ وُجِدَت في غاية المعادلة؛ لأنّه

(١)وقد ذكر محمد العمري أكثر من خمسة وعشرين مصطلحا قديما للتوازي في كتابه: الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسات الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، أفريقيا الشرق، لبنان، ٢٠٠١، ص٣٨

(٢) موسى ربابعة، ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء، مجلة الدراسات للعلوم الإنسانية، مج ٢٢، العدد ٥، ١٩٩٩، ص ٢٠٣١

(٣)قدامة بن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩، ص ٣

جَعل بإزاءِ الرَّأي الأَفْن، وبإزاءِ النُّصح الغشّ، وفي مقابلة الكفاية العجز، وفي مقابلة الأمانة الخيانة"[١].

أما **أبو هلال العسكري** (ت٣٩٥هـ) فقد استعمل **التوازي** بمعناه اللغوي، أي: **المواجهة والمقابلة**، قال في أثناء حديثه عن المقابلة تعليقا على أبيات: ... جعل بإزاء الحرب، إن لم يصبروا، وبإزاء النعمة، إن لم يشبتوا، فقابل على وجه المخالفة [٢].

في حين يرى **شهاب الدين النويري** (ت ٧٣٣هـ) أن **التوازي** قسم من أقسام **السجع** [٣]: والسجع أربعة أنواع وهي: الترصيع، والمتوازي، والمطرف، والمتوازن." والتوازي عنده أن يراعى الوزن في الكلمتين الأخيرتين من القرينتين مع اتفاق الحرف الأخير منهما "[٤].

ومن كل ما سبق يتضح لنا أن النقاد القدامى والبلاغيين العرب قد عرفوا التوازي؛ حيث أوردوه في كتبهم بفصِّه ونصِّه، وتناولوه عبر ثنايا أبحاثهم باسمه ورسمه، وربما هذا ينفي ما ذهب إليه **موسى ربابعة** بقوله:"لم تذكر كتب النقد والبلاغة العربية القديمة مفهوم التوازي بنصِّه وحرفه" [٥].

ومع اعترافنا بوجود مصطلح **التوازي** لدى القدماء فإنه — في الوقت ذاته – لا يعادل ما تواضع عليه المحدثون، وما تواطأ عليه اللسانيون والشكلانيون في الدراسات الحديثة؛ إذ القدماء لم يضعوه بوصفه مصطلحا قائما بذاته، وإنما أوردوه عبر ثنايا المحسنات البديعية اللفظية، ومن ثم فلم تكن له حمولاته المعنوية ومفهوماته الدلالية التي نعرفها الآن؛ وذلك لأن تلكم الجهود البلاغية العربية

---

(١)نفسه، ص٥

(٢)أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص ٣٧٣

(٣) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣ هـ)، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة،، ١٠٤/٧ ـ ١٠٥.

(٤)نهاية الأرب في فنون الأدب، ٧/ ١٠٤.

(٥)ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء، ص ٢٠٢٩.

القديمة رغم ما وصلت إليه في مفهوم التوازي فإنها تشير إلى محدودية المستويات التي وصلت إليها مفاهيم الموازنة والتوازن بسبب اقتصارهم على البعد الصوتي؛ إذ إنه " مهما تُوسِّعَ في مفهوم الموازنة والتوازن عند البلاغيين العرب فإنه لا يعدو التعادل والتقابل بين الأنساق الزمنية القائمة على الكم المجرد (الوزن العروضي)، أو الكم المشخص المتجلي في الأنساق الترصيعية القائمة على التقابل بين أنواع الحركات والمد، ولم يشمل جانب التماثل الجرسي التجنيسي إلا في نطاق ضيق، أي باعتباره حلية للترصيع والسجع" [١].

وفي ذلك يرى **ياكبسون** أن مبحث **التوازي** لا يعدو عمل القدماء فيه ملاحظات واعدة سرعان ما نسيت؛ إذ لم تتح لها فرصة التطوير[٢]. وبذلك يمكن القول بأن **التوازي** بديل لساني حل محل المفاهيم التي تختزل كل أشكال التوازن والتناظر البلاغية [٣].

تقسيمات التوازي وأنماطه وأنساقه المختلفة

تتعدد تقسيمات **التوازي**، وتتنوع أنماطه، وذلك وفقا لطبيعة المادة المدروسة من ناحية، ووجهة نظر الدارس لها من ناحية أخرى، إضافة إلى بنيته الشكلية الخطية أو دلالته العميقة من جهة ثالثة.

ولعل أول تصنيف للتوازي هو تصنيف روبرت لوث الذي قسَّمه إلى ثلاثة أقسام وهي:[٤]

الازدواج/ التوازي الترادفي synonymous pairs

الازدواج/ التوازي التضادي antithetic pairs

الازدواج/ التوازي التركيبي أو البنائي syntatic or constructive pairs

أما ياكبسون فقد جعل التوازي في أربعة مستويات:

أولها: مستوى تنظيم البنى التركيبية وترتيبها.

---

(١) الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسات الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، ص١٨.

(٢) نفسه، ٣٥.

(٣)التوازي ولغة الشعر، ص٧٩ ، وينظر أيضا: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ص٢٥.

(٤) البديع والتوازي، ص٢٢، وينظر أيضا: التوازي ولغة الشعر، ص٧٩

ثانيها: مستوى تنظيم الأشكال والمقولات النحوية وترتيبها.

ثالثها: مستوى تنظيم وترتيب الترادفات المعجمية وتطابقات المعجم التامة.

رابعها: مستوى تنظيم وترتيب تأليفات الأصوات والهياكل التطريزية [١].

كما ينقسم التوازي أيضا إلى أفقي ورأسي:

- **التوازي الأفقي:** ويكون بالتوازي عبر البيت الواحد، سواء في شطر منه أو في شطريه.
- **التوازي الرأسي/ العمودي:** ويكون بالتوازي النحوي عبر المقطوعة أو القصيدة، سواء في شطورها، أو في أبيات منها.

ومن التقسيمات الأخرى أيضا تقسيمه حسب التوالي من عدمه:

- **التوازي المتوالي (المتصل):** وهو ما توالت فيه التراكيب المتوازية.
- **التوازي المتقطع (المنفصل):**وهو ما تباعدت فيه التراكيب المتوازية.

ومن التقسيمات أيضا تقسيم التوازي حسب المشابهة أو المغايرة بين البني:

- **التوازي المتطابق:** وهو ما تطابقت فيه البنى النحوية وتعادلت الصيغ المورفولوجية.
- **التوازي المتغاير:** وهو ما اختلفت بنيته النحوية وتغايرت صيغه الصرفية؛ زيادة أو نقصانا وتحويلا أو تحويرا.

وأخيرا يمكن أن ينظر إلى التوازي من حيث بنيتُهُ العميقة بوصفه يعتمد على المستويات الأربعة التالية:

- **التوازي الصوتي:** ويقصد به ذلك التوازي الذي يعتمد على خصائص الصوت بكل تجلياته.
- **التوازي الصرفي:** وهو الذي يعتمد على وجود صيغ صرفية اشتقاقية معينة؛ أفقيا ورأسيا.
- **التوازي النحوي:** ويقصد به التوازي التركيبي البنائي عبر القصيدة رأسيا وأفقيا.

---

(١) ينظر: قضايا الشعرية، ص١٠٦

- **التوازي الدلالي**: ويقصد به ذلكم التوازي الذي يتكئ على الدلالة أكثر من اعتماده على التركيب والبنية، كتوازي الترديد، والمطابقة، والترادف، والمناسبة ... إلخ.

ولا شك أن هذا التقسيم يحوي في رحمه، ويندرج في إطاره كافة الأشكال والتصنيفات المتوازية السابقة؛ ومن ثم ستأخذ به الدراسة؛ لاكتماله وشموليته، ولاعتماده – في الأساس – على أنظمة اللغة واتكائه على أنساقها المتباينة.

المبحث الأول

التوازي الصوتي phonatic parallelism

تسعى **الأسلوبية الصوتية** Stylistique **phonetic** إلى دراسة الجانب الصوتي في النص الأدبي بكل تمظهراته، حيث تهتم بتحليل بنية التكرار بكافة أشكاله وجميع صوره، ومن ذلك التوازي الصوتي الذي يعد من أبرز تجلياتها، وأوضح أنساقها.

ويتكئ **التَّوازي الصَّوتيُّ** على دراسة كمِّ الأصوات المتشابهة، أو الفونيمات المتقاربة في المخارج والصفات، ومدى كثافتها، وكيفية توزيعها، ومواقع ترددها في فضاء النص الشعري، سواء على المستوى الأفقي (البيت)، أو المستوى الرأسي (المقطوعة أو القصيدة)، ومن ثمة فإنه يُعْنى بدراسة "أثر الصوت في تشكيل النصوص الشعرية من خلال المخارج والصفات والتكرار في القصيدة أو المقطوعة"[١]، ودراسة تأثير ذلك على البنية الإيقاعية والتنغيم الموسيقي، إضافة إلى علاقة ذلك بالمعنى العام والدلالة الكلية، وذلك على أساس أن كل عمل أدبي فني هو قبل كل شيء "سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى ... والشعر بالأساس تنظيم لنسق من أصوات اللغة "[٢]، ولهذا " فإن التنظيم الفونولوجي للنص لا يخلو من مغزى مباشر وذي دلالة "[٣]؛ وذلك لأن تكرار صوت ما لا يعد اختيارا اعتباطيا صُدْفَوِيًّا، ولا يتأتَّى للمبدع عفْويًّا، بقدر ما هو مقصود

---

(١) ينظر: سامح الرواشدة، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، مج١٦، ع٢، ١٩٩٨، ص١٠

وتجدر الإشارة في الدراسة الصوتية إلى تفضيل **المنهج الفونولوجي** phonology الذي يعنى بدراسة أثر الصوت اللغوي على **المنهج الفوناتيكي**phonetics الذي لا يهتم بأثر الصوت اللغوي من الناحية العملية. للمزيد ينظر : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٦١، ص٥

(٢)رينيه ويليك وأوستين وارين، نظرية الأدب، ترجمة ومراجعة: حسام الخطيب، المجلس الأعلى للفنون، القاهرة، د .ت، ص٢٠٥

(٣) تحليل النص الشعري، ص ١٣٤

لأداء معنى بعينه ومتعمد لجلب دلالة بذاتها، وفي هذا يؤكد **ميشيل فوكو** على" أهمية صوتيات الكلمات في تحديد المعنى داخل الخطابات "[١].

ولعل هذا من منطلق أن القصيدة تتشكل من العلاقة بين الصوت والمعنى[٢]؛ إذ إن موسيقى الشعر لا تنفصل عن المعنى؛ فالنسق الصوتي مرتكز أساس لا يمكن تجاهله أو التغافل عنه؛ "لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال إقصاء إيقاع المفردة الشعرية عن محتواها الدلالي" [٣].

ولا يقتصر التوازي الصوتي – من وجهة نظرنا – على دراسة بنية الأصوات، ومدى ترددها، وكيفية توزيعها وتشكيلها فحسب، وإنما ينضوي تحته، ويدخل في إطاره أيضا دراسة كافة التمظهرات الصوتية والأشكال الفونولوجية التي من شأنها أن تحدث نوعا من التوازي الإيقاعي والتوازن الموسيقي، **كالتصريع، والترصيع، والتجنيس** ... وغير ذلك من **المؤثرات الصوتية** sound effects **كالنبر** stress **والتنغيم** intonation إضافة إلى كل من **الوزن** meter **والقافية** reim بما يكتنفانه من قدرة فاعلة على تشكيل البنيات المتوازية واحتضان التجربة الإبداعية.

وفيما يلي دراسة أنساق التَّوازي الصَّوتي في قصيدة الآداب والسُّنَّة للجزيري:

أولا: دراسة البنية الصوتية

ونعني بدراسة **البنية الصوتية** تحليل الصوت ومقاربته سواء على مستوى الكلمة الواحدة، أو البيت الشعري، أو على المستوى الكلي للنص، أي دراسته على المستويين الأفقي والرأسي، ومدى علاقته بالمعنى العام وارتباطه الوثيق بالدلالة الكلية.

---

(١) ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة مجموعة من المترجمين بإشراف مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠، ص٢٣٦

(٢) ينظر: قضايا الشعرية، ص ٤٤، وينظر أيضا: محمد النويهي، قضية الشعر الجديد، مكتبة الخانجي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٧١، ص٢٠

(٣) محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، حساسية الانبثاقة الشعرية الأولى (جيل الرواد والستينات)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص٣٤.

ويمكن تحليل ذلك من خلال رصد" الظواهر الصوتية المتنوعة المتمثلة في النبر والتنغيم والجهر والهمس والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق وأنظمة الوقف ... والتي تحدث أثرا في النص على مستوى المعنى والدلالة الإيقاعية وتسهم في تشكيله"(١).

ويقوم **التوازي الصوتي** في النص على انتقاءٍ لأصوات معينة، وتكرارٍ لفونيمات محددة بصورة لافتة، شريطة أن تبدو في شكل متواليات صوتية على نطاق محدد ووفق نظام خاص ونسق معين.

ومما لا شك فيه أن تكرر الأصوات وفق طريقة معينة يحقق تجانسا إيقاعيا، يعمل على جذب انتباه المتلقي، وإثارة ذهن المستقبل عن طريق نغمة متكررة في حنايا النص ودروبه، مما يعد مفتاحا رئيسا للدخول إلى عالم القصيدة، والولوج إلى حرمها.

بيد أن المهم هنا ليس مجرد التكرار المحض للأصوات أو الانتقاء العشوائي للمقاطع، بل يجب أن يسير كل ذلك وفق آلية محددة في هندسة صوتية محكمة متقنة، ولذا فلابد " أن نلحظ تكرار مواقعها، كأن تكون في بداية الكلام أو البيت الشعري، أو أن تكون في العناصر المتصرفة أو المنبورة، أو تكون متمثلة في تكرار مجموعات صوتية كل منهما بالنسبة إلى الأخرى"(٢).

وفي هذا الشأن يجب أن نؤكد أن التكرار الصوتي لا يأتي اعتباطا، ولا يرد عفويا، بقدر ما يكون منسجما مع الحالة النفسية للشاعر والتجربة الإبداعية، مما يحدث جرسا موسيقيا متناغما عبر البيت أو القصيدة، إضافة إلى ما يحمله من معنى، وما يحويه من دلالة.

غير أنه يجب ألا يكون تكرار الحرف مبالغا في وروده، متكلفا في إيراده، حتى لا يكون عسير النطق، يلفظه اللسان، وتمجه الآذان، ولهذا يتحتم ضرورة التوزيع المتكافئ للحروف داخل البيت الشعري، مما يشي بهندسة شعرية تؤدي إلى فاعلية البنية الصوتية دلاليا لدى كل من الشاعر

(١) من الصوت إلى النص، ص ٢٤.

(٢) تحليل النص الشعري، ص ١٣٤. وللتفصيل ينظر: الدكتور قاسم البريسم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، الآفاق النظرية وواقعية التطبيق، دار الكنوز الأدبية، ط١، ٢٠٠٠، ص ٤٣.

والمتلقي على حد سواء، ومن ثم تكتسب هذه الدلالة أهميتها من تفاعلها مع سياق البيت وإيحاء القصيد.

المماثلة الصوتية honophine في القصيدة على المستوى الأفقي

ويقصد **بالمماثلة الصوتية** هيمنة صوت ما أو أصوات عدة على أجواء النص، أي تكرار لفونيمات معينة مُكوِّنة مجموعة من **العناقيد الصوتية** من الصوائت أو الصوامت.

ولا يخفى ما لظاهرة تكرار الأصوات من تأثير سحري في النص، مما يعني أن بعض الأصوات ذات قوة تعبيرية قوية وإيحاء معنوي مؤثر، بحيث تألفه العين، وتأنس به الأذن، ويتذوقه اللسان.

وقد ظهر **التوازي الصوتي** في هذي القصيدة في أجلى صوره، وأوضح معالمه، وذلك من خلال ثلة من المماثلات الصوتية التي انتشرت في النص من أوله إلى آخره، إضافة إلى العناقيد الإيقاعية و**الحزم الصوتية** formants التي مثلت ظاهرة أسلوبية ترددت أفقيا، وتناثرت رأسيا.

ومن الحروف التي انتشرت بصورة مكثفة عبر منحنيات النص ودهاليزه والتي كان لها حضور فاعل كل من **حرف الراء والحاء والميم واللام والشين والعين والسين... على ما سيأتي ذكره:**

حرف الراء

فبالإضافة إلى أن حرف الراء يمثل إيقاعا إطاريا من خلال كونه حرف الروي، فإنه قد انتشر أيضا بشكل مكثف من خلال تردده داخل القصيدة ودروبها عبر أبياتها وشطورها، إضافة إلى مدى وروده مرققا أو مفخما، بما يتناسب مع الجو النفسي للقصيدة، ويلائم العاطفة المسيطرة عليها.

وصوت الراء صوت لثوي، مجهور، متوسط، لا شديد ولا رخو، إضافة إلى" قيمته الصوتية الناتجة من التكرار المصاحب له، كما أنه حرف يموج بالحركة والحيوية، ويعد من الحروف التي تتميز

بوضوحها في السمع وعلو جرسها "[١]. وهو كما تؤكد الدراسات الحديثة من أكثر الأصوات الساكنة وضوحا في السمع وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين [٢].

وصوت الراء من الناحية الفيزيقية ينطق مرات متتالية سريعة لارتعاد الناطق المتحرك، ويدعوه البعض صوتا تكراريا أو مرددا [٣]، ولذلك فهو يعد من أعلى الأصوات التي تمتاز بشدة الرنين، ولهذا يسمى صوتا رنينيا.

كما أن صوت الراء –كما يقول **حسن عباس** – أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد، واستقراء المعجم العربي يوضح شيئا من ذلك انطلاقا من خاصية التَّمفصُل هذه في صوت الراء، وفي مفاصل الجسد، قد أدخل العربي هذا الحرف معظم الأعضاء التي تتصل بغيرها بمفاصل غضروفية، منها: الرأس، الرقبة، المرفق، الركبة، الرسغ، الورك، الخصر، الصدر، الشعر، البصر ... وإذن فحاجة اللغة العربية إلى حرف الراء لا تقل عن حاجة الجسد للمفاصل، باعتباره مقوما من مقومات المرونة والحيوية والقدرة الحركية[٤].

ومن أمثلة تكراره بكثرة على المستوى الأفقي قول الجزيري:

وَتَرَقرَقَت عَبراتُه فَشَغَلنَهُ عَن شُغلِهِ بِسَنا الوُجوهِ الحُسَّرِ

وقوله:

وَأراهُ عرفانُ النَوى مِن حُسنِها مَرأى مِنَ الموتِ الزُؤامِ الأَحمَرِ

---

(١) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، ط٢، ١٩٦٢، ص ٦٠ . وله أيضا: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٥٢، ص٢٦٠

(٢) ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧، ص ٨٦

(٣) ويتراوح عدد مرات التكرار للصوت الواحد بين مرتين وسبع مرات، ويختلف العدد من لغة إلى أخرى. ينظر: محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، ص ٣٨، ٩٥.

(٤)حسن عباس، خصائص حروف اللغة العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ١٩٩٨،ص ٨٣.

وقوله:

فِارضَ القَناعَةَ رُتبَةً تسعَد بِها وَاِحرِص عَلى إيثار دينِكَ تُؤثرِ

وقوله:

وَارغَب بِنَفسِكَ أَن تُعاشِرَ غَيرَ مَن كَرُمت مَذاهِبُ نَفسِهِ في المِعشَرِ

ولعل الخصائص الفيزيائية السابقة لهذا الصوت لها علاقة وثيقة بالمعنى وارتباط واضح بالدلالة المسيطرة على القصيدة، ولذلك يمكن القول بأن الشاعر قد استثمر جميع الطاقات الكامنة الدلالية لصوت الراء الذي مثَّل المفتاح الصوتي لهذه الأبيات والقصيدة ككل؛ حيث كان له الحضور اللافت والمهيمن؛ **فالجزيري** يريد أن يسمع **المنصور** شكواه حتى يمن عليه بإطلاقه من معتقله وإخراجه من محبسه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن **الجزيري** يروم أيضا إسماع أولاده وصاياه، وإبلاغهم نصائحه التي تناثرت عبر أبيات القصيدة، ومن ثم فقد نحا إلى هذا الصوت الذي يتميز بقوة الإسماع، وجهارة الإيقاع، إضافة إلى ما يمتلكه من إيماءات قوية وإيحاءات مؤثرة تكشف عن حالات نفسية عميقة ودلالات روحية غائرة، ولهذا فقد جاء تكراره مثلا مع تردد البكاء، وترقرق الدموع كما في البيت الأول، ورؤية الفراق والموت الأحمر في الثاني، والرضا برتبة القناعة والحرص على إيثار الشرع في الثالث، والرغبة في معاشرة أهل الكرم في الرابع.

حرف الشين، ومن أمثلته في القصيدة قول الجزيري:

أَشكو إِلى الرَحمنِ فرقَةَ شَملِنا حِقباً ثَلاثاً قَد وُصِلنَ بِأَشهُرِ

وقوله:

يا لَيتَ شِعري هَل لِشعبِ وصالِنا مِن شاعِبٍ وَلِيَومِهِ مِن مُبشِرِ

وقوله:

وَإِذا شَكَوتُ إِلَيهِ شَكوى راحَةٍ ذَكَّرتُهُ فَشَكا إِليَّ بِأَكثَرِ

وقوله:

قَد شابَ هَمّاً في اِقتِبالِ شَبابِهِ إِن كنتُ شِبتُ مَعَ الشَبابِ المدبِرِ

وقوله:

وَإذا عَراكَ الخَيرُ فَاشكُر وَانشُر وَإذا عَراكَ الشَرُّ فَاصبِر وَابشِرِ

وحرف الشين بطبيعته يدل على التفشي والتشظي، وقد اتضح ذلك من خلال المعاني التي تكتنفها والدلالات التي تحويها الأبيات السابقة من قبيل: الشكوى، وفرقة الشمل، وتشرذم الاجتماع، وانتهاء الشباب، واشتعال الشيب.

ولعل التوازي الصوتي لهذا الحرف قد ظهر جليا في البيتين الأخيرين في هذه المراوحة عبر الشطرين؛ إذ ورد مرتين في كل شطر من خلال المزاوجة بين الشباب والشيب من ناحية، والخير والشر من ناحية أخرى.

حرف الحاء، ومن أمثلته قول الجزيري:

يَلتاحُ مِن تِلقاءِ أُفقِكَ لي سَناً وَأريحُ مِن ذِكراكَ ريحَ العَنبَرِ

وقوله:

أَربى عَلَيَّ فَحَظُّهُ مِمّا بنا حَظُّ المِعَلّى مِن قِداحِ المِيسِرِ

وقوله:

وَالعالمُ المِدعُوُّ حَبراً إِنَّما سَمّاهُ بِاسمِ الحَبرِ حَملُ المحبَرِ

وحرف الحاء بطبيعته حرف حلقي، مهموس ... وكأن الشاعر من خلال القصيدة ومن هذي الأبيات يروم التنفيس عن همومه، والتطهُّر من أثقاله من خلال استعماله لصوت الحاء العميق المخرج، الذي يتجاوب مع الحالة النفسية الضاغطة التي يعانيها، إضافة إلى كونه يفصح عن كوامن الحزن الداخلي التي يحسها تجاه أبنائه عندما يتذكرهم، ويهفو إليهم، وهو ناءٍ عنهم في محبسه.

إن هذا الصوت المبحوح إنما يتناسب وهذا الشجو المتغلغل عبر أبيات القصيدة، ويتلاءم مع تلكم الوظيفة التأثيرية التي تكتنف النص، وتحوي معانيه الشاجية ودلالاته الآسية لأب تتقطع نياط قلبه، وتتمزق أحشاء فؤاده على فلذات أكباده ونسمات روحه.

حرف السين، ومن أمثلته قول الجزيري موصيا:

فَاِسلُك سَبيلَ المقتنينَ لَهُ تَسُد إِنَّ السِيادَةَ تُقتَنى بِالدَفتَرِ

وقوله:

لا يَستَفِزّكَ مَنظَرٌ حَسَنٌ بَدا حَتّى تُقابِلَهُ بِحُسنِ المِخبَرِ

وحرف السين من الحروف المهموسة التي تتميز بصفة الصفير ... وقد تكرر هذا الحرف عبر البيتين سبع مرات، وهي كثيرة بلا شك، غير أن علاقتها بالدلالة وثيقة؛ **فالجزيري** يوصي أبناءه بمجموعةٍ من النصائح وبعضٍ من الوصايا، ومنها هاتان الوصيتان، ومن ثمة يستخدم السين بوصفه حرفا مهموسا؛ فسبيل السيادة لا يُرام بالصوت العالي، ولا يؤخذ بجهارة الصخب بقدر ما يحتاج إلى العمل الصامت والتأني الشديد في مذاكرة العلم ومدارسة المعرفة، إضافة إلى تأكيده على عدم الاهتمام بحسن المظهر فقط، وإنما يجب أن يقابل ذلك حسن الباطن وجمال المخبر.

حرف العين، ومن أمثلته قول الجزيري موصيا:

وَاِعلَم بِأَنَّ العِلمَ أَرفَعُ رُتبَةٍ وَأَجَلُّ مُكتَسبٍ وَأَسنى مَفخَرِ

وقوله:

سِيّانِ عِندي عِلمُ مَن لَم يَستَفِد عَمَلاً بِهِ وَصَلاةُ مَن لَم يَطهُرِ

وحرف العين حرف احتكاكي، مرقق، حلقي، وهو من الأصوات المجهورة التي تتسم الظهور، كما أنه يأتي للتعبير عن الجهد المتكرر الدؤوب، وقد اتضح ذلك في القصيدة كلها التي تتكئ على النصائح وتعتمد على المواعظ، كما ظهر ذلك أيضا في هذين البيتين؛ فغني عن البيان أن العلم والعمل كليهما يحتاج إلى نضح للجبين وعمل متواصل أمين.

ومن خلال استقراء أصوات القصيدة عبر أبياتها أفقيا ورأسيا لاحظنا أنه أحيانا ما يتكرر أكثر من صوت بحيث يبدو لهم حضور مهيمن، مما يعني وجود عدة أصوات تمثل مفاتيح للبيت... والطريف أن حرف الراء يكاد يكون ثابتا في كثرة تردده مع أي حرف آخر، ولعل هذا التكرار الثنائي والترداد المزدوج ذو أثر موسيقي فاعل وأهمية دلالية لا تنكر؛ نتيجة لهذا لتعاقب الإيقاعي، وذلكم التأثير المعنوي.

ومن ذلك قول الجزيري:

وَجَنَيتُ صَبراً بَعدَها مرَّ الجنى وَمَزَجتُ سمّاً دِرَّة العَيشِ المري (**الراء والجيم**)

وقوله:

مِن غَيرِ أَن يُحصوا حَقيقَةَ كُنهِه أَو يُدرِكوا حَدّ الرواء المبصَرِ (**الراء والحاء**)

وقوله:

أَوسِعهُما برّاً وَلا تَنهَرهُما وَامنَحهُما قَولاً كَريماً وَاشكُرِ (**الراء والميم**)

ومن هنا فإن ترداد حرف بعينه وتكرار فونيم بذاته إنما يخدم الغرض العام للأبيات والدلالة المهيمنة على القصيدة؛ حيث إن تواتر صوت ما يعد مفتاحا مهما وعلامة بارزة في التأثير في الشعر، كما أنه يعمل على مزيد من التوازي في البنية الصوتية، إضافة إلى حمولاته المكثفة من التنغيمات الإيقاعية والتماثلات الموسيقية.

ولعل هذا يؤكد أن" تأثير الجرس الموسيقي لألفاظ الشعر في المتلقي يرتبط بالطبيعة الصوتية لحروف اللغة العربية، وطريقة تأليفها في إيقاع داخلي يناسب الحالة الشعورية للشاعر، فالصوت المجرد أو المنعزل لا يعبر عن شيء في نفسه، وإنما يكتسب خاصيته الإيقاعية بارتباطه بالكلمة داخل البنية الشعرية، وبذلك تتغير قيمته الصوتية بتغير موقعه من كلمة إلى أخرى "[١].

بيد أننا يجب أن نتنبه إلى أن الكثرة الكمية ليست دائما مقياسا لأهمية صوت دون غيره؛ إذ يمكن أن يرد صوت ما بقلة، وتكون له – في الوقت ذاته – دلالة مهمة ومعنى مائز، خصوصا إذا جاء في كلمة أساسية أو موقع متميز، ولعل هذا ما عناه **ياكبسون** بقوله:" ومهما كانت فعالية التشديد على التكرار في الشعر، فإن النسيج الصوتي بعيد أن يحصر في تأليفات عددية لا غير،

(١) وهاب داودي، البنيات المتوازنة في شعر مصطفى محمد الغماري (التوازي والتكرار)، مجلة المخبر، العدد العاشر، ٢٠١٤، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ص٣٠٥.

ويمكن لفونيم لا يظهر إلا مرة واحدة، لكن في كلمة رئيسية وفي موقع مميز في خلفية متباينة أن يتخذ بروزا دالا [١].

ومن ذلك قول **الجزيري** ناصحا وواعظا أولاده:

وَتَوَلَّ أَصحابَ النَبِيِّ وَآلِهِ وَأَذِعْ مَحاسِنَهُم جَميعاً وَانشُرِ

فقد ورد حرف العين مرتين فقط، لكن دلالته تبدو مهمة، وقد اتضح ذلك من خلال المفردتين اللتين ورد فيهما، وهما (**أذع – جميعا**)، إن الشاعر ينصح أولاده بثلة من النصائح، ومن ذلك أن يتولوا أصحاب **الرسول**، صلى الله عليه وسلم، **ويذيعوا** محاسنهم، ويشيعوا شيمهم، وينشروا خلالهم **جميعها**.

وبعد مقاربة البنية الصوتية ودراسة تردد الأصوات عبر القصيدة أفقيا يمكن القول بأن التنظيم الفونولوجي لا يخلو من مغزى، ولا يَعْرَى من دلالة؛ فالصوت والمعنى مترابطان، ومن ثم فإن " تحليل الصوت بمعزل عن المعنى افتراض خاطئ؛ وذلك لأن كل عمل أدبي – قبل كل شيء – سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى"[٢].

وهكذا " فالإيقاع الصوتي يتوافق مع الحالة الشعورية كما يتوافق مع الأبعاد الدلالية في إطار السياق الكلي للنص [٣]. ولذلك فلم يبعد **ياكبسون** حينما قال: " إن القصيدة بحسب **فاليري** هي ذلك التردد الممتد بين الصوت والمعنى"[٤].

---

(١) قضايا الشعرية، ص ٥٣

(٢) نظرية الأدب، ص١٦٥. وقد نشر ياكبسون كتابا له تحت عنوان " ست محاضرات حول الصوت والمعنى " (six lectures on sound and meaning " هارفستر للطباعة، ط١، ١٩٧٨. ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٧، ص ١٢١.

(٣) مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، سلسلة كتابات نقدية (٥٠)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٤.

(٤) قضايا الشعرية، ص٤٤.

وبذلك يبدو أن المواءمة بين البنية الإيقاعية والوظيفة الدلالية أمر بالغ الخطورة في مقاربة النص الأدبي عموما وتحليل الشعر خصوصا؛ إذ إنه " المنطقة التي تتحول فيها العلاقة بين الصوت والمعنى من علاقة خفية إلى علاقة جلية بطريقة ملموسة وأكثر قوة "[١].

أصوات القصيدة بين الجهر والهمس على المستوى الرأسي

وتعرف **الأصوات المهموسة** voicles بأنها تلك الأصوات التي لا تهتز فيها الأحبال الصوتية. أما **المجهورة** consonant فهي الأصوات التي تهتز مع نطقها الأوتار الصوتية؛ نتيجة اقتراب بعضها من بعض.

وتحليل أصوات القصيدة من حيث الجهر والهمس أمر بالغ الأهمية؛ لما لهما من تأثير بارز في المعنى العام والدلالة الكلية، وفي هذا الإطار قام الباحث بتحليلٍ لبعض أصوات القصيدة (**خمسون بيتا**، أي ما يعادل **٢٥%** من أبيات القصيدة تقريبا)، توزعت على النحو التالي: ١-٢٠ ،١٢١- ١٤٠، ٢١٠-٢١٩، بحيث تبدو هذه الأبيات الخمسون ممثلة لكل القصيدة من بدايتها ووسطها ونهايتها، حتى يمكن أن تنسحب النتائج على القصيدة بأكملها، كما قام الباحث أيضا – إمعانا في نتائج أعم وأفضل – بتحليل كلمات القافية في القصيدة، مع مقارنة النتائج وتحليل الإحصاءات.

وقد توصلت عملية التحليل في الأبيات الخمسين إلى النتائج التالية:

أولا: المهموس

الأبيات	المهموس العدد	المهموس النسبة	المجهور العدد	المجهور النسبة
البداية (١- ٢٠)	٢٣١	٢٨,٦٢	٥٧٦	٧١,٣٨
الوسط (١٢١-	٢٧١	٣٣,٥٠	٥٣٨	٦٦,٥٠

(١)ينظر: حسن البنا عز الدين، الشعرية والثقافة، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٣، ص٣٦.

(١٤٠				
الخاتمة (٢١٠- ٢١٩)	١٢٥	٣٢,٨١	٢٥٦	٦٧,١٩
المجموع	٦٢٧	٣١,٤٠	١٣٧٠	٦٨,٦٠

أي أن النسبة الإجمالية للجهر والهمس هي كالتالي:

الحروف	العدد	النسبة
الجهر	٦٢٧	٣١,٤٠
الهمس	١٣٧٠	٦٨,٦٠
المجموع	١٩٩٧	١٠٠

بداية يجب أن نؤكد أن كثرة الأصوات المجهورة عن نظيرتها المهموسة أمر طبيعي وشيء بدهي يتعلق بفيزيائية الأصوات في اللغة العربية التي تحتم ضرورة الإسماع وجهارة الإيقاع من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن عدد الأصوات المجهورة أكثر عددا من المهموسة (١٥ / ١٣)، إضافة إلى أن كل الصوائت مجهورة.

ومن خلال النتائج السابقة يتبين لنا أن الجزء الأول من القصيدة (بدايتها) أكثر جهارة قياسا بوسطها، خصوصا إذا ما وضعنا في الاعتبار الدلالة؛ إذ إن وسط القصيدة يمثل جانب النصائح المليئة بالشجن والأسى والمواعظ المفعمة بالمرارة والشجى، ولذا فقد كثر الهمس، ثم لا يلبث الجهر في التناقص التدريجي، وإن كان بدرجة أقل منه في نهاية القصيدة، غير أن نسبة الهمس تبقى أكثر من بدايتها، وربما يرجع ذلك إلى حشرجة صوته، وحسرة نفسه، وكثرة حزنه، في الوقت الذي تبدو فيه نسبة الجهر في نهايتها أكثر من وسطها؛ لأن الأمر يتعلق بختامها ومقطعها؛ إذ **الجزيري** هنا

يريد – قدر الإمكان – إسماع **الحاجب المنصور**، ومن ثمة يرفع عقيرته، ويُعلي من صوته، علَّ قلبه يرق، وفؤاده يدق، فيشفق عليه، ويخرجه من سجنه، ويطلقه من معتقله، وقد كان له ما أراد، ولنفسه ما رامت.

ثم قام الباحث بعد ذلك بتحليل أصوات كلمات القافية في القصيدة، وقد توصل إلى النتيجة التالية:

الحروف	العدد	النسبة
الهمس	٧٤٤	٢٨,٨٠
الجهر	٤٠١	٧١,٢٠
المجموع	١٠٤٥	١٠٠

وبمقارنة هذه النتيجة بسابقتها يتبين لنا زيادة نسبة الجهر، وهي نتيجة بدهية وحوصلة طبيعية؛ ولعل السر في ذلك ربما يرجع إلى عدة عوامل: منها أن حرف الراء يحتل موقعا متميزا فيها بوصفه حرف الروي الذي بنيت عليه القصيدة، وهو –كما نعلم – من الحروف المجهورة، إضافة إلى أن القافية بطبيعتها تميل إلى الجهر؛ لأنها آخر ما يقرع الذهن؛ ويقرُّ في الذاكرة، لكن هذه النتيجة – بالرغم من كل ذلك – تبدو لدينا كاشفة بطريقة أو بأخرى على مدى استعمال صفات الحروف.

وإذا كانت الأصوات المهموسة تنتج بجهد مضاعف عن المجهورة كما يقول علماء اللغة، فإن ذلك قد يكون له علاقة وثيقة بالحالة النفسية المأزومة التي يمر بها الشاعر، إضافة إلى المضامين الفكرية والعواطف الشجية التي تجسدها القصيدة، وتصورها الأبيات.

وهكذا وجدنا أن تكرار الأصوات المهموسة والمجهورة يعد ملائما للغرض ومناسبا للدلالة، وكأن البنية الصوتية في القصيدة تتردد ما بين البنية السطحية المتمثلة في التجاوب الصوتي والتناوب الخطي وبين البنية العميقة المتمثلة في فاعلية الدلالة وجدوى المعنى.

بنية التَّشديد " التضعيف"

لا غرو في أن المبدع لا يأتي بأية ظاهرة من الظواهر الفنية إلا وله في ذهنه غرض، ولا يردد أسلوبا ما إلا وله في نفسه غاية وهدف، ومن ذلك **بنية التَّضعيف** التي كانت ظاهرة أسلوبية صوتية مائزة لهذه القصيدة؛ حيث كان لها تردد طاغ وحضور مكثف لافت على المستويين الأفقي والرأسي، أي على كافة مستويات القصيدة ومنحنياتها من بدايتها إلى نهايتها.

ويمكن دراسة هذه الظاهرة من خلال عدد الأبيات التي ورد فيها التشديد ودلالتها على المعنى العام الذي يتوخاه الشاعر، ويتغياه المبدع، وتفرضه التجربة، وتمليه الدلالة.

ومن خلال إحصاء الكلمات التي وردت فيها هذه البنية توصلنا إلى النتيجة التالية:

بلغت عدد الكلمات التي وردت فيها هذه الظاهرة ٤٠٢ مرة، ومن ثم تغدو نسبتها إلى عدد أبيات القصيدة ١,٨٤ % لكل بيت.

أما عدد الأبيات التي ورد فيها التشديد فقد بلغ ١٨٦ بيتا، أي بنسبة ٨٥ %، في حين بلغت الأبيات غير المشددة ٣٣ بيتا فقط، أي بنسبة ١٥%.

وقد ظهر جليا علاقة التضعيف بالدلالة العامة للأبيات، خصوصا إذا ما وضعنا في الاعتبار تلكم الأبيات التي خلت من التضعيف، وانتفت عنها هذي الظاهرة.

وقد وردت هذه البنية في عدد من الأبيات بصورة عنقودية مكثفة، ومن ذلك قول **الجزيري**:

وَمُحَمَّداً لِلَّهِ دَرُّ مُحَمَّدٍ زَهرٌ تَفَتَّحَ غِبَّ مُزنٍ مُمطِرِ **ست مرات**

وقوله:

قَد أَوعَبَ التَكوينُ كُلَّ مُكَوَّنٍ مُذ أَحكَمَ التَقديرُ كُلَّ مُقَدَّرِ **ست مرات**

وقوله:

لا تَخرُجنَّ عَنِ الجَماعَةِ إِنَّها تَأتَمُّ بِالحَقِّ الجَلِيِّ الأَنوَرِ **خمس مرات**

وقوله:

وَيُثَبِّتُ اللهُ التقاةَ إذا هُمُ وَرَدوا السُؤالَ بِقَولِ حَقٍّ مُصدرِ **خمس مرات**

جاء التضعيف في هذي الأمثلة بصورة لافتة، ولعل هذا يتلاءم مع الوقفات النفسية التي تتناسب والمواقف الشعورية؛ وقد بدا ذلك جليا من خلال دلالة تلكم الأبيات؛ ففي البيت الأول جاء التشديد مع الاسم محمد (الابن) الذي تكرر مرتين، أو لفظ الجلالة (الله)، أو الدرّ (التعجبية)، وفي ذلك تأكيد مضاعف على حبه لابنه، وتشديد على حنوه عليه. والأمر كذلك مع باقي الأبيات.

وبالنظر في هذه الظاهرة الأسلوبية عبر القصيدة كلها[1] يتضح لنا أن التضعيف الصوتي ما هو إلا صورة من اشتداد الأحزان، وتواتر الأشجان، وتضاعف الآلام، وتراكم الأوصاب التي جثمت على كلكله، وسيطرت على كيانه، واعتملت في فؤاده، ومن ثم فإن تضعيف البنية إنما هو ظل لتشديد الهموم، وصدى لتوالي الأثقال التي ناء بها في سجنه بعضا من الأعوام، وردحا من الزمان، ولعل هذي الدلالات وتلكم المعاني تنبثق من قاعدة "**زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى**".

هذا بالإضافة إلى أن ظاهرة التشديد في القصيدة تؤدي إلى عدم الإسراع في النطق، والتريث في التنغيم، وكثرة النبر، مع الهدوء والسكينة، ومن ثمة إعطاء فرصة للنَّفَس، مع إمكانية التقطيع المتوازن والسكنات المتوازية بما يتلاءم والحالة النفسية القاسية التي مر بها **الجزيري** وعايشها، والتي آل إليها أمره بعد أن أصبح معتقلا في برج عالٍ لا مكان فيه لبشر، ولا صوت فيه لإنسان، وربما مكَّنه ذلك من التأني عبر الحِكم التي ألقاها، والتَّرَيُّث في المواعظ والنصائح التي صاغها، وربما يتواءم هذا كله مع كثرة الإضمار —كما سيأتي – التي تؤدي إلى تضاعف السكتات والبطء في الإيقاع.

ولعل هذه الظاهرة التنغيمية وتلك التيمة الجرسية تمد القصيدة " بإيقاع صوتي يسهم في إثارة استجابتنا للمعنى، ويعمل على نقل التأثير العاطفي emotional impression الذي يودُّ

---

(١) بالاستقراء تبين أن الأبيات المخففة هي : ٢- ٣- ٤- ١٠- ١٢- ٤٤- ٤٩- ٥١- ٣٥- ٦١- ٦٦- ٦٩- ٧١- ٨٧- ٨٠- ٨١- ٩٧- ١٠٦- ١١٥- ١٢٨- ١٢٩-١٣١- ١٣٨- ١٦٢- ١٦٩- ١٨٦- ١٩١- ١٩٣- ٢١٨- ٢١٩. مما يعني اختفاء ظاهرة التشديد في مقدمة الأبيات وخاتمتها.

الشاعر خلقه كما يقول **بورتون** burton "[١]. بالإضافة إلى ما تتسم به من شدة الفاعلية وقوة الإيحاء power of suggestion.

ثانيا: الظواهر الإيقاعية الصوتية الداخلية

يعد الإيقاع من القضايا المهمة التي أصبحت تحتل موقعا متميزا في تحليل الخطاب؛ إذ إنه من العناصر الجمالية الأساسية المكونة للبناء الفني، وقد تغيرت النظرة إليه فلم يعد ملمحا خارجيا في النص الأدبي، وإنما غدا مكونا أساسيا وأيقونة مهمة في بناء الشعر. أي أن الإيقاع بوصفه " التناوب الزمني المنتظم للظواهر المتراكبة هو الخاصية المميزة للقول الشعري والمبدأ المنتظم للغته"[٢].

ويعتمد الإيقاع على ظاهرة التكرار، غير أن " قوة هذا التكرار تتمثل في توليد نوع من التوازي بين الكلمات والأفكار، وكلما كان هذا التوازي واضحا في تكوينه أو نغمته تولد عنه تواز قوي بين الكلمات والمعاني" [٣].

وفيما يلي نذكر أهم الظواهر الإيقاعية الداخلية وعلاقتها بالتوازي:

الجناس[٤]

يعد الجناس من أهم الظواهر الصوتية التي تعتمد مبدأ التناظر الصوتي والتماثل الإيقاعي والتخالف الدلالي، "كما أنه أقرب النمطيات إلى الناحية الصوتية الخالصة " [٥]، وذلك على

---

(١)محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، دار المعارف، ط١، ١٩٨٨، ص٣٣

(٢)نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص٧١

(٣) نفسه، ص٢٩١

(٤) يخالف قدامة بن جعفر غيره من النقاد؛ حيث يستعمل مصطلح " **المطابقة** " للدلالة على " **الجناس التام** "، بينما يورد مصطلح **التكافؤ** للدلالة على **التضاد** . ينظر: نقد الشعر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص ١٤٨

(٥) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٩٣

أساس أن " تعاقبين من الفونيمات المتجاورة التي تتشابه في متوالية ما ينقادان لممارسة وظيفة تجنيسية " [١].

ومن ثمة يرتبط التجنيس بالتوازي ارتباطا وثيقا، ولعل هذا ما حدا **بمحمد مفتاح** أن يطلق عليه **شبه التوازي الخفي**؛ حيث يقول: "سيكون مقياسنا في رصد شبه التوازي الخفي بين الكلمتين، أو الكلمات هو الاشتراك في صوتين فأكثر، مع الأخذ بعين الاعتبار القرب في المخارج الصوتية، أو تشابهها في شكل الكتابة "[٢].

وإذا كان الجناس من حيث البنية السطحية تماثلا / تشابها صوتيا، فإنه من حيث البنية العميقة يتكئ على تخالف دلالي، ووفقا لذلك يمكن تقسيمه إلى نوعين رئيسين: **التام والناقص**؛ **فالتام** ما كانت المفردتان متماثلتين صوتيا ومتخالفتين دلاليا، أما **الناقص** فهو ما كانت المفردتان متشابهتين صوتيا متخالفتين دلاليا، وإن بقي التَّشَاكُل الدلالي والتقارب المعنوي حبلا سُرِيًّا يربط بين المفردتين ويوثِّقُ العلاقة بين الدالين.

ولم يرد الجناس لدى **الجزيري** بصورة كبيرة؛ إذ ورد ٩٠ مرة فقط، أي أن نسبته ٤٢ % إلى عدد أبيات القصيدة كلها.

وباستقراء تجنيسات القصيدة يتبين لنا انعدام التام، إذ لم يورد **الجزيري** إلا الناقص منها فقط على اختلاف أنواعه، وتنوع أنماطه، وربما تعد ندرة التام أو انعدامه أمرا طبيعيا وشيئا بدهيا في النص الأدبي عموما.

وبالنظر إلى مواضع ورود هذي الجناسات تبين لنا أنها قد اعتمدت على التذييل تارة أو التصدير تارات، كما اتكأت على كليهما أحيانا، وقد يأتي الجناس في شطر واحد، سواء أكان ذلك في الشطر الأول أم في الشطر الثاني، وقد يرد في كلا الشطرين، مما يكون له — حينئذ – دور دلالي لا ينكر؛ حيث يؤدي إلى التوازي بين اللفظتين المتجانستين، ومن ثمة بين معنى الشطرين، أما

---

(١) قضايا الشعرية، ص ٥٠

(٢) التشابه والاختلاف، ص١٠٤

ما ورد في الشطر الثاني فقط فإن وظيفته الإيقاعية تبدو أكثر أهمية قياسا بالدلالية؛ لقربه من كلمة القافية أو امتزاجه بها وفنائه فيها.

ومما اعتمد على التصدير، وهذا الأعم الأغلب، قول الجزيري:

وَالعالمُ المِدعُوُّ **حَبراً** إِنَّما سَمّاهُ بِاسمِ **الحَبرِ** حَملُ **المحبَرِ**

ومما اعتمد على التذييل قوله:

فَاِعمَل بِعِلمِكَ توفِ نَفسَكَ وَزنَها لا تَرضَ بِالتَضييعِ وَزنَ المخسِرِ

ومما اتكأ على التصدير والتذييل معا قوله:

وَصَغيرُكُم عَبد العَزيزِ فَإِنّني أَطوي لِفُرقَتِهِ جَوىً لَم **يَصغُرِ**

وقوله:

وَاِذكُر بِسِرِّ تَحِيَّتي مَن لَم أَبُح لَكَ بِاِسمِهِ وَلِعلَّةٍ لَم **يُذكَرِ**

ومما جاء في الشطر الأول فقط قوله:

وَجَنَيتُ صَبراً بَعدَها مرَّ **الجنى** وَمَزَجتُ سمّاً دِرَّة العَيشِ المري

ومما جاء في الشطر الثاني فقط قوله:

وَالحَوضُ حَقٌّ وَالشَفاعَةُ مِثلهُ لا يُشكِلانِ عَلى **اِمرِئٍ** لا **يَمتَري**

كما أن التجنيس قد يرد ثنائيا – وهذا الأغلب الأعم – كما في قول الجزيري:

خَرس اللِسانُ كَأَنَّما **مُستَنطقي** **مُستَنطِقٌ** طَلَلاً بِرَبعٍ مُقفِرِ

قَدَرٌ أتيحَ لَنا بَلَغناهُ مَعاً وَمِن العَسيرِ بُلوغُ ما لَم **يُقدَرِ**

وقد يرد ثلاثيا، كما في قوله:

وَقُصِرتُ عَنهُم **فَاِقتَصَرتُ** عَلى جَوىً لَم يُدعَ بِالواني وَلا **بِالمُقصِرِ**

صَفرَت يَداهُ كَم شَجا مِن طفلَةٍ **صَفراءَ** تُنسَبُ في بَناتِ **الأَصفَرِ**

وقد يكون رباعيا، كما في قوله:

قَد **شابَ** هَمّاً في اِقتِبالِ **شَبابِهِ** إن كنتُ **شِبتُ** مَعَ **الشَبابِ** المدبِرِ

ولا شك أن التجنيس الذي ورد في قصيدتنا قد جاء عفو الخاطر، طيعا، غير متكلف، بعيدا عن التصنع، خفيفا على الأذن، تطرب له النفس، وتهش عند سماعه الروح، إضافة إلى ارتباطه الوثيق بالدلالة وعلاقته القوية بالمعنى، كما هو بيّن في الأمثلة السابقة في توازٍ شائق، وتوازن بهي، وانسجام رائع.

ويمكن أن نتوقف قليلا عند بعض التجنيسات لنرى ما فيها من تواز إيقاعي، وتأثير ذلك في المعنى المراد والدلالة الملازمة، ومن ذلك قول **الجزيري**:

سِيّانِ عِندي **عِلمُ** مَن لَم يَستَفِد **عَمَلاً** بِهِ وَصَلاةُ مَن لَم يَطهُرِ

وقوله:

لا يَستَفِزّكَ مَنظَرٌ **حَسَنٌ** بَدا حَتّى تُقابِلَهُ **بِحُسنِ** المِخبَرِ

وقوله:

وَإِذا عَراكَ الخَيرُ فَاشكُر وَ**اِنشُر** وَإِذا عَراكَ **الشَرُّ** فَاصبِر وَ**اِبشِرِ**

وقوله:

وَعَسى رِضا المِنصورِ يُسفِرُ **وَجهُهُ** فَيُديلَ مِن **وَجهِ** الفُراقِ الأَغبَرِ

وبالنظر إلى هذه الجناسات يتبين لنا أنها قد وردت عبر الشطرين، مما أحدث توازيا خطيا عبر بنية البيت السطحية، إضافة إلى التوازي الدلالي في بنيته العميقة بين العلم والعمل في البيت الأول، وحسن المنظر وجمال المخبر في الثاني، وبين الخير والشر، والشكر والصبر في الثالث، إضافة إلى المفارقة الجليَّة بين وجه **المنصور بن أبي عامر** من جهة، ووجه الشحط والفراق في البيت الرابع.

ولا شك أن التوازي هنا قد أدى العديد من الوظائف المعنوية والمهام الدلالية؛ حيث عمل على إبراز **التكامل** بين الظاهر والباطن من جهة، أو توضيح **التضاد والمطابقة** من جهة ثانية، أو التأكيد على **الترادف** من جهة ثالثة، كل ذلك إضافة إلى الانسجام الجرسي من خلال المقاربة

الصوتية والمماثلة الوزنية، وبذلك يمكن القول بأن الوظيفة الدلالية لا تنفصم عن الوظيفة الإيقاعية؛ فهما متضافرتان في خلق نص متماسك، وإبداع خطاب منسجم.

وثمة ظاهرة أسلوبية تجنيسية أخرى لها دلالة إيقاعية ووظيفة معنوية، وهي ما يمكن تسميته **بتجنيس القوافي**، أو "**التجنيس الرأسي**"، ويتعلق بموقع الكلمات المتجانسة في عجز البيت وقافيته، ويأتي من تتابع الكلمات المتشابهة في القافية في متوالية رأسية.

وقد أومأ **ابن رشيق** إلى هذا النمط التجنيسي قائلا:" وربما صنعوا مثل هذا في القوافي فتأتى كالإيطاء، وليس بإيطاء إلا في اللفظ مجازاً ... بيد أن **ابن رشيق** يحذر من التكلف فيه، والإكثار منه(١).

ومن أمثلته المتواترة في القصيدة قول الجزيري:

وَقُصِرتُ عَنهُم فَاِقتَصَرتُ عَلى جَوىً لَم يُدعَ بِالواني وَلا **بِالمُقصرِ**

أَزرى بِصَبري وَهوَ مَشدودُ القوى وَألانَ عودي وَهوَ صلبُ **المكسرِ**

ومنه قوله:

ذاكَ المقَدَّمُ في الفُؤادِ وَإِن غَدا كُفؤاً لَكُم في المنتَمى و**العُنصُرِ**

إِنَّ البنانَ الخَمسَ أَكفاءٌ مَعاً وَالحليُ دونَ جَميعِها **لِلخُنصُرِ**

ومنه أيضا:

وَجَنَيتُ صَبراً بَعدَها مرَّ الجنى وَمَزَجتُ سمّاً دِرَّة العَيشِ **المَري**

يا قُرَّةَ العَينَينِ إِنّي كُلَّما رُمتُ السُلُوَّ أَباهُ شَوقي **المُعتَري**

ومنه قوله:

أَو هَل أُقَلِّبُ ناظِري فَأَراكَ في قُربي تَوَقَّدُ كَالشِهابِ **الأَزهَرِ**

أَو هَل أُلَذِّذُ مَسمَعي بِتِلاوَةٍ مِن فيكَ تُفصحُ عَن لَقيطِ **الجَوهَرِ**

(١) العمدة ٣٥٩/١

وينظر أيضا التجنيسات التالية عبر حنايا القصيدة وثناياها: (مخطر - ممطر)، و(واخبر – المخبر)، و(المتغير – المتأخر)، و(الأخسر – تتسخر)، و(المستغفر – المستقدر)، و(تدخر – تذكر)، و(يعفر – يكفر)، و(بغبر – يقبر) ...إلخ.

وفي هذا الإطار يمكن أن نفرق بين التجنيس **الأفقي** وهذا **الرأسي**، فالأول يهتم كثيرا بالوظيفة الدلالية، بينما يتسم الأخير بموسيقاه العالية، ونغمه اللذيذ، وجرسه المحبب، خصوصا إذا كان التشابه الوزني والتماثل الصرفي كبيرا بين كلمات القافية ومفرداتها.

التصريع

ولعل التصريع من أبرز الظواهر الإيقاعية الصوتية قربا من نسق التوازي؛ إذ هو توازٍ بين أواخر شطري البيت، ومن ثم تقوم بنية التصريع على التماثل/ التوازن بين وحدتي العروض والضرب على سبيل المجانسة بفعل القافية الداخلية binnenreim.

وللتصريع أهمية إيقاعية كبيرة؛ حيث يقوم بإثراء الموسيقى وزيادة وقعها على الأذن بصورة تتساوق مع إيقاع النفس، وتتلاءم وترنيمة الروح؛ لأنه – في الأغلب الأعم – يرد في المطلع، ومن ثمة فهو من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال بما يحمله من طاقة إيقاعية وجرس موسيقي تنغيمي على درجة كبيرة من السيمترية؛ إذ إن " للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعا من النفس؛ لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها [١]، وقد اعتاد الشعراء أن يحملوا البيت الأول من القصيدة شحنة إيقاعية مكثفة، ومن ثم وجب تصريع المطلع، وكأنه فاتحة موسيقية، وبداية عزف منفرد لسيمفونية رائعة.

ولعل هذا ما حدا **بقدامة بن جعفر** أن يجعله دليلا على اقتدار الشاعر وبراعته؛ إذ يقول في **نعت القوافي**: أن تكون سلسة المخرج، وأن تقصد لتصيير مقاطع المصراع الأول في البيت الأول من

(١) منهاج البلغاء، ص ٢٨٣

القصيدة مثل قافيتها [١]. كما بلغ من اهتمامهم بالتصريع أن شبهوا الشاعر الذي لم يصرع بالمتسور من غير باب [٢].

وبالنظر إلى قصيدتنا نجدها مصرعة المطلع، ناهيك عن وروده في موضعين آخرين منها، وذلك على النحو التالي:

المطلع: أَلوى بِعَزمِ تَجَلُّدي و**تصَبُّري** نَأيُ الأَحِبَّةِ وَاعتِيادُ **تَذَكُّري**

ومما يزيد من موسيقية هذا المطلع وذلكم الابتداء أيضا احتضان **التصريع لتواز صرفي** جميل من خلال تكرر صيغة " **تَفَعُّلِي**" مما أدَّى إلى جرس نغمي مفضَّل، ناهيك عما يحتويه من دلالة عميقة غائرة نابعة من " **التَّجلُّد والتَّصبُّر** "، تلكما الصيغتان اللتان تعبران عن الحالة النفسية المأزومة للشاعر الذي يحاول التماسك، ويعالج الجِلاد، وأنَّى له ذلك بعد نأي الأحبة والأولاد واعتياد الذكريات ؟!!

ومن التصريع في ثنايا القصيدة أيضا قوله في موضعين متباعدين:

١٠٢- وَإِذا عَراكَ الخَيرُ فَاشكُر **وَانشُر** وَإِذا عَراكَ الشَرُّ فَاصبِر **وَابشِرِ**

١٩٤- فَاستَبِق دينَكَ دونَ عِرضكَ **تُؤجَرِ** وَاستَبِق عرضكَ دونَ وَفرِكَ **توقرِ**

وقد احتضن الجناس في هذين البيتين عروض البيت وضربه مما زاده موسيقية ونغما، وزانه طربا وألقا، إضافة إلى هذا **التوازي الصرفي**، ناهيك عن اشتمال التصريع على **صيغة الشرط** من أداة وفعل وجواب، مما أدى إلى زيادة التوازي المعنوي والاتساق الدلالي بين الشطرين، وجعله أوقع أثرا، وأشد تأثيرا.

---

(١) نقد الشعر، ص٨٦

(٢) العمدة، ١٧٤/١

التصدير

ولعل التصدير أيضا من أقوى الظواهر الموسيقية إبرازا لبنية التوازي، ويطلق عليه عند القدماء رد العجز على الصدر، ويعرفه **السجلماسي** بأنه " قول مركب من جزئين متفقي المادة والمثال، كل جزء منهما يدل على معنى عند الآخر بحال ملائميه، وقد أخذ من جهة وضعهما في الجنس الملائم من الأمور، ووضع أحدهما صدرا والآخر عجزا مردودا على الصدر بحسب هيئة الوضع اضطرارا [(١)].

وقد عرَّف **ابن رشيق** التصدير، مبيناً ما له من قيمة معنوية، وما يحويه من وظيفة تطريبية، قائلاً: وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر ... ويكسب البيت الذى يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباحة، ويزيده مائية وطلاوة[(٢)].

وقد ورد التصدير في قصيدتنا بصورة تبدو قليلة؛ حيث جاء ٤٤ مرة فقط، أي بنسبة ٢٠ % من عدد الأبيات، **وقد جاء في أنماط ستة على النحو التالي:**

النمط الأول: (×) ـــ ـــ (×)

ومنه قوله:

وَصَغيرُكُم عَبد العَزيزِ فَإِنَّني أَطوي لِفُرقَتِهِ جَوىً **لَم يَصغُرِ**

النمط الثانى ـــ (×) ـــ (×)

ومنه قوله:

فَكَفاكَ مِن شَرٍّ سَماعُكَ **خُبرَهُ** وَكَفاكَ مِن خَيرٍ قبولُ **المخبرِ**

النمط الثالث: ـــ (×) ـــ (×)

ومنه قوله:

وَاخزِن لِسانَكَ وَاحتَرِس مِن لَفظِهِ **وَاحذَر** بوادِرَ غَيِّهِ ثُمَّ **اِحذَرِ**

النمط الرابع: ـ (×) ـ ـــ (×)

---

(١) المنزع البديع، ص٤٠٦

(٢) العمدة، ٣/٢

ومنه قوله:

وَإِذا دَنا **فِطرٌ** أَو اِضحى هاجَني فَبغلَّتي أُضحي وَدَمعي **مُفطِري**

النمط الخامس: ـ ـ (×) ـ (×)

ومنه قوله:

فارِضَ القَناعَةَ رُتبَةً تسعَد بِها وَاحرِص عَلى **إيثار** دينِكَ **تُؤثر**

النمط السادس:ـ ـ (×) (×)

ومنه قوله:

دينُ الفَتى أَولى بِهِ مِن عِرضِهِ وَالعِرضُ أَولى مِن **يَسارِ الموسرِ**

وبالنظر إلى الأمثلة السابقة وغيرها مما ورد في القصيدة نلاحظ أن التصدير لم يرد بكثرة؛ حيث ورد طيعا، سهلا، غير متكلف، وقد أدى التصدير كغيره من المظاهر الإيقاعية دورا مزدوجا ووظيفة ثنائية؛ صوتية ومعنوية؛ إذ إن ورود دال في القافية ثم إيراده ثانية في الصدر يحدث تناغما بين بداية البيت ونهايته، وتوازنا جرسيا بين مطلعه ومقطعه، إضافة إلى أن تباعد موقع الكلمتين يؤدي إلى تواز صوتي ذي درجة كثيفة من الإيقاع الخطي الممتد، مما يعطي المتلقي فرصة لتذوق النغمة الإيقاعية قبل أن ترتد إلى سمعه مرة ثانية، وكأننا إزاء مراوحة بين الصوت والصدى، كما أن التصدير يؤدي أيضا إلى انسجام الفكرة والإسهام في تعميق الدلالة؛ وذلك أن الكلمة داخل نسق البيت إنما تستدعي ما يناسبها موسيقيا، ويلائمها دلاليا، ويتساوق معها معنويا، وفي هذا الإطار يجب أن نؤكد على أن معظم الكلمات المتشابهة في أصولها والمتماثلة في جذورها الاشتقاقية تعبر عن حالات شعورية غائرة في روح المبدع وعقله وأحاسيسه.

التدوير

باستقراء بنية **التدوير** نلاحظ أن فيها كسرا لقاعدة انقسام البيت وانشطاره إلى قسمين؛ حيث إنها تقوم بإلغاء " الثنائية الجزئية في البيت، ويخضع البيت لوحدة متماسكة الأجزاء"[١]، ومن ثم فإن المتأمل للتدوير يدرك جيدا أنه يروم تكسير بنية التوازي، ويعمل على تشظي أنساقها.

وبالرغم من أن التدوير يتكئ على ظاهرة صوتية إيقاعية، فإن فيه تغليبا للناحية الدلالية والمعنوية؛ حيث إنه يقوم على إشكالية الصراع والتوتر بين الجرس والإيقاع من جهة، والنحو والدلالة من جهة أخرى، وسيطرة هذا الجانب على ذاك.

وظاهرة التدوير بصفة عامة قليلة الورود في بحر **الكامل** – بحر القصيدة – حيث إن التدوير ضد التوامّ من البحور وقرين مجزوءاتها، وفي ذلك تقول **نازك الملائكة** " يسوغ التدوير في كل شطر تنتهي عروضه **بسبب خفيف** مثل " **فعولن** " في بحر المتقارب، ومثل" **فاعلاتن**" في بحر الخفيف، ويصبح التدوير ثقيلا ومنفرا في البحور التي تنتهي عروضها **بوتد**، مثل " فاعلن، ومستفعلن، **ومتفاعلن**"، فقلما يقع التدوير في بحر البسيط أو السريع أو الرجز أو **الكامل**" [٢].

وبالنظر إلى قصيدتنا نلاحظ أن التدوير لم يرد إلا في خمسة أبيات فقط، أي أنه لم يتعد ٠,٠٢٢ %، ومن ثم فإنه لا يعد ظاهرة، ولا يمثل شيئا ذا بال في نسبتها، ولعل هذا ما يؤكد حرص **الجزيري** على توفير أقصى درجات التوازي الموسيقي والتوازن الإيقاعي بين شطري أبياته.

ومن أمثلة التدوير النادرة في القصيدة قول الجزيري حزينا على فراق ابنه:

أَبلِغ عُبَيدَ اللهِ صِنوَكَ أَنَّني لِفراقِهِ كَالسادِرِ المُتَحَيِّرِ

عِلقي النَفيسُ الخَطرُ أَفديهِ مِنَ الـ **خَطبِ** المِلِمّ بِكُلِّ عِلقٍ مُخطِرِ

وقوله ناصحا:

وَتَوَلَّ أَصحابَ النَبِيِّ وَآلِهِ وَأَذِع مَحاسِنَهُم جَميعاً وَانشُرِ

---

(١) محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، ص٨٥

(٢)نازك الملائكة، في قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٩٩، ص١١٥

وَإمنَحهُمُ مَحضَ الودادِ وَقَدِّم **الـ** **عُمَرَينِ** في كُلِّ الفَضائِلِ وَابدُرِ

وَيَليهما عُثمانُ ثُمَّ عَلِيٌّ **الـ** **بَطَل** المسَوَّم في الحُروبِ الشمّري

وقوله واعظا:

وَإستَصحِب الوَرَعَ النَزيهَ وَجانِب **الط** **طَبعَ** السَفيهَ بِكُلِّ حالٍ وَاهجُرِ

وقوله مذكرا:

وَإستَنصِحِ البَرَّ التَقِيَّ وَشاوِر **الـ** **فَطِنَ** الذَكِيَّ تَكُن رَبيح المتجَرِ

إن قلة التدوير إذن أو شبه انعدامه إنما يتلاءم مع بنية التوازي المتناثرة عبر منحنيات القصيدة ودهاليز النص، كما تشي هذي الندرة بترسيخ ظاهرة التوازي وتكريس نسقها بمفهومها العام؛ حيث ينقسم كل بيت إلى وحدتين كبيرتين وشطرين مستقلين؛ عجز وصدر في إطار من الموسيقى الجاذبة والإيقاع المتناغم.

وقد لاحظنا في أبيات التدوير انقسام كلمة **العروض** إلى قسمين، بعضها في الشطر الأول، وبعضها الآخر في الشطر الثاني، وقد لوحظ أن (**ال**) **التعريف** قد تواترت في الشطر الأول، بينما ورد الاسم النكرة في الثاني، ونحن نعرف أنه لا يمكن فصل (ال) التعريف عن باقي الكلمة، إضافة إلى حالة الحرف المضعف في كلمة (**الطبع**) في المثال الرابع؛ إذ لا يمكن نطق الحرف المشدد إلا دفعة واحدة، ومن ثم فقد وجب التدوير في الأبيات الخمسة؛ تغليبا للجانب الدلالي، وتضحية بسكتة العروض وإهمالا **للمكون النغمي** intonation on formant لبنية التوازي على حساب المعنى المراد، والدلالة المبتغاة.

ومن خلال استقراء الأبيات المدورة يتبين لنا أيضا علاقة التدوير بالتضمين؛ فالأول له علاقة بتعالق الشطرين، في حين يتعلق التضمين بارتباط الأبيات وتماسكها، ومن ثم تبدو علاقة التدوير بالتضمين في وصل الكلام واتساقه، وربط بعضه ببعض، مما يعني أن كلا من النَّسَقَيْن ضد التوازي.

وبعد دراسة كل الظواهر الإيقاعية الداخلية: (**التصريع، والتصدير، والتجنيس، والتدوير)** يتضح لنا صلتها الوثيقة بنسق التوازي، كما أنها تتأرجح في بنيتها بين الجرس الصوتي والانسجام

الدلالي والقيمة الجمالية في تكامل رائع وبنية متسقة، ولعل هذا هو سر جماليتها " التي تبتعد عن المعيارية العروضية في كل تجربة كتابية جديدة، إنها تطبيق جمالي للمبدأ الشعري الذي يقول: **لست موجودا حيث تظنني، أنا موجود حيث لا تظنني**"(١).

والحق فإن التوازي" كلما كان عميقا ومتصلا بالبنية الدلالية كان أحفل بالشعرية وأكثر ارتباطا بالتشاكل المكون للنسيج الشعري في مستوياته العديدة "(٢)، مما يعني أن التوازي لا تقتصر أهميته فيما يقدمه لنا من إيقاع صوتي وتناسق إيقاعي، بقدر ما تنبثق عنه أهمية دلالية ووظيفة معنوية.

ثالثا: علاقة الوزن بالتوازي

إن الوزن meter هو مقياس الشعر، والقالب الذي يَحْكُمُ إطار العمل الفني، ويُحْكِمُ إيقاعه، ويتحكم في موسيقاه، كما أنه" – حسب تعبير **توماشفسكي** tomachevki – المعيار الذي نصف وفقه مجموعة من الكلمات بالمقبولية أو بعدمها في صيغة شعرية مختارة"(٣). ولذلك فالوزن هو الوعاء الذي يسكب فيه الشاعر تجربته الإبداعية ومعايشاته اليومية، ومن ثم يمكن حمل هذه التجربة وما فيها من مشاعر إلى المتلقي ليتفاعل معها، ويهفو إليها، ويقبل عليها.

ومن ثم فإن الوزن الشعري يرتبط بالتوازي ارتباطا وثيقا؛ " ففي الشعر يكون الوزن بالضبط هو الذي يفرض بنية التوازي"(٤)، وذلك على اعتبار أن التوازي إنما هو" صورة من صور التناسب والانسجام اللذين يكونان من شروط الجمال والإيقاع" (٥).

---

(١) Roland Barthes, Mythologies, The Noon Day Press, New York, 25 Printing , 1991,p 122

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢١٥

(٣) التوازي ولغة الشعر كنوني، ص ٨٨

(٤)قضايا الشعرية، ص١٠٨

(٥)جابر عصفور، مفهوم الشعر؛ دراسة في التراث النقدي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ص ٣٦٨

ومما لا شك فيه أن الوزن بما يخلقه من تماثل في نوع التفعيلات بين الشطرين، وتساوٍ في عددها من شأنه إحداث نوع من التوازي، حيث يقسم البيت إلى فواصل موسيقية متوازنة، ووقفات إيقاعية متوازية.

وإذا كانت بنية الأصوات" تخلق لونا من التوازي الظاهري؛ لأنها تمارس فعلها على مستوى خط الكلمات، فإن بنية الوزن تخلق لونا من التوازي الخفي الذي يسهم في بناء متواليات متوازية على المستوى الصرفي – النحوي؛ وذلك لوقوع صيغ متماثلة صرفيا بأدائها للوظائف النحوية نفسها في مواقع عروضية متماثلة "[١].

وقد حاول **هوبكنس** حل المشاكل المتعلقة **ببنية الوزن** و**بمبدأ التوازي** بوصفهما أساس كل الخصائص البنيوية للفن اللفظي، وسعى إلى دراسة نسق التوازيات الذي يشكل القصيدة، ولدراسة التعلق الذي يؤلف بين هذه التوازيات[٢].

ومن ثم وبما أن " بنية الشعر هي بنية متوازنة فإن الوزن يمنحها الكثير من هذا التوازي؛ لأن الوزن يبنى على تكرار أو ترجيع التفعيلات، وكل تفعيلة تتوازى مع نظيراتها في البناء والصوت فتولد أثرا موسيقيا جميل الوقع له حضوره الإيقاعي والدلالي والبصري "[٣].

وإذا نظرنا إلى هاتيكم القصيدة نجد أنها قد نظمت على **بحر الكامل** الذي يحتل المرتبة الثانية– بعد الطويل – ضمن تصنيف البحور الأكثر ورودا في الشعر الأندلسي[٤]. وهو من البحور الصافية المتشابهة التفعيلات التي تعد أكثر انسيابية وأقوى تناغمية من المزدوجة.

---

(١) التوازي ولغة الشعر، ص ٥

(٢) ينظر: قضايا الشعرية، ص ٨٨

(٣) موفق قاسم الخاتوني، دلالة الإيقاع وإيقاع الدلالة في الخطاب الشعري الحديث؛ قراءة في شعر محمد صابر عبيد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ٢٠١٣، ص١٧٩

(٤) ينظر: محمد دياب محمد غزاوي، الغزل الأندلسي من الإمارة إلى سقوط المرابطين؛ دراسة أسلوبية، دار نور للنشر، ألمانيا، ٢٠١٦، ص ٧١ . وسمي بالكامل لتكامل حركاته، وهي ثلاثون حركة ليس في الشعر شيء له ثلاثون حركة غيره، وله تسعة أضرب لم يحصل عليها بحر آخر . ينظر : الكافي في العروض والقوافي، الخطيب

وللكامل إيقاع خاص؛ إذ هو أكثر جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى؛ حيث " إن دندنة تفعيلاته من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعاني والعواطف والصور، فهو بحر غنائي محض، سواء أريد به جد أم هزل، ويقصد بالغنائية ترنيمة موسيقية خالصة الموسيقى"(١).

ولهذا البحر دور كبير في إبراز ما في القصيدة من توازنات صوتية وموازنات إيقاعية، وذلك بفضل تقطيعه المتوازن وتقسيمه المتماثل؛ حيث إن له امتدادا نغميا متزنا يتسم بالسيمترية، ويتصف بالانتظامية، وإن اعتراه الكثير من التغيرات واعتورته العديد من الزحافات التي تؤدي إلى مزيد من الإيقاعية، ومن ثم تسمه بالموسيقية، وتشمه بالتنوع والانسجامية.

ولعل أكثر زحاف يلحق الكامل زحاف **الإضمار**، الذي يعني تسكين الثاني المتحرك، حيث تتحول (**متفاعلن**)، إلى (**مستفعلن**)، ومن ثم تستحيل إلى تفعيلة **الرجز**، بحيث يمكن أن تطغى تفعيلاته على القصيدة بأكملها، ومن ثم يلتبس إيقاع **الكامل بالرجز**؛ تنويعا للموسيقى، فيطلق عليه حينئذ " **الكامل الرجزي** "، وربما يكون هذا الزحاف هو ما يعطي البيت المرونة، ويكسر حدة التوقع، ويبعده عن الرتابة، ومن ثمة يضفي على البيت مزيدا من الجمالية والأثر النفسي الجذاب، " ولهذه العلاقة الترادفية بين التفعيلتين خاصية إغرائية، توفِّر للشاعر طاقات إيقاعية متنوعة في داخل النص الواحد تبعا لتجربة الشاعر(٢).

كما أن الإضمار يعمل على تبطئة تفعيلة الكامل التي تتميز بالسرعة؛ وذلك لأنها تبدأ بسبب ثقيل، وتتألف من خمسة متحركات وساكنين، بينما تفعيلة الرجز تتكون من أربعة متحركات وثلاثة سواكن، ومعلوم أنه كلما زادت المتحركات زادت السرعة.

التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٩، ص٥٨. الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: عمر يحيى، فخر الدين قباوة، المطبعة العربية، حلب، سوريا، ط١، ١٩٧٠، ص ٨٣. وينظر أيضا: ابن رشيق العمدة ١/ ١٣٦

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب، ١/ ٢٦٤، ٢٧٨

(٢) ينظر: دلالة الإيقاع وإيقاع الدلالة في الخطاب الشعري الحديث، ص٥٤

وهكذا يمكن القول إنه إذا كان الكامل يتسم بكثرة الحركات التي تسمه بالسرعة، وتصفه بالانسيابية، فإن مجيء زحاف الإضمار يقلل من هذي السرعة، ويحد من تلك الانسيابية، وذلك تؤاما والعاطفة المسيطرة على القصيدة التي تفرض على الشاعر التأني، وتلزمه التَّرَيُّث.

بالإضافة إلى أن الإضمار يزيد من المقاطع الطويلة (**مستفعلن**: – – ب –)، بينما (**متفاعلن**: ب ب — ب –)، وبذا يكون الفارق بين التفعيلتين، ثلاثة مقاطع طويلة في الأولى، ومقطعين فقط في الثانية، وكلما زادت المقاطع الطويلة حدث بطء في الموسيقى، وتأنٍ في الإيقاع.

ولذلك فإن الشاعر حينما يحتاج إلى الهبوط في إيقاعه، والبطء في موسيقاه، فإنه يعمد إلى استخدام الإضمار، ليشكل — بالتالي – تواؤما مع البنية التناظرية التي تقوم عليها القصيدة من (السرعة / الهبوط) عبر المعاني التي تقوم عليها، والدلالات التي تكتنفها.

وباستقراء القصيدة نجد فيها عدة أبيات على تفعيلة "**مستفعلن**"، أي أنها لم تلتبس فقط بالرجز، بل إنها جاءت على صورة **الرجز المثالي**، وتوشت ببرده، ولبست لبوسه، وذلك في ستة أبيات، منها قول **الجزيري** في القصيدة:

كُنتُم لِنَفسي جَنَّةً فارَقتُها إذ راقَ مِنها كُلُّ غَرسٍ مُثمِرِ

وقوله:

وَالعالِمُ المِدعُوُّ حَبراً إِنَّما سَمّاهُ بِاسمِ الحَبرِ حَملُ المحبَرِ

وبالنظر إلى تفعيلات القصيدة لم نلحظ بيتا واحدا قد سلمت تفعيلاته من الزحاف، وهذا أمر بدهي؛ إذ إن السلامة من الزحافات لا وجود لها مطلقا في أي بحر من البحور.

وقد توصلنا من خلال إحصاء نوع تفعيلات القصيدة إلى النتيجة التالية:

نوع التفعيلة	العدد	النسبة
الصحيحة	٥٦٣	٤٢,٨٥

المضمرة	٧٥١	٥٧,١٥
المجموع	١٣١٤	١٠٠

ومن هذا الجدول يتبين لنا زيادة التفعيلات المضمرة بصورة كبيرة على التفعيلات الصحيحة، وربما ينبئ ذلك عن علاقة الظاهرة الصوتية بالدلالة المعنوية للقصيدة، حيث أدى الإضمار –كما قلنا – إلى بطء الإيقاع، والتأني في الموسيقى، وقد كان هذا أمرا بدهيا في قصيدة **الجزيري**، ولم لا؟ والساعات– في معتقله – تمر ببطء، والأيام – في محبسه – تسير الهوينى، والشهور – في سجنه – تمشي مُثَّاقلة، حتى إنه لا يكاد يحس بمرورها، ولا يشعر بسيرها، ولا يدري بمشيها في ظل تلكم الحالة الضاغطة، وهاته الظروف القاهرة، وكأنه كان يرى كل شيء وقد تسمَّر في مكانه، وثبت في موضعه، فهو ساكن لا يتزحزح، صامت لا يتحرك، هادئ لا يريم حتى مع حركته الظاهرة وحيويته المتجددة.

هذا بالإضافة إلى أن جزءا كبيرا من أبيات القصيدة ما هو إلا مجموعة من النصائح المتتالية والمواعظ المتواترة التي ألقاها إلى أبنائه، وأرسلها لأولاده، ولعل هذه وتلك تحتاج إلى مشاعر هادئة، وعواطف متزنة شاجية، ولا يتأتَّى ذلك إلا بالإضمار الموسيقي والبطء الإيقاعي.

وإذا كان الإضمار يزيد من سكنات النص، ويقلل من حركاته، فإن هذا يتناسب مع عيشته في السكون، ويتواءم وحياته في السجون، ولذا نجده يكثر من سكنات الأبيات؛ ليتماشى مع حالته الآسية، ومعيشته الشاجية، إن الإضمار إذن – والحالة تلك – إنما يتوازى مع السكون الجبري، ويتماهى مع الصمت اللانهائي السرمدي.

ومن هذا وذاك وذياك فإننا لا نبالغ إذا قلنا إن الإضمار ليس عيبا عروضيا أو ثلمة وزنية، بقدر ما هو تقنية إيقاعية وآلية موسيقية، يلجأ إليها الشاعر لتنويع نغمته؛ ذلك لأن انتظام التفعيلات وسيمتريتها يؤدي إلى السأم، ويفضي إلى الرتابة، ولذا وجب على الشاعر إبعاد المتلقي عن هذا الجو الشعوري بالزحافات وتنويع النغمات، وذلك من خلال تغيير الوحدات الصوتية

الزمنية، وتبديل أنماطها الجرسية، وربما يؤدي ذلك إلى تفرد شاعر عن آخر وفق المعطيات الموسيقية التي يُسمح للشاعر بانتهاجها في كل بحر من البحور.

ووفقا لما سبق فإننا لا نعد الزحاف عموما علة خليلية أو قصورا وزنيا، وإنما هو انزياح إيقاعي وعدول موسيقي؛ حيث يعمل على التخفيف من سطوة النغمة الواحدة والعزف المتكرر الذي يتردد صداه في إطار الوزن المتناظر من أول النص إلى آخره .

التوازي بين التقطيع العروضي والتماثل المورفولوجي

ونقصد هنا توازي التفعيلات وتناسبها مع مقدار الكلمات وكميتها؛ حيث **يتساوق التقطيع العروضي** مع **التقطيع الصرفي** المتماثل في الكلمات والتفعيلات، وذلك في هندسة معمارية مبدعة، ويتأتى ذلك بأن تمثل كلمة أو كلمتين أو أكثر تفعيلة وزنية معينة.

إن التقطيع – حسب **توماشفيسكي** – " أمر طبيعي في الدلالة على سلامة الشعر؛ إذ إنه ليس إلا توضيحا أكيدا للوزن"(١).

ولعل هذا التقطيع يؤدي إلى حسن التقسيم، مما يعمل على إبراز التوازي الخارجي من خلال ذلكم الإيقاع الظاهري، الذي يتواءم بطبيعة الحال مع الإيقاع النفسي للمبدع، والتجربة الشعرية المعيشة.

وقد أخذ هذا التماثل وذلكم التساوق عدة صور في مواضع متباينة في البيت كما يلي:

الشطر الأول فقط، ومنه قول الجزيري:

عُوِّضتُ مِن / رَعيي لَها / وَحَضانَتي / رَعيي كَواكِبَ كُلِّ داجٍ أَخضَرِ

مستفعلن / مستفعلن / متفاعلن /

وقوله:

(١) تحليل النص الشعري، ص١٠١

وَلَعَلَّهُ / في بَعضِ ما / يَقضي بِهِ / مِمّا يَشاءُ بِلا وَزيرٍ موزرِ

متفاعلن / مستفعلن / مستفعلن /

الشطر الأول وبعض الثاني، ومنه قول الجزيري:

وَتَرَقرَقَت / عَبراتُه / فَشَغَلنَهُ / عَن شُغلِهِ / بِسَنا الوُجوهِ الحُسَّرِ

وقوله:

أَوسِعهُما / برّاً وَلا / تَنهَرهُما / وَامنَحهُما / قَولاً كَريماً وَاشكُرِ

الشطر الثاني فقط، ومنه قول الجزيري :

بَل لَيتَ شِعري هَل تُلَبّي دَعوَتي بِإجابَةٍ / في مَجلِسٍ / أَو مَحضَرِ

وقوله:

الوارِدَينِ لَها مَوارِدَ كُلَّما دَعوا إلى / إصدارِها / لَم تَصدُرِ

الشطر الثاني وبعض الأول، ومنه قول الجزيري:

سَقياً لِمَثواهُم وَمن / يَثوي بِهِ / وَلِعَهدِهِم / إن كانَ / لَم يَتَغَيَّرِ

وقوله:

ذاكَ المُقَدَّمُ في الفُؤادِ / وَإن غَدا / كُفؤاً لَكُم / في المنتَمى / وَالعُنصُرِ

البيت كله بشطريه، ومنه قول الجزيري:

لا تَسأَموا / إحضارَهُ / رَغَباتِكُم / فَهِباتُهُ / مَبسوطَةٌ / لَم تُحظَرِ

مستفعلن / مستفعلن / متفاعلن / متفاعلن / مستفعلن / مستفعلن

وهذا البيت كله –كما نرى – متساوق عروضيا، ومتماثل تفعيليا؛ كلماتٍ وتقطيعا، مع حسن التقسيم وبراعة التنغيم، ولعل ما يزيد البيت بهاء، ويكسبه موسيقية ورواء تماثل التفعيلة الأخيرة في الشطر الأول مع التفعيلة الأولى في الشطر الثاني، بحيث تتجاور كل من التفعيلتين (**متفاعلن**)، و(**مستفعلن**) مرتين، مرة في الشطر الأول وأخرى في الشطر الثاني.

ولعل هذا التجاور مع التفعيلة المتشابهة وذلكم التباعد في التفعيلة المتخالفة ما يخلق التوتر والصراع بين التشاكل والاختلاف، مما يؤدي إلى انعكاسها على عواطف الشاعر التي تضطرب، ومشاعره التي تصطرع، إضافة إلى الحزن والأسى على بقائه في معتقله، ورغبته في الخروج منه، وحرصه على لقائه أولاده، ولعل الرغبات والهبات هي التي سلمت من الزحاف والإضمار، في حين وقع الأخيران بما يحملانه من استسلام وإذعان على الإنسان، الذي لا يسأم ولا يمل في طلب الحاجات ونيل الرغبات، ومن ثمة فقد حدث نوع من التوازي والتناسب بين الرغبات من جهة، وهبات المنصور من جهة ثانية، ولذا فالرغبات لابد أن تكون صحيحة، والهبات يجب أن تأتي سالمة.

وفي بعض الأحيان يقع تقطيع بسيط وتساوق يسير في أجزاء من البيت، ومن هذه الصور في القصيدة ما يلي:

التفعيلة الأولى من البيت مع الأخيرة، ومنها قوله:

وَصَغيرِكُم / عَبد العَزيزِ فَإِنَّني أَطوي لِفُرقَتِهِ جَوىً / **لَم يَصغُرِ**

متفاعلن / **مستفعلن**

التفعيلة الأولى من الشطر الأول مع الأولى من الثاني، ومنها قوله:

وَإِذكرهُمُ / بِالسَبقِ وَإِشهَد فيهم **وَلَهُم بِما** / شَهِدَ الرَسولُ وَأخبِرِ

التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول مع الأولى من الثاني، ومنها قوله:

وَلَوِ اِجتَهَدتَ لِدَفعِ ما / **يُؤتيكَهُ آتاكَهُ** / إِتيانَ مُزجىً مُجبَرِ

التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول مع الأخيرة من الشطر الثاني، ومنها قوله:

وَإِلَيهِ أُسندُ أَمرَكُم / **وَكَفى بِهِ** سَنَداً لِكُلِّ مُفَوِّضٍ / **مُستَقدِرِ**

التفعيلة الأولى من الشطر الأول فقط، ومنها قوله:

وَتَناصَفوا / وَتَقارَضوا البِرَّ الَّذي هُوَ حلَّةُ العاري وَكَنزُ المقترِ

التفعيلة الأخيرة من الأول، ومنها قوله:

فارِضَ القَناعَةَ رُتبَةً / **تسعَد بِها** وَاحرِص عَلى إيثار دينِكَ تُؤثرِ

التفعيلة الأولى من الشطر الثاني، ومنها قوله:

أَوَ ما رَأَيتَ غَبِيَّ قَومٍ موسِراً **وَلَبيبَهُم** / يَسعى بِحالِ المعسِرِ

التفعيلة الأخيرة فقط من الثاني، ومنها قوله:

أُعذِرتَ فيهِ فَمَن تَبيّنَ عُذرهُ وَلّى المِلامَة كُلّ مَن / **لَم يَعذُرِ**

ومن استقراء النماذج السابقة نلاحظ أمرا مهما، وهو أن التوازي بين التفعيلات، والتساوق في التقطيعات لم يأت في الحشو مطلقا، وإنما احتضن كلا من العروض والضرب في الأغلب الأعم، إضافة إلى صدر كل من الشطرين، أي أنه إما أن يأتي في بداية الشطر الأول أو في نهايته، والأمر كذلك مع الشطر الثاني، ولذلك فكثيرا ما يتعانق التقطيع في نهاية الأول مع بداية الشطر الثاني، ولعل هذا ما يزيد من توازية تلكم التفعيلات، وتوازنية موسيقاها، وانسجامية إيقاعها، ولعل جمالية التوازي تكون أكثر اتساقا إذا ما كانت بين شطرين، مما يحدث نوعا من التلاؤم، وينبئ عن كثير من التناسب بين الوظيفة الموضوعية الدلالية والقيمة الصوتية الموسيقية.

الصور الوزنية لإيقاع القصيدة

إن الوزن إذا كان يمثل الوعاء الخارجي والقالب الذي يحمل التجربة الإبداعية بقدر ما يشارك فيها، فإنه – في الوقت ذاته – ليس مقياسا ثابتا، ولا معيارا جامدا؛ إذ إن كل بحر من بحور الشعر ينطوي في داخله على تغيرات إيقاعية متنوعة، وينضوي على صور موسيقية متباينة، تجعله قمينا بحمل هذه التجربة دون سواه من البحور الأخرى، مما يعني أن ليس ثمة نغمة معينة ثابتة لكل بحر كما يشاع؛ حيث إن لكل بحر شعري أكثر من نغمة موسيقية من خلال ما يطاله من زحافات، وما يعتريه من علل وتغيرات تفرضها التجربة، وتمليها الظروف؛ فلكل تجربة إيقاعها الخاص، ولكل إبداع تنغيمه المتباين، فضلا عن ذلك فلكل شاعر بصمته المائزة وأسلوبه المتفرّد.

وهكذا فإن البيت الشعري إنما يتشكل" من تعاقب وحدات صوتية، تتجلى كما لو كانت توجد موزعة مستقل بعضها عن بعض، وفي ذات الوقت من تعاقب الكلمات التي تتجلى باعتبارها وحدات متماسكة تتكون بدورها من التأليف بين تلك الوحدات الصوتية "[١].

ولعل هذا يعني أن "تعاقب الحركة والسكون في الأوزان المتعددة ليس أمرا عشوائيا، بل هو عملية تناسق داخل نظام متحد لحركة منتظمة في الزمن، تتآلف داخلها الأجزاء في مجموعات متساوية ومتشابهة في تكوينها، فيتشكل في هذا التآلف كل وزن على حدة، ويتميز في نفس الوقت عن غيره من الأوزان"[٢].

ومن استقراء الصور الوزنية لقصيدتنا أمكننا العثور على ثمانية صور متباينة لبحر الكامل، وفيما يلي نذكرها حسب نسب ترددها على طول الأشطر الشعرية:

العدد	الصورة (الشطر)	العدد	النسبة
١	مستفعلن – متفاعلن – مستفعلن	٨٥	١٩,٤١
٢	مستفعلن – مستفغلن – مستفعلن	٦٧	١٥,٣٠
٣	مستفعلن – مستفعلن – متفاعلن	٥٧	١٣,٠١
٤	متفاعلن – مستفعلن – مستفعلن	٥٤	١٢,٣٣
٥	متفاعلن – متفاعلن – مستفعلن	٥٤	١٢,٣٣
٦	مستفعلن – متفاعلن – متفاعلن	٥٢	١١,٨٧
٧	متفاعلن – مستفعلن – متفاعلن	٤٨	١٠,٩٦
٨	متفاعلن – متفاعلن – متفاعلن	٢١	٤,٧٩

(١) تحليل النص الشعري، ص ١١٣

(٢) مفهوم الشعر في التراث العربي، ص٣٦٨

-	المجموع	٤٣٨	١٠٠

ومن خلال هذا الجدول نخلص إلى الملاحظات التالية:

- تنوع صور التفعيلات في قصيدة الجزيري وتباينها إلى ثماني صور مختلفة في الأشطر الشعرية.
- أكثر الصور هي ما زادت فيه التفعيلات المزاحفة بحيث تمثل تفعيلتين إلى واحدة ، إضافة إلى أن صورة التفعيلات المزاحفة (٢) تمثل ثلاثة أضعاف صورة التفعيلات السالمة (٨).
- وردت صورة تفعيلة بحر الكامل الرجزي في المرتبة الثانية، بينما جاءت صورة بحر الكامل المثالي في المرتبة الأخيرة.
- تساوي النسبة المئوية مع الصورتين الرابعة والخامسة القائمتين على التناوب والمراوحة بين تفعيلة الكامل وتفعيلة الرجز، مع تفعيلتين لكل بحر على حدة عبر الصورتين.
- التوازي والتماثل بين التفعيلات التامة السالمة والمزاحفة المضمرة، أي بين النظام وتصدع النظام؛ كسرا للنمطية وبعدا عن الجمود، حيث يكرر **الجزيري** صورة ما، ثم لا يلبث أن يتركها ريثما يتناول أخرى في مراوحة صوتية إيقاعية؛ منعا للملل، وكسرا لحدة الرتابة، إضافة إلى توازي ذلك كله مع الحالة النفسية، من خلال تعدد الألحان وتنوع الإيقاعات.

وهكذا يمكن القول تأكيدا لما سبق إن الوزن إذا كان مجموعة من التفعيلات التي تتواتر في كل الأشطر بشكل متسق ونسق منتظم، فإن هاتيكم الصور المتنوعة وتلكم الأنماط المتباينة تؤكد أن الوزن أيضا غير ثابت، أي أنه متغير ومرن وديناميكي، ومن هنا فإن الصورة العامة المجردة لأي بحر ليست موجودة على أرض الواقع، ولذلك تغدو فرضية ثبوت الوزن واستاتيكيته غير صحيحة إلى حد كبير.

التوازي بين الشطرين

إن من أهم الوظائف الفنية للبنية الوزنية – الإيقاعية ما يتجلى في توزيع النص إلى وحدات متكافئة ... ومن ثم فإن هذه البنية ليست مجرد نظام منعزل بذاته، وليست مجرد هيكل يخلو من التناقضات الداخلية التي تتجلَّى في توزيع المقاطع المنبورة وغير المنبورة، بل إن تلك البنية على التحقيق جدل وتوتر بين أنماط مختلفة(١).

ونقصد بالتوازي بين الشطرين نوعية التفعيلات من حيث تماثلها أو تقاربها، ومن خلال استقراء هذا التوازي يتضح لنا وجود ثماني صور وزنية في قصيدتنا على النحو التالي:

الصورة الأولى: مستفعلن – مستفعلن – مستفعلن مستفعلن – مستفعلن – مستفعلن

وكانت هذه الصورة أكثر الصور ورودا، وهي كما يبدو صورة الرجز المثالي، ومنها قول **الجزيري:**

كُنتُم لِنَفسي جَنَّةً فارَقتُها إذ راقَ مِنها كُلُّ غَرسٍ مُثمِرِ

الصورة الثانية: مستفعلن – مستفعلن – مستفعلن متفاعلن – متفاعلن – متفاعلن

وهي صورة مختلطة بين الرجز والكامل عبر الشطرين، ومنها قوله:

وَاِذكرهُمُ بِالسَبقِ وَاشهَد فيهم وَهُم بِما شَهِدَ الرَسولُ وَأخبِرِ

الصورة الثالثة: متفاعلن – متفاعلن – مستفعلن متفاعلن – متفاعلن – مستفعلن

ومنها قوله:

بَكَرَت عَلَيهِ صُروفُها في أُهبَةٍ وَسَرَت إِليهِ خُطوبُها في عَسكَرِ

الصورة الرابعة: مستفعلن – متفاعلن – مستفعلن مستفعلن – متفاعلن – مستفعلن

ومنها قوله:

في رَأسِ أَجرَدَ شاهِقٍ عالي الذُرا ما بَعدَهُ لِمُوَحِّدٍ مِن مَعصرِ

الصورة الخامسة: مستفعلن – متفاعلن – متفاعلن مستفعلن – متفاعلن – متفاعلن

(١) تحليل النص الشعري، ص ١١٣، ١٢٢

ومنها قوله:

قَد ذُقتَ يُتمَ أَبيكَ قَبلَ وَفاتِهِ إِلّا تَعِلَّةَ مُرتَجٍ مُتَنَظِّرِ

الصورة السادسة: متفاعلن – متفاعلن – مستفعلن مستفعلن – مستفعلن – مستفعلن

ومنها قوله:

وَمِنَ العَجائِبِ وَالعَجائِبُ جَمَّةٌ أَن يَلهَجَ الأَعمى بِعَيبِ الأَعوَرِ

الصورة السابعة: متفاعلن – مستفعلن – مستفعلن متفاعلن – مستفعلن – مستفعلن

ومنها قوله:

فَعَلَيكَ تَقوى اللهِ فَالزَمها تَفُز وَحُدودهُ حافِظ عَلَيها تُؤجَرِ

الصورة الثامنة: مستفعلن – مستفعلن – متفاعلن مستفعلن – مستفعلن – متفاعلن

ومنها قوله:

واجعل لوجه الله سعيك خالصا يذخر لك الحظ الجزيل ويثمر

الصورة التاسعة: مستفعلن – متفاعلن – متفاعلن مستفعلن – متفاعلن – متفاعلن

ومنها قوله:

فَاستَبِق دينَكَ دونَ عِرضكَ تُؤجَرِ وَاستَبِق عرضكَ دونَ وَفرِكَ توقرِ

وهكذا يتضح لنا من دراسة هذي الصور الثماني أن التماثل الصوتي قد انبثق من التنظيم العروضي المتكافئ، وذلك من خلال توازنات فنية متساوقة مع ضبط الحركات والسكنات على مستوى شطري البيت.

التوازي بين إيقاع الكامل وموضوع القصيدة

اختلفت آراء الباحثين والنقاد قديما وحديثا حول مدى إمكانية مناسبة الوزن الشعري وملاءمته لموضوع القصيدة ما بين مؤيد لها ومخالف، وفي ذلك يقول **حازم القرطاجني** مؤيدا هذا الربط" ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة، وما يقصد به الهزل والرشاقة،

ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم ... وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان، ويخيلها للنفوس ... ويؤيد مذهبه هذا بأن شعراء اليونان كانوا يلتزمون لكل غرض وزنا يليق به، ولا يتعدونه فيه إلى غيره [١].

بيد أن المشَاهَد الإبداعي والواقع الشعري يرفض هاتيك النظرية، ولا يقبل تلك الفرضية بدليل أن البحر الواحد يصلح لأن ينظم فيه جُلُّ الموضوعات، إن لم يكن كلها، وإن نظرة سريعة على ديوان شاعرنا أو أي شاعر آخر في القديم والحديث تؤيد ذلك وتقرره حقيقة واقعة ونتيجة لازبة.

وهكذا فإن " الوزن الواحد يشكل أساسا عاما ومجردا يصلح معه الوزن لتجارب متعددة، ولكنه يشكل داخل كل تجربة شكلا متفردا يميز الوزن نفسه في قصيدة من غيرها، ويميز إيقاع مقطع من مقاطع القصيدة عن بقية المقاطع في آن واحد"[٢].

ومن ثم يبدو أن الربط بين الوزن والعاطفة هو الأوفق من وجهة نظرنا؛ حيث إن " الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير عادة وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما يُنَفِّس عن حزنه وجزعه"[٣]. أي أن الوزن صدى لانفعال الشاعر وتصوير لعواطفه ومشاعره، أي أنه يكون" تابعا لحالة الشاعر الانفعالية والتجربة التي يمر بها، فالتجربة الشعرية هي التي تحدد للشاعر الوزن الذي يتلاءم مع طبيعتها "[٤].

وعلى الرغم من ضعف الصلة بين الغرض والبحر الشعري، وعدم اعتمادها فرضية قاطعة، ونتيجة حتمية، ومع اعتقادنا بأن ليس ثمة علاقة تَلازُمِيَّة اطِّرادِيَّة بينهما، فإننا — في الوقت ذاته – لا نشك في أن اختيار إيقاع بحر ما لابد أن يكون ذا علاقة وثيقة بالحالة النفسية التي يمر بها المبدع، والأزمة الشعورية التي يعيشها، والواقع الذي يعالجه، ويتوافق معه.

---

(١) منهاج البلغاء ، ص ٢٦٦

(٢)مفهوم الشعر في التراث العربي، ص٤١٤

(٣) موسيقى الشعر، ص ١٧٧

(٤) القصيدة العربية، ص٢١

وبحر الكامل إنما يتلاءم بموسيقاه وجرسه، ويتناسب بإيقاعه ونغمه مع الدلالات التي يريدها الشاعر ويتوخاها؛ حيث يتسع لعرض ما عنده من تجارب حياتية وأحوال معيشية نفسية ... ومن ثمة فإن الحالة الشعورية الضاغطة والحياة المملة القاسية التي عالجها **الجزيري** في السجن، وعاناها في الاعتقال، إضافة إلى الموضوعات المتنوعة للقصيدة بما فيها من وصايا متعددة ونصائح متتالية صاغها لأولاده علَّهم يرتقون إلى مدارج السالكين، ويصلون إلى منازل الأولياء الصالحين، كل ذلك قد تساوق مع إيقاعات الكامل الرتيبة، وتلاءم مع أنغامه الهادئة وموسيقاه المنتظمة الشاجية.

فالإيقاع إذن ما هو إلا صورة للنفس، ومرآة للشعور، وصدى للواقع، وتعبير عن الأحداث، وتصوير للحياة بكل تقلباتها، ومن هنا فالإيقاع ليس حلية لفظية، أو طلاء خارجيا، أو استراتيجية تزيينية، بقدر ما هو عميق الصلة بالدلالة، ووثيق الارتباط بالمعنى.

رابعا : توازي القافية[١] reim

تؤدي القافية دورا مهما في إيقاعات القصيدة؛ وذلك لأنها تساعد على الانسجام المتجانس للبناء الصوتي ككل؛ حيث إنها المقطع الأخير ولبنة الختام،" مما يجعلها أكثر المنازل حساسية، وأصدقها تصويرا لتعامل الشاعر مع اللغة[٢]. إضافة إلى أن" تكرارها هذا يكون جزءا مهما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها في فترات زمنية منتظمة معينة [٣].

وتعد القافية من أهم العناصر التوازنية في القصيدة، بل هي مكون فاعل في بنائها؛ إذ إن تكرار أصوات القافية يعمل على تشكيل حركة إيقاعية متناغمة تمنح القصيدة التناسق، وتهب الأبيات

(١) القافية هي مجموع الحروف من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن. ينظر: بدر الدين محمد الدماميني، العيون الغامزة على خبايا الرامزة، تحقيق: الحساني حسن، دار اللواء، الرياض، ١٩٧٣، ص ٢٨٣. أو أنها حسب تعريف الباحث مجموعة الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل آخر ساكنين في البيت الشعري.

(٢)خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص٦٦

(٣) موسيقى الشعر، ص ٢٤٦

التماثل على المستوى الشكلي الخارجي، ومن ثمة ترتبط القافية بالتوازي ارتباطا وثيقا، على أساس أنها نوع من المساوقة الصوتية والانتظام الظاهري الذي هو مبدأ رئيس للتوازي.

وجمال القافية – كما يقول **هوبكنس**– " يكمن في أنها مختصر لنسق التوازيات؛ وذلك لأنها تشابه الأصوات أو تماثلها واختلاف المعاني أو تباينها بين الصوت والمعنى، سواء المعنى المعجمي أم النحوي، وتُوضِّحُ بشكل خاص نسق التطابق"[١].

القافية بين الإطلاق والتقييد

وقافية قصيدتنا رائية مطلقة مشبعة بالياء، وهي من النمط المجرد، أي الخالية من الردف والتأسيس، وتمتاز تلكم القافية بالإيقاع المترنم والنغم الموسيقي، خصوصا إذا كانت مطلقة بالكسر الذي يتناسب مع الحزن والرقة والعذوبة واللين، ومن ثم فإنه يتلاءم مع الانكسار النفسي وحالة الشاعر الشعورية الضاغطة التي يعانيها في أسره ومعتقله، إضافة إلى اتساقه والعواطف الرقيقة التي يريد **الجزيري** التعبير عنها مع بعده عن أولاده، وتذكره لهم.

ناهيك عن أن القافية المطلقة " أوضح في السمع، وأشد أسرا للأذن؛ لأن الروي فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل في الإنشاد، وتشبه حينئذ حرف مد "[٢].

وقد لاحظ **الطرابلسي** أن الروي في الشعر العربي عامة يتميز بثلاث نزعات: **الأولى**: خروجه من أدنى الجهاز الصوتي، **الثانية**: تخيره من الحروف الشائعة في آخر الكلمات العربية، و**الأخيرة**: اتصافه بالوضوح السمعي sonorit [٣].

ولعل الشاعر كان موفقا أيما توفيق في اختيار رويِّه، الذي تمثل في حرف الراء، وهو من أكثر الحروف ترددا في الشعر العربي، إضافة إلى طبيعته الفيزيائية النابعة من" تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق به[١].

---

(١) قضايا الشعرية، ص٨٧

(٢) موسيقى الشعر، ص ٢٨١

(٣)خصائص الأسلوب في الشوقيات، ص ٤٦

وقد استغل الشاعر صفة التكرارية للدلالة على تدويم الألم، وترديد اليأس، وتوالي الحزن الذي يعتصر قلبه، وهو قابع في سجنه، بعيد عن أولاده وفلذات أكباده. وقد كان لهذا الحرف دور كبير في تشكيل الموسيقى الإطارية للقصيدة، ناهيك عن كثرة تردده في أنحاء القصيدة ودهاليزها الداخلية، كما سبق أن أشرنا في المبحث الأول.

قافية المتدارك

وقافية قصيدتنا من المتدارك، وهي كل قافية اجتمع بين ساكنيها متحركان، (٥//٥)، وقد سميت هذه القافية بهذا الاسم؛ لإدراك المتحرك الثاني المتحرك الأول، أو لتوالي حرفين متحركين بين ساكنين، أو لأن الحركة فيها أدركت الأخرى، فلم ينقصها حركة أو سكون[٢].

ومن ثم فإن اختيار الشاعر قافية المتدارك إطارا صوتيا لقصيدته قد أعطى ثراء إيقاعيا متداركا أغناه عن إردافها وتأسيسها، وكأن اختيار هذه القافية بما فيها من تكثيف موسيقي وتنويع جرسي كان تعويضا عما افتقدته من عدم الإرداف والتأسيس، ولعل هذا ما يعطيها نكهة صوتية خاصة، ويجعلها — من ثم – من أجمل القوافي المطلقة، إن لم تكن أجملها.

---

(١) الأصوات اللغوية، ص ٢٧

(٢) ينظر: أهدى سبيل، ص١٨٥، وينظر أيضا: الوافي في العروض والقوافي، ص١٤٨

المبحث الثاني

التوازي الصرفي morphology parallelism

يعتمد **التوازي الصرفي** على تكرار صيغ اشتقاقية بذاتها، وتردد تراكيب بعينها داخل جزيئات النص الشعري، أي أنه يتكئ على لزوم بِنَى لفظية وأنساق تركيبية ذات صفات متشابهة وصيغ وزنية متساوية متماثلة في الناحية المورفولوجية والأبنية الشكلية. مع الوضع في الاعتبار أننا ننظر إلى ما آلت إليها الصيغ الصرفية، وليس إلى أصلها، أو ما كان عليه جذرها.

ولقد أدرك الشعراء الأندلسيون — منذ وقت مبكر – الأهمية الكبيرة لظاهرة التوازي على المستوى المورفولوجي؛ حيث ذكر **المقَّري** في نفح الطيب قائلا: وحُكِيَ أن **عباس بن ناصح الثقفي** قاضي الجزيرة الخضراء كان يفد على قرطبة، ويأخذ عنه أدباؤها، ومرت عليهم قصيدته التي أولها:

لَعَمْرُكَ مَا البَلْوَى بِعَارٍ ولا العدمْ إِذَا المرءُ لم يَعْدَمْ تُقَى اللهِ والكَرَمْ

حتى انتهى القارئ إلى قوله:

تجافَ عنِ الدُّنيا فَمَا **لمعجّزٍ** ولا **عَاجِزٍ** إلا الذي خطّ بالْقَلَمْ

فقال له **الغزال [يحيى بن حكم]** [(١)]، وكان في الحلقة، وهو إذ ذاك حدثٌ نظّامٌ متأدب ذكي القريحة: أيها الشيخ، وما الذي يصنع **مُفَعَّل** مع **فاعل** فقال له: كيف تقول؟ فقال: كنت أقول: فليس **لعاجز ولا حازم**، فقال له **عباس**: والله يا بني لقد طلبها عمُّك فما وجدها [(٢)].

---

(١) هو يحيى بن حكم وقد لقب "بالغزال" بتخفيف الزاى؛ لوسامته وجماله، ولد سنة ١٥٦هـ، وتوفى سنة ٢٥٠هـ، وهو ابن أربع وتسعين سنة. وبذلك يكون قد أدرك خمسة من أمراء الدولة المروانية بالأندلس وهم:

١- عبد الرحمن بن معاوية، الملقب بالداخل ٢- هشام بن عبد الرحمن

٣- الحكم بن هشام ٤- عبد الرحمن (الأوسط) بن الحكم

٥- محمد بن عبد الرحمن. وهذا معنى قول الغزال:

أَدرَكتِ بِالمِصرِ مُلوكاً أَربَعَه وَخامِساً هَذا الَّذي نحنُ مَعَه

وقد حقق ديوانه وشرحه وقدم له: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، ط١، ١٩٨٢

(٢)نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٢ / ٢٦١

وقد أكثر **الجزيري** من التوازي الصرفي على طول القصيدة من بدايتها إلى نهايتها على المستويين الأفقي والرأسي في هندسة معمارية واضحة، وتشكيل فني يأسر اللب، ويأخذ القلب.

أولا: التوازي الصرفي الأفقي

وفي هذا النمط تكون جزئيات البيت ونُوِيَّاته قائمة على التوازي من خلال التراكيب المتوازنة، والعبارات المتساوية، والجمل المتساوقة من الناحية الصرفية والبنى المورفولوجية.

وقد وصل عدد الأبيات المتوازية صرفيا في القصيدة إلى ثمانين بيتا، أي بنسبة ٣٦ % من عدد الأبيات، وقد توزعت هذه الصيغ الصرفية ما بين الأفعال والأسماء.

توازي الأفعال

وقد شمل التوازي الصرفي الأفقي في قصيدتنا كل أزمنة الأفعال، وإن أكثر الشاعر من توازي فعل الأمر ثم المضارع، بينما ورد الفعل الماضي – متوازيا – على ندرة، وذلك عبر شطر واحد أو شطرين، على النحو التالي:

– توازي فعل الأمر

كان لفعل الأمر الحضور المهيمن والصفة السائدة في سطح القصيدة وبنيتها؛ كما توازى هذا الفعل أيضا عبر شطر واحد من البيت أو عبر الشطرين معا، وذلك وفق هندسة تشكيلية بديعة، وقد أخذ هذا التوازي إحدى الصور العشر التالية حسب مواقع وروده:

١– صدر الشطر الأول مع صدر الشطر الثاني

ومنه قول الجزيري:

أَوسِعهُما برّاً وَلا تَنهَرهُما **وَامنَحهُما** قَولاً كَريماً وَاِشكُرِ

٢– صدر الشطر الأول مع حشوه

ومنه قول الجزيري:

وَارضَ القَضاءَ **وَدِن** بِصَرفَيهِ مَعاً للأَوَّلِ العالي الصِفات الآخرِ

٣–صدر الأول مع عجزه

ومنه قول الجزيري:

وَاجعَل إِمامَكَ وَحيَهُ الهادي **وَخُذ** مِن عِلمِ مُحكَمِهِ بِحَظٍّ أَوفَرِ

٤– صدر الأول وصدر الثاني

ومنه قول الجزيري:

وَاصدُق حَديثَكَ كُلَّ مَن حَدَّثتَهُ **وَاصدَع** بِحَقٍّ في قَضائِكَ تُشكَرِ

٥– صدر الشطر الأول مع عجز الثاني

ومنه قول الجزيري:

وَادفَع بِكَظمِ الغَيظِ آفَةَ غَيِّهِ فَإِن اِستَخَفَّكَ مَرَّةً **فَاستَغفِرِ**

٦– حشو الشطر الأول مع حشو الثاني

ومنه قول الجزيري:

وَصراطَهُ **فَاتبَع** مَناهِجَ سُبلِهِ وَسُتورهُ **فَاشدُد** عُراها تسترِ

٧– عجز الشطر الأول وعجز الثاني

ومنه قول الجزيري:

وَإِذا دُفِعتَ إِلى قَرينٍ **فَابلُهُ** قَبلَ التَفاوُضِ وَالتَشارُكِ **وَاخبرِ**

٨– صدر الثاني وعجزه

ومنه قول الجزيري:

وَأَخافُ فاجِئَةَ المِنونِ فَإِن تَكُن **فَاقنِ** العَزاءَ فَدَتكَ نَفسي **وَاصبِرِ**

٩– حشو الثاني وعجزه

ومنه قول الجزيري:

قَد أَنذَرتكَ بِحُكمِها فيمَن خَلا أَمثالُهُ **فانظُر** لِنَفسِكَ أَو **ذَرِ**

١٠- توازي الأمر في عجز الثاني

ومنه قول الجزيري:

وَيَزيدُ بِالأَعمالِ وَهوَ بِنَقصِها في حالِ نَقصٍ **فَاستَدمها وَاذخرِ**

وقوله أيضا:

ولِكُلِّ ذي رَحمٍ وَقُربى حُرمَةٌ وَلِكُلِّ جارٍ **فارعّها وَتَذَكَّرِ**

ولا شك أن هذا التوازي قد أدى دورا مزدجا في تلكم الصور العشرة من الناحيتين الدلالية المعنوية والتطريبية الإيقاعية، وإن اتضحت هذي في الصورة الأخيرة؛ حيث إن تجاور اللفظين في العجز يؤدي جرسا موسيقيا هائلا، كما يعمل على سهولة استخراج القافية، فضلا عن احتضان القافية لهذا **الترادف السياقي** بين (**استدامة العمل وذخره**)، و(**رعاية القربى وتذكره**).

وقد كان أكثر توازي فعل الأمر –كما رأينا – **ثنائيا**، سواء أكان ذلك عبر شطر واحد أم عبر الشطرين، بيد أن كثرة النصائح وازدحام المواعظ في القصيدة أحيانا ما يؤدي إلى انفجار الأمر فيرد آنئذ ثلاثيا أو رباعيا في البيت الواحد.

فمن الثلاثي بكافة مواقعه قوله:

وَاستَصحِب الوَرَعَ النَزيهَ **وَجانِب** الط طَبعَ السَفيهَ بِكُلِّ حالٍ **وَاهجُرِ**

وقوله:

وَإِذا أَتَيتَ نَدِيَّ قَومٍ **فَالقَهُم** بِاسمِ السَلامِ **وَرد** بِحِلم **وَاصدُرِ**

وقوله:

وَاكفَل بِوَعدِكَ **وَارعَ** كُلَّ أَمانَةٍ **وَاختَر** لِنَفسِكَ خُطَّةَ الوافي السَري

وقوله:

جاهِد وَصَلِّ مَعَ الأَئِمَّةِ كُلِّهِم **وَاسمَع** لَهُم وَلِأَمرِ كُلِّ مُؤَمَّرِ

ومن الرباعي قوله:

وَ**اخزِن** لِسانَكَ وَ**احتَرِس** مِن لَفظِهِ وَ**احذَر** بوادِرَ غَيِّهِ ثُمَّ **احذَرِ**

– توازي الفعل المضارع

وقد توازى الفعل المضارع عبر شطر واحد أو عبر شطري البيت، وقد أخذ ذلك أيضا أكثر من موضع، ومن ذلك قول **الجزيري**:

تَسمو إلى ذي العِلمِ أَبصارُ الوَرى **وَتغضُّ** عَن ذي الجَهلِ لا بَل **تَزدَري**

وقوله:

مِن غَيرِ أَن **يُحصوا** حَقيقَةَ كُنهِه أَو **يُدرِكوا** حَدّ الرواء المِصَرِ

وقوله:

وَذوو الكَبائِرِ في مَشيئَةِ رَبِّهِم إِمّا **يُعَذِّبَهُم** وَإِمّا **يَغفِرِ**

وقوله:

واجعَل لِوَجهِ اللهِ سَعيَكَ خالِصاً **يُذخر** لَكَ الحَظُّ الجَزيلُ **وَيثمرِ**

وفي هذا الإطار ووفقا للأمثلة السابقة يمكن ملاحظة أمر في غاية الأهمية ألا وهو أننا قد وسعنا من مفهوم التوازي الصرفي ليغدو الأمر أكثر ارتباطا بالزمن النحوي، سواء تساوى ذلك الفعل مع نظيره بنيويا أو اختلف معه مورفولوجيا، أي أننا نؤكد على المماثلة والمشابهة بين الأفعال المتوازية أكثر من المطابقة الصرفية والتكرار الاشتقاقي.

توازي الأسماء

وقد نوع **الجزيري** من التوازي الصرفي الاسمي عبر مجموعة من الصيغ الاشتقاقية، من اسم الفاعل، واسم المفعول، أو بعض الصيغ الأخرى مثل: تفعُّل، مُفعَّل، تفاعُل ... إلخ.

– صيغة (اسم الفاعل)

وقد ورد اسم الفاعل متوازيا بكثرة في القصيدة، وإن كان ثمة مراوحة بين اسم الفاعل من الفعل الثلاثي وغير الثلاثي، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

وَارضَ القَضاءَ وَدِن بِصَرفَيهِ مَعاً للأَوَّلِ **العالي** الصِفات **الآخرِ**

وقوله:

أَبلِغ عُبَيدَ اللهِ صِنوَكَ أَنَّني لِفراقِهِ **كَالسادِرِ المُتَحَيِّرِ**

وقوله:

وَبِحالِ قُربي مِن مَطالِعِ زُهرِها حالَ القصيِّ **الثاكِلِ المُستَعبِرِ**

وقوله:

وَالسَيفُ يُكسِبُهُ البَهاءُ حَلاوَةً وَفِعالُهُ **لِلعاضِدِ المُتَأَخِّرِ**

وهكذا كان أكثر ورود التوازي في صيغة اسم الفاعل في الشطر الثاني فقط، وفي العجز منه، إضافة إلى المزاوجة بين اسم الفاعل من الثلاثي ومن غير الثلاثي، وذلك في لفظين مسكوكين، أو في ترادف سياقي بين (العاضد والمتأخر)، و(السادر والمتحير)، و(الثاكل والمستعبر)، وذلك وفق تآلف معنوي وانسجام دلالي، ينبعث من هذه الألفاظ الملوكة وتلك الكليشيهات الجاهزة.

صيغة (تَفَاعَلُوا)، ومن أمثلتها قول الشاعر ناصحا واعظا أولاده:

وَتَناصَفوا وَتَقارَضوا البِرَّ الَّذي هُوَ حلَّةُ العاري وَكَنزُ المقترِ

وَتَواصَلوا وَتَعاطَفوا كيما تُرَوا وَزِنادُكُم في كُلِّ صالِحَةٍ وري

صيغة (تَفَاعُل)، ومنه قول الشاعر:

إِنَّ **التَعاشُرَ** في الأَنامِ **تَشاكُلٌ** وَلِذاكَ يُلفى الجبنُ في النَطفِ الثري

ولا شك أن تلكم الصيغة الصرفية (**تَفَاعُل**) تحتاج إلى المشاركة والمفاعلة بين أكثر من طرف، وقد بدا ذلك جليا من خلال النصائح والمواعظ والحكم التي حرص الشاعر / الأب على إلقائها على المتلقي / الأبناء، ولن يكون ذلك إلا بالعمل على التناصف، والحرص على تقارض البر والتواصل والتعاطف، ولعل هذه الأخلاق السامية والمثل العالية لا تنبع إلا من التعاشر والتشاكل فيما بينهم.

صيغة (تفعُّل)، ومن أمثلتها قول الشاعر:

أَلوى بِعَزمِ **تَجَلُّدي وَتَصَبُّري** نَأيُ الأَحِبَّةِ وَاعتِيادُ تَذَكُّري

وقوله:

وَتَقَبَّلوا نُصحي وَكونوا أُسوَةً فيهِ بِصِدقِ **تَأَمُّلٍ وَتَدَبُّرِ**

وقوله:

دارُ **التَقلّب وَالتَغَيُّر** إِن تَرُح بِمَسَرَّةٍ أَو نِعمَةٍ لَم تَبكرِ

ولعل هذه الصيغة (**تفعُّل**) تحتاج إلى تعمُّل وتصنُّع وإعمال الجهد ونضح الجبين؛ إذ إن ثمة فارقا بين (الجلد والتجلد)، و(الصبر والتصبر)، و(الذكر والتذكر)، والأمر كذلك مع (التأمل، والتدبر والتقلب، والتغير)، وهكذا كانت العلاقة وثيقة بين صيغة الدال ودلالته المُنتجَة.

وفي هذا الإطار يقول **ابن الأثير**:" اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلابد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا ... فإن زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني" [(١)].

ومن الصيغ الاشتقاقية الأخرى المتناثرة عبر القصيدة:

صيغة (مُفَعِّل)، ومن أمثلتها قول الجزيري:

– قَد قَسَّمَ التَوديعُ لَحظَ جُفونِها قِسمَينِ بَينَ **مُعَرِّضٍ وَمُعَبِّرِ**

صيغة (مستفعل)، ومن أمثلتها قول الشاعر:

– خَرس اللِسانُ كَأَنَّما **مُستَنطِقٌ** طَلَلاً بِرَبعٍ مُقفِرِ

صيغة (مُفَعِّل)، ومن أمثلتها قول الشاعر:

– وَاذكُر سِواهُم بِالجَميلِ وَلا تَكُن **بِمُقَدِّمٍ** فيهِم وَلا **بِمُؤَخِّرِ**

صيغة (مُتَفَعِّل)، ومن أمثلتها قول الشاعر:

---

(١) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ، ٢/ ١٦٧

– لا تُلفين **مُتَجَسِّساً** ذا غِيبَةٍ **مُتَظَنِّناً** يقضي بِما لَم يَخبُرِ

صيغة (مَفْعِل / مَفْعِل)، ومن أمثلتها قول الشاعر:

بَل لَيتَ شِعري هَل تُلَبّي دَعوَتي بِإِجابَةٍ في **مَجلِسٍ أَو مَحضَرِ**

وقوله:

حَصِّل بِعَقلِكَ كَم لَها في طَرفَةٍ مِن **مَقصدٍ أَو مُثبتٍ أَو مُشعرِ**

وأحيانا ما يتم التوازي الصرفي عبر أكثر من صيغة صرفية اشتقاقية في شطر واحد من البيت، ومن ذلك قول **الجزيري**:

يا رُبَّ عالي القَدرِ مَمنوعِ الحِمى **مُتَخَيِّلٍ مُتَشاوِسٍ مُتَجَبِّرِ**

حيث ورد التوازي هنا عبر صيغتين صرفيتين في ثلاث كلمات على النحو التالي: (**مُتَفَعِّلٌ – مُتَفَاعِلٌ – مُتَفَعِّلٌ**).

ولا غرو في أن الأبيات الثلاثة الأخيرة لها وقع موسيقي جذاب، ونغمة إيقاعية آسرة؛ حيث تساوقت الصيغة الصرفية الاشتقاقية مع التقطيع العروضي المتماثل لتفعيلة (**الكامل**) مما أحدث نغما صوتيا مزدوجا، ناهيك عن الدلالة المتولدة عن البنية اللفظية.

وقد يرد في بعض الأحيان **تواز صرفي** متقاطع مع **تواز نحوي** على مستوى البيت أفقيا، ومن ذلك قول **الجزيري**:

وَإِذا عَراكَ الخَيرُ فَاشكُر وَانشُر وَإِذا عَراكَ الشَرُّ فَاصبِر وَابشِرِ

وقوله:

قَد أَوعَبَ التَكوينُ كُلَّ مُكَوَّنٍ مُذ أَحكَمَ التَقديرُ كُلَّ مُقَدَّرِ

وقوله:

فَاستَبِق دينَكَ دونَ عِرضكَ تُؤجَرِ وَاستَبِق عرضكَ دونَ وَفرِكَ توقرِ

هكذا فكل كلمة من الشطر الأول قد توازت صرفيا، وتساوت نحويا، وتواءمت تركيبيا مع الشطر الثاني، وهذا ما سيتم تناوله بالتفصيل في مبحث " التوازي التركيبي".

ثانيا: التوازي الصرفي العمودي

ويتكئ هذا النوع من التوازي على تكرار صيغ صرفية معينة وتيمات اشتقاقية مورفولوجية محددة على المستوى الرأسي، مع ملاحظة أن هذا النوع من التوازي قد تناثر ما بين التوازي المتوالي المتصل، والتوازي المتشظي المنقطع، وقد زاوج **الجزيري** بينهما في مراوحة بين التنغيم السيمتري في إيقاع متتابع، وبين الموسيقى المتقطعة ذات اللحن المتخالف، وذلك في هارموني رائع وفق سيمفونية متباينة الألحان، متغايرة التوقيعات، تؤدي إلى البعد عن الملل، وتكسر حدة التوقع، وتخفف من رتابة الانتظار.

وقد تعددت الصيغ الصرفية التي انتشرت عبر سطح القصيدة رأسيا، وإن كان فعل الأمر يعد أهم الأساليب الاشتقاقية التي لجأ إليها **الجزيري**؛ حيث بلغ التوازي الصرفي لهذا الفعل في بداية الأبيات عبر القصيدة كلها ثمانية وخمسين مرة في موازاة ذات دلالة مزدوجة؛ إيقاعيا ومعنويا، كما سنرى.

وتبدأ رحلة الأمر في القصيدة من البيت الحادي والعشرين، ثم ينقطع الأمر حتى البيت الثامن والعشرين، ثم بعد ذلك ينقطع فعل الأمر في فجوة زمنية كبيرة حتى نأتي إلى البيت الثاني والسبعين فتتابع بكثافة صيغة الأمر في أربعة أبيات متتالية وفق التوازي الآتي:

فَاندُبهُما حَيَّينِ وَابكِ عَلَيهِما فَكِلاهُما مَيتٌ وَإِن لَم يُقبَرِ

وابكِ الغَريبَينِ اللذَينِ تَبَدَّلا بِالدارِ وَالأَهلَينِ أَقصى الأَدورِ

وَابكِ الفَقيدَينِ اللَذَينِ تَوارَيا عَن مخبِرٍ خَبراً وَعَن مُستَخبِرِ

وَابكِ الشَجِيَّينِ اللَذَينِ طَوَتهُما حالُ الفِراقِ عَلى الجَحيمِ المسعرِ

ثم ينقطع هذا التوازي الرأسي قليلا، وإن لم ينقطع الأمر عموما، حتى نرى التوازي يعود إلى الظهور ثانية، فيتوالى في ثلاثة أبيات في قوله:

وَصراطَهُ فَاتبَع مَناهِجَ سُبلِهِ وَسُتورهُ فَاشدُد عُراها تسترِ

وَاعمَل بِطاعَتِهِ تَنَل مِنهُ الرِضا وَالقُربَ في دارِ السَلامِ وَتُخبَرِ

وَاجعَل إِمامَكَ وَحيَهُ الهادي وَخُذ مِن عِلمِ مُحكَمِهِ بِحَظٍّ أَوفَرِ

ثم تتوالى صيغة الأمر عبر ثنايا القصيدة ومنحنياتها في خمسة عشر عنقودا صرفيا متوازيا في صدر الأبيات، وقد تراوحت تلكم الأبيات المتوازية من بيتين إلى سبعة، ومن هذا قوله:

وَادفَع بِكَظمِ الغَيظِ آفَةَ غَيِّهِ فَإِن اِستَخَفَّكَ مَرَّةً فَاستَغفِرِ

وَاخفِض كَلامَكَ وَامشِ هوناً وَالقِ مَن لاقَيتَ طَلقاً لا بِخَدٍّ أَصعَرِ

وَتَجَنَّبِ الخُيلاءَ إِنّ نَبِيَّنا كَرِهَ المخيلَةَ وَهيَ فَضلُ المِئزَرِ

وَاصدُق حَديثَكَ كُلَّ مَن حَدَّثتَهُ وَاصدَع بِحَقٍّ في قَضائِكَ تُشكَرِ

وَاكفُل بِوَعدِكَ وَارِعَ كُلَّ أَمانَةٍ وَاختَر لِنَفسِكَ حُطَّةَ الوافي السَري

وَاحفَظ يَمينَكَ وَاطوِ سِرَّكَ رقبةً وَاكتم حِفاظاً سِرَّ غَيرِكَ وَاستُرِ

وَاحفَل بِشَأنِكَ إِنَّ فيهِ شاغِلاً لَكَ عَن سِواهُ فَاتَّعِظ وَتَبَصَّرِ

ويستمر هذا التوازي الأمري حتى نهاية القصيدة في أربعة أبيات متتاليات، كما في قوله:

فَخُذوا بِأَحسَنِها تَكونوا أُسوَةً لِلصّالِحينَ وَكُلِّ برٍّ خَيِّرِ

وَتَقَبَّلوا نُصحي وَكونوا أُسوَةً فيهِ بِصِدقِ تَأَمُّلٍ وَتَدَبُّرِ

وَتَناصَفوا وَتَقارَضوا البِرَّ الَّذي هُوَ حلَّةُ العاري وَكَنزُ المقترِ

وَتَواصَلوا وَتَعاطَفوا كيما تُرَوا وَزِنادُكُم في كُلِّ صالِحَةٍ وري

ولا شك أن هذه الصيغة الصرفية النجوية " **فعل الأمر**" ذات أهمية كبيرة سواء من الناحية الصوتية والنغمة الموسيقية التطريبية، أو من الناحية المعنوية الدلالية، وخصوصا أن هذا الأمر قد جاء معظمه في صدر الأبيات، أما في حشوها فكان أكثر وروده في الشطر الأول منها، أي في صدر البيت الذي يلائم المبادرة إلى الأمر، والحث على النصح، أما ما جاء في العجز منه فقد ورد في كلمات القافية، وربما لهذا أيضا دلالة إيقاعية وأهمية معنوية لا تنكر؛ إذ القافية بؤرة الدلالة، وبوح المعنى.

ومن البدهي أن تكثر الصيغ الأمرية وتتوالى؛ حيث إن هذه القصيدة في الآداب والحكم والنصائح، ومن ثمة فقد وقف **الجزيري** / الأب موقف المؤدب والواعظ الذي ينصح أولاده، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن سفسافها ومحاقرها، ولذلك كان من الطبيعي أن تنفجر بفعل الأمر وتغص به، سواء أكان ذلك على سبيل التوازي، أم في انتشاره وتغلغله عبر أبياتها.

وباستقراء سياقات هذا الفعل نلاحظ أنه قد خرج من معانيه الحقيقية ودلالاته الاستعلائية والفوقية؛ فلم يأت على سبيل القطع والإلزام، والجزم والإذعان، بقدر ما ورد في سياقات النصح والإرشاد؛ إذ إن ظرف القصيدة وملابساتها، وما أحاط بقائلها يجعل من دلالة هذا الفعل ليس مجرد أمريات حاسمة ونواهٍ قاطعة بقدر ما تنسرب منه الشفقة، وتنفلت منه الموعظة، ويتشبع باللين، ويتشح بالانكسار، ويتسربل بالعطف، ولهذا فقد جاء فعل الأمر متلائما مع غرض القصيدة وموضوعاتها ومتوائما مع جنسها وتيماتها.

ووفقا لظرف القصيدة يمكن القول إن الشاعر قد توزع فيها بين أزمنة ثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، وباستقراء هذي القصيدة وإحصاء أفعالها توصلنا إلى النتيجة التالية:

ورد في القصيدة ١٢٠ فعلا ماضيا، في حين أن أفعال المضارع بلغت ١١٥ فعلا، أما **الأمر** فقد بلغ ١٢٢ فعلا. فإذا ما أضفنا المضارع المجزوم بلا الناهية الذي هو بمثابة الأمر، تبين لنا أن فعل الأمر كانت له السيطرة والغلبة على ما عداه من أفعال، ولهذا فثم ارتباط وثيق بالدلالة العامة والمعاني المتغياة من القصيدة التي تستحيل في قسم كبير منها إلى مجموعة من الأوامر وثلة من المواعظ والنصائح، وقد كانت الحالة النفسية التي عاشها **الجزيري** عبر سجنه واعتقاله قمينة بأن تجعل منه حكيما واعظا، ومؤدبا ناصحا؛ إذ إن البعد عن الأولاد وفراق الزوجة والأحباب يفجِّر الطاقات الكامنة للحنو والعطف، إضافة إلى أن زيادة الأفعال الأمرية تؤدي دلالة أخرى تتمثل في المستقبل المأمول الذي يستشرفه بعيدا عن الواقع السَّيئ المعيش والحاضر الممزق المأزوم.

ولعل إكثار الشاعر أيضا من **الأفعال الماضية** يبدو أمرا بدهيا، خصوصا وأننا ألفينا القسم الأول من القصيدة تكثر فيه هذه الأفعال، وتكاد تختفي فيه أفعال الأمر والمضارع؛ وقد كان من

الطبيعي أن يكثر الشاعر من الحديث عن الماضي والأحداث السابقة التي مرت عليه، وكأنها شريط من الذكريات، يمر أمام ناظريه وعلى مخيلته، مستخدما تقنية الفلاش باك الروائية، ولم لا؟ وقد كانت له — في ماضيه – مكانته وسطوته، وهيبته وعظمته، بوصفه وزيرا مقربا، ونديما مبجلا، إن الماضي إذن يمثل **للجزيري** الزمن الذهبي الذي مر ويتمنى أن يعود، وأنى له ذلك!!

أما **الأفعال المضارعة** فقد كان من الطبيعي أن تكون أقل من الأفعال الماضية والأمرية؛ حيث إنه يعيش واقعا مريرا، وحاضرا مهمشا في سجنه ومعتقله، إضافة إلى أن هذه الأفعال المضارعة يمكن تقسيمها إلى أفعال صحيحة وأفعال مجزومة، حيث ورد الفعل المضارع ثماني وعشرين مرة مجزوما بلم، وعشر مرات مجزوما بلا الناهية، بالإضافة إلى وروده خمس مرات في مقام الاستفهام، كما جاء هذا المضارع أيضا في مقام الشرط ثماني عشرة مرة.

أي أن تلكم الأفعال المضارعة قد تراوحت ما بين الأفعال الصحيحة التي تعبر عن واقع السجن وحاضر الاعتقال، أو الأفعال المجزومة المنفية، أي أنه واقع مجزوم، وحاضر منفي، أو مشروط، **فالجزيري** — إذن – وإن عاش حاضرا، فإنه يحيا بين منعطفات الاعتقال، وحنايا النفي، ودهاليز التهميش، ودروب التشيؤ.

ومن ثم فقد كثرت الأفعال الماضية والأمرية قياسا بالمضارعة؛ وذلك لأن **الجزيري** إنما كان يعيش بين ثلاثة أزمنة، بين ماض مشرق، كان فيه ملء السمع والبصر، وحاضر مُتَهَرِئ، يعيشه ويكابده، ومستقبل مُؤَمَّل، يستشرفه ويحلم به.

ونختم **التوازي الرأسي** بهذا المثال الطريف الذي يرد فيه حرف الميم في ثلاث كلمات اشتقاقية متوازية على المستوي العمودي بين شطري البيتين في العجز في متواليتين على النحو التالي:

حَصِّل بِعَقلِكَ كَم لَها في طَرفَةٍ مِن **مَقصدٍ** أَو **مُثبتٍ** أَو **مُشعرِ**

يا رُبَّ عالي القَدرِ مَنوعِ الحِمى **مُتَخَيِّلٍ مُتَشاوِسٍ مُتَجَبِّرِ**

ولا شك أن مثل هذا النوع من التوازي قد أعطى للبيتين نغمة موسيقية وتطريبا إيقاعيا على درجة عالية، فضلا عن الدلالة المتولدة من هاتيكم الصيغ الاشتقاقية الست.

القافية النوعية categorielle

القافية الاشتقاقية أو التصريفية هي انتظام كلمات القافية في بنية صرفية واحدة، ولا شك أن التماثل الصوتي يتجاوب معه تماثل نحوي في الوظيفة والتركيب، وتماثل مورفولوجي في الدلالة والمعنى.

وتعرف هذي القافية بأنها " انتماء بعض كلمات القوافي إلى أجواء دلالية واحدة مع بعض التماثل الصوتي المصحوب بتماثل دلالي يضاعف من التشابه الصوت – دلالي لكلمات القوافي"(١).

وقد تعددت الصيغ الصرفية التي وردت فيها القافية الاشتقاقية، وهذا أمر بدهي؛ لأن التراكيب الوصفية هي الأكثر تواترا، كما سنرى، ومن أهم الصيغ الاشتقاقية ما يلي:

صيغة (اسم الفاعل)

وقد أكثر الشاعر من استعمال اسم الفاعل من غير الثلاثي، ومن ذلك قول **الجزيري**:

أَبلِغ عُبَيدَ اللهِ صِنوَكَ أَنَّني لِفراقِهِ **كَالسادِرِ المُتَحَيِّرِ**

وقوله:

وَبِحالِ قُربي مِن مَطالِعِ زُهرِها حالَ القصيِّ **الثاكِلِ المُستَعبِرِ**

وقوله:

أَسَفي عَلى فَقدِ المتاعِ بِحُسنِها وَظِلالِها وَنَسيمها **المُتَعَطِّرِ**

وينظر أيضا في القصيدة الصيغ التالية: المتحير، المشتري، المستعبر، المعتري، المحضر، مفطري، المستوزر، المدبر، مفتري، مستبصر، مستخبر، متأخر، متذكر، المخسر، المنذر، المتعثر، المتأخر، مسفر، المكثر، الممتري، المنشر، متجبر، ، المتفكر، المستنكر، المقتر، المستغفر، مستقدر، المتخير، مقصر، المكسر، معبر، معصر، موزر، معذر، المقتر، المهجر، المعسر، المصغر، المبصر، الموسر، المخبر، مبشر.

(١) يسرية يحي المصري، بنية القصيدة في شعر أبي تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧، ص١١٧

صيغة (يفعل / تفعل)

ويقصد بها تردد صيغة الفعل المضارع بكل ظهوراته عبر منحنيات القصيدة ودروبها، مع العلم بأنها لم ترد إلا في سياقات النفي والشرطية، ومن ذلك قول **الجزيري**:

شَحطَ المزارُ فَلا مَزارَ وَنافَرَت عَيني الهُجودَ **فَلا** خَيالٌ **يَعتَري**

وقوله:

وَطَوى سُروري كُلَّهُ وَتَلَذُّذي بِالعَيشِ طَيَّ صَحيفَةٍ **لَم تُنشرِ**

وقوله:

فَعَلَيكَ تَقوى اللهِ فَالزَمها تَفُز وَحُدودهُ **حافِظ** عَلَيها **تُؤجَرِ**

وقوله:

وَالحَوضُ حَقٌّ وَالشَفاعَةُ مِثلهُ لا يُشكِلانِ عَلى اِمرئٍ **لا يَمتَري**

وينظر أيضا: أشعر، يصغر، يذكر، يقدر، يغبر، يقبر، تصدر، تؤجر، يستر، تجبر، تزدري، يطهر، تمهر، يثمر، يخسر، يغفر، يكفر، تكفر، تذخر، تشكر، تظهر، تؤجر، يحضر، يخبر، يسخر، ينظر، تحجر، تبكر، يبصر، تعذر، تقدر، يتكثر، تؤثر، تعذر، توقر، يعذر، تخطر.

صيغة (أفعل)

وهي صيغة أفعل التفضيل، من ذلك قول **الجزيري**:

وَإِذا الفَتى فَقَدَ الشَبابَ سَما لَهُ حُبُّ البَنين وَلا كَحُبِّ **الأَصفَرِ**

وقوله:

وَيَكادُ مَن يَرقى إِلَيهِ مَرَّةً في عُمرِهِ يَشكو اِنقِطاعَ **الأَبهَرِ**

وقوله:

وَاجعَل إِمامَكَ وَحيَهُ الهادي وَخُذ مِن عِلمِ **مُحكَمِهِ** بِحَظٍّ **أَوفَرِ**

وينظر أيضا: أزور، الأبتر، الأصفر، الأحمر، الأسطر، الأصفر، الأدهر، أحضر، الأعصر، أشهر، الأزهر، الأدفر، الأكبر، أكثر، أبحر، الأدور، أوفر، الأنور، الأشهر، الأعفر، أصعر، الأعور، الأحسر، الأبهر، أيسر، الأخضر، أسطر، الأثر، الأشهر، الأغبر.

صيغة (مفعل)

ولعل تأثير المكان بما يحويه من اعتقال وسجن كان له كبير أثر في تردد مثل هذه الصيغة عبر كلمات قافيته، وكأنه يريد أن يذكر المتلقي أيا كان (أولاده / المنصور) بمكانه ومعتقله، علهم يرأفون بحاله ويرثون لمآله. ومن ذلك قول **الجزيري**:

في رَأسِ أَجرَدَ شاهِقٍ عالي الذُرا ما بَعدَهُ لِمُوَحِّدٍ مِن مَعصرِ

وقوله:

فَكَأَنَّ مَعمورَ المَنازِلِ حَولَهُ ضيقاً وَإِظلاماً مَلاحِدَ مَقبرِ

وينظر أيضا: منظر، محجري، محضر، ميسر، مصدر، مفخر، المحشر، المظهر، المتجر، المشعر، معمر.

صيغة (افعل)

وقد وردت صيغة فعل الأمر في القافية، وإن كان قليلا؛ لأن أكثر إيراده كان في صدر الأبيات- كما رأينا – وقد يتعانق الأمر بين بداية البيت ونهايته؛ وذلك لتواشج الأمر، وانتشار النصح، واستشراء الوعظ، وكثرة الحكم، ومن ذلك قول **الجزيري**:

وَأَخافُ فاجِئَةَ المَنونِ فَإِن تَكُن **فَاقنِ** العَزاءَ فَدَتكَ نَفسي وَ**اصبِرِ**

وقوله:

وَ**امنَحهُمُ** مَحضَ الودادِ وَقَدِّم ال عُمَرَينِ في كُلِّ الفَضائِلِ وَ**ابدُرِ**

وينظر أيضا: ابشر، اخبر، اشكر، اهجر، اخبر، اصدر، احذر، استغفر، استر، اشعر.

وهكذا يمكن القول إن تكرار صيغة اشتقاقية ما ثم تغييرها له أثر كبير على المتلقي، أي أن تأسيس القصيدة على قافية صرفية ما ثم مناوبتها بأخرى إنما يكسر نمط الإيقاع المتكرر عن طريق

المزاوجة بالتغيير والمراوحة بين العديد من الصيغ؛ وذلك للابتعاد عن الرتابة، وكسر حدة التوقع، وتجنب الملل الناشئ من التتابعية والسيمترية والمشابهة الصوتية، ومن ثمة إيقاظ وعي المتلقي، وإنقاذه من وطأة الاستسلام ووهدة الإذعان إلى قافية موحدة وسيطرة نمط معين من الأداء.

وإذا كان الشاعر قد حقق لقافيته نوعا من الثبات، وضمن لها قدرا من الانتظامية، فإنه قد خلق لها أيضا مسحة من مرونة، وذلك من خلال التنويعات المختلفة والصيغ المتباينة والإيقاعات المتغايرة لأوزان كلماتها.

ولا شك في أن التوازي الصرفي كغيره من أنساق التوازي الأخرى يؤكد الوظيفتين الإيقاعية الموسيقية والدلالية المعنوية التي يقوم عليها أي نص؛ إذ إن التشابه الصوتي غالبا ما يئول إلى تقارب دلالي، والتوازي الصرفي قد يؤدي إلى تواز معجمي وفقا للدلالة المصاحبة والمعنى المراد.

المبحث الثالث

التوازي النحوي grammatical parallelism

ويطلق على هذا النوع أيضا **التوازي التركيبي** structure parallelism أو **التوازي البنائي** synthetc parallelism، وكلها مصطلحات تؤدي مفهوما واحدا ومعنى متقاربا، يمكن بوتقته واختصاره في تكرار الصور النحوية والتراكيب البنائية وتماثلها وتطابقها، أو تقاربها وتشابهها.

وقد أولى النقاد المحدثون هذا النوع من التوازي أهمية كبيرة؛ حيث لاحظ **هوبكنس** " أن تكرار الصورة النحوية نفسها إلى جانب عودة الصورة الصوتية نفسها المبدأ المكون للأثر الشعري "[١]. .

وفي ذلك يرى **ياكبسون** في مقالته " **شعر النحو ونحو الشعر** " poetry grammer and grammer poetry أن النظم المتوازية للفن القولي تساعدنا على توضيح الرؤية النافذة إلى ما يعنيه المتحدثون للمرادفات النحوية[٢]. كما يؤكد **ياكبسون** أيضا في مقالته الرئيسة عن **التوازي النحوي ووجه الروسي** grammatical parallelism and its Russian fact أهمية التوازيات لفهم التكافؤات (المتوازيات) اللغوية أو التطابقات [٣].

كما اهتم **سمويل ليفين** s.r.levin بهذا النمط التركيبي، وذلك إبَّان حديثه عن الازدواج / التوازي، وفي ذلك يقول:" إن البنية التي تحتل فيها الأزواج المتماثلة تماثلاً طبيعياً مواقع متوازنة أقوى من تلك التي تحتل فيها الأزواج مواقع متقابلة فحسب، فضلاً عن ذلك إننا نلقى تماثل المواقع يمكن أن يحتوي زوجاً من التماثلات الطبيعية"[٤].

---

(١) قضايا الشعرية، ص٦٦

(٢) البديع والتوازي، ص ١٦

(٣)نفسه ، ص١٦

(٤)سمويل ليفين، البنيات اللسانية في الشعر، ترجمة: محمد الولي والتوزاني خالد، منشورات الحوار الأكاديمي، دار الخطاب، ١٩٨٩،ص٦

ومن ثمة فإن" الصيغ التي تظهر في الموازنات الشعرية هي في الآن نفسه أطراف لبدلين مختلفين: أحدهما بدل من نمط المتماثلة موقعياً، وثانيهما بدل من نمط المتماثلة طبيعياً ... وبهذا فإن التراكيب في الشعر لا تعد مجرد أداة يمكن أن نثبت فيه أية صيغة لغوية مستجيبة لشروط النحو وتوصل رسالة معينة، وإنما هو يتضمن سلسلة من الكلمات المرتبطة برباط أنماط خاصة من التماثلات" (١).

و يقوم التوازي التركيبي على آلية تأليف المفردات بعضها مع بعض؛ إذ إن المفردة المعزولة لا أهمية لها في ذاتها، وإنما تكتسب أهميتها، وتتضح مكانتها حينما توضع في سياق وتركيب، وتبرز في نسق وتأليف، ولعل هذا ما أشار إليه **الإمام عبد القاهر الجرجاني** (ت٤٧١هـ) بقوله: " والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب "(٢).

ويتمثل **التوازي التركيبي** في " تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول والنغمة والتكوين النحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواضع متقابلة في الخطاب " (٣).

ويعرف **التوازي التركيبي** أيضا بأنه" سلسلتان متواليتان أو أكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية ومعجمية دلالية " (٤). وذلك على أساس أن " التوازي مركب ثنائي التكوين، أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر ـ بدوره ـ يرتبط مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه، يعني أنها ليست علاقة تطابق كامل، ولا تباين مطلق (٥).

---

(١) نفسه، ص٤٤

(٢) الإمام عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: الشيخ محمود شاكر، مطبعة المدني، جدة، ١٩٩٩، ص ٣

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢١٥

(٤) محمد كنوني، اللغة الشعرية، دراسة في شعر حميد سعيد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، العراق، ١٩٩٧، ص١١٧

(٥) تحليل النص الشعري، ص١٧٧، ١٧٨

وهكذا فإذا "كانت الأوزان الشعرية هي مرتكز هذا التوازي على المستوى الصوتي فإن أنماط الجمل النحوية وأطوالها وعلاقاتها ومواقع عناصرها هي التي تعد مظهر تحققه على المستوى النحوي مما يدخل فيما يسمى" **بنحو الشعر** "، وتؤدي ملاحظته ورصده إلى تكوين آجرومية للصيغ الشعرية كان التراث العربي فيما يبدو حافزا لاكتشافها في الشعرية الحديثة " (١).

إن التوازي التركيبي إذن إنما يتكئ على التماثل في الصيغ، ويعتمد على التشابه في البنى، ويرتكن إلى التناظر في المواقع؛ كي يؤدي في النهاية إلى تنامٍ دلالي، وتناسق موسيقي إيقاعي بين أبيات القصيدة المتوالية أو المتقطعة، تلك التي يمكن تفكيكها إلى وحدات صغرى وجزئيات دقيقة، تتوزع في صيغ مورفولوجية وتراكيب نحوية بنائية.

أي أن التوازي التركيبي هو نوع من تكرار الأنماط النحوية المتماثلة كميا والمتشابهة موقعيا، وهو يعمل على إثراء البنية الإيقاعية والتنعيم الصوتي مما يؤدي إلى الربط بين جزيئات النص والاتساق بين وحداته التفكيكية ونُويَّاته التركيبية.

هذا بالإضافة إلى أن للتوازي النحوي أهمية كبيرة؛ إذ يقوم بدور أساسي في " تشكيل البنية الحقيقية للنظام والتي تبدو للوهلة الأولى متشابكة جدا، فالمقولات النحوية تشكل هيكل اللغة وعضليتها، ولهذا يشكل النسيج النحوي للغة الشعرية جزءا كبيرا من قيمتها الداخلية"(٢).

ومن ثم يمكن للتوازي النحوي أن يكون أداة مهمة وآلية رئيسة لمقاربة التوازي الشعري في أية قصيدة، وذلك من خلال البحث عن أنماط الجمل النحوية وتقسيماتها المتنوعة وعلاقاتها المتباينة، إضافة إلى مواقع عناصرها.

وبالنظر إلى قصيدتنا يتبين لنا أن **الجزيري** قد أوتي من براعة الخلق واتقاد البديهة ورصانة الإبداع مما استطاع معه القدرة على إصابة التناسب البنائي بين الكم الإيقاعي من جهة والتركيب اللغوي من جهة أخرى، وذلك من خلال الأنساق المتكئة على التوازي النحوي الذي يحكم بنية

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص، ص، ١٩٩،٢١٥

(٢) ينظر: أفكار وآراء حول اللسانيات، ص ١١٠، قضايا الشعرية، ص ٨٢

القصيدة، ويتحكم في نظامها، كما أنه يعد أهم العناصر الرئيسة المكونة لها والمتغلغلة بين ثناياها، سواء من الناحية الأفقية أو الرأسية.

أولا: التوازي النحوي الأفقي

ويتم هذا التوازي من خلال التطابق التام أو الجزئي في كل عناصر البناء النحوي للجمل المتوازية على مستوى بناء البيت الواحد عبر شطريه.

وقد أولى **الجزيري** هذا التوازي اهتماما كبيرا في قصيدته، الذي ينقسم بدوره إلى قسمين هما:

- **توازي البنى المتطابقة (التام)**: ويستند هذا النوع من التوازي على صيغ صرفية **متطابقة** وتراكيب نحوية **منتظمة** عبر شطري البيت.
- **توازي البنى المتغايرة (الناقص)**: ويتكئ هذا النوع من التوازي على صيغ صرفية **متشابهة** وتراكيب نحوية **متقاربة** عبر شطري البيت.

وفيما يلي نورد أمثلة لكلا النوعين من القصيدة:

توازي البنى المتطابقة (التام)

ويعد هذا النوع من التوازي قليلا جدا إذا قيس بالناقص، ومن أمثلته النادرة في القصيدة قول **الجزيري**:

وَإِذا عَراكَ الخَيرُ فَاشكُر وَانشُر وَإِذا عَراكَ الشَرُّ فَاصبِر وَابشِرِ

ويمكن تحليل هذا التوازي وفق المتوالية التالية:

الشطر الأول	و	إذا	عراك	الخير	ف	اشكر	و	انشر
الموقع	**واو**	**أداة**	**فعل**	**فاعل**	**حرف**	**فعل**	**حرف**	**فعل**

النحوي	استئنافية	الشرط	ماض فعل الشرط		عطف	أمر جواب الشرط	عطف	أمر
الشطر الثاني	و	إذا	عراك	الشر	ف	اصبر	و	ابشر

ومن هذا النمط أيضا قول **الجزيري**:

فَاستَبِق دينَكَ دونَ عِرضكَ تُؤجَرِ وَاستَبِق عرضكَ دونَ وَفرِكَ توقرِ

الشطر الأول	ف	استبق	دينك	دون	عرضك	تؤجر
الموقع الإعرابي	**حرف عطف**	**فعل أمر فعل الشرط**	**مفعول به**	**ظرف**	**مضاف إليه**	**فعل مضارع جواب الشرط**
الشطر الثاني	و	استبق	عرضك	دون	دينك	توقر

ففي هذين المثالين تتكرر المواقع النحوية نفسها في تماثل تركيبي من خلال إعادة تركيب بنائي معين، ولعل التوازي النحوي هنا قد أفضى إلى توازٍ في الصيغ المورفولوجية، بالإضافة إلى التماثل الدلالي المنبعث من خلال معاني الأبيات التي تتشكل من الموازة التقابلية بين (الخير والشر)، و(الصبر والشكر) في شطري البيت الأول، إضافة إلى النصيحة المتمثلة في (استبقاء الدين دون

العرض)، و(استبقاء العرض دون المال) في البيت الثاني، ولعل ما زاد من موسيقية البيتين وإيقاعهما احتضانهما لتذييل ماتع وتصريع رائع.

وهكذا فإن التناسب في التراكيب، والسيمترية في التكرار يجعل الإيقاع يسير بوتيرة واحدة في انسيابية هادئة، وحبك متناغم، إضافة إلى اتساق هذا التناسب مع رقة الألفاظ المستخدمة، ولطافة الدوال المستعملة، وتوافق كل ذلك مع السياق والإيحاء، ومن ثم تتجلى فنية تكرار التركيب التعبيري repetition of syntagma وارتباطه الوثيق بالمعنى، وانسجامه الشديد مع الدلالة.

توازي البنى المتغايرة (الناقص)

وفي أحايين أخرى يتم تكسير التوازي النحوي التام، وذلك حينما يحدث تغيير ما – كبيرا / صغيرا – في التركيب البنائي، فيغدو من ثمة توازيا بنيويا ناقصا متغايرا.

وقد أكثر **الجزيري** من هذا النوع في قصيدته قياسا بالنوع الأول، وربما يكون ذلك أمرا بدهيا؛ إذ إن المماثلة المتكررة ضد الفن، كما أن المغايرة قرينة الإبداع، والمخالفة صنو الابتداع، وهذا مما تميل إليه القلوب الواعية والأذواق العالية؛ كسرا للملل، وتصدعا للنظام.

ومن توازي البنى المتغايرة قول الجزيري:

أَزرى بِصَبري وَهوَ مَشدودُ القوى وَألانَ عودي وَهوَ صلبُ المِكسرِ

ويمكن تحليل هذا البيت وفق المتوالية الآتية:

الشطر الأول	أزرى	بصبري	وهو	مشدود	القوى
الموقع النحوي	**فعل ماض**	**جار ومجرور مفعول به**	**واو الحال والضمير**	**الخبر**	**مضاف إليه**
الشطر الثاني	ألان	عودي	وهو	صلب	المكسر

ومنه أيضا قول **الجزيري**:

قَد أَوعَبَ التَكوينُ كُلَّ مُكَوَّنٍ مُذ أَحكَمَ التَقديرُ كُلَّ مُقَدَّرِ

ويمكن تحليل هذا البيت أيضا وفق المتوالية الآتية:

الشطر الأول	قد	أوعب	التكوين	كل	مكون
الموقع النحوي	**حرف تحقيق/ظرف**	**فعل ماض**	**فاعل**	**مفعول**	**مضاف إليه**
الشطر الثاني	مذ	أحكم	التقدير	كل	مقدر

ولعل هذين المثالين أقرب إلى التوازي التام المتطابق؛ حيث لم يختلف التركيب النحوي والصيغة الصرفية إلا في وحدة واحدة في كلا البيتين، وذلك في زيادة حرف جر في الأول، وتغير الوحدة في الثاني.

ومن شبه التام أيضا قول الجزيري:

وَصراطَهُ فَاتبَع مَناهِجَ سُبلِهِ وَسُتورهُ فَاشدُد عُراها تسترِ

ومنه أيضا قوله:

فَكَفاكَ مِن شَرٍّ سَماعُكَ خُبرَهُ وَكَفاكَ مِن خَيرٍ قبولُ المخبرِ

وبالنظر إلى هذين البيتين نرى أن التوازي النحوي لم يختلف إلا في وحدة واحدة فقط؛ فثمة مغايرة في المثال الأول بين المضاف إليه في الشطر الأول (سبله)، والفعل المضارع في الشطر الثاني (تستر). أما البيت الثاني فالاختلاف قائم في كلمة (خبره – مفعول به) وكلمة (المخبر – مضاف إليه). وكما هو واضح فإن الاختلاف قد تمثل في **العروض والضرب**، وربما يكون لهذا التغيير علاقة بالمعنى ووثاقة بالدلالة؛ حيث إن المغايرة كثيرا ما تؤدي إلى إثارة الذهن وتنبيه المتلقي

نحو التركيز على دلالة اللفظة المخالفة ومعنى المفردة المتباينة، وجلي عن البيان أن بؤرة الدلالة تتمثل في (السبيل – التستر) في البيت الأول، و(الخبر – المخبر) في الثاني.

ومن المتوازيات المتغايرة أيضا قول الجزيري:

وَاصدُق حَديثَكَ كُلَّ مَن حَدَّثتَهُ وَاصدَع بِحَقٍّ في قَضائِكَ تُشكَرِ

ومنه أيضا قوله:

وَاكفَل بِوَعدِكَ وَارعَ كُلَّ أَمانَةٍ وَاختَر لِنَفسِكَ خُطَّةَ الوافي السَري

ثانيا: التوازي النحوي الرأسي / العمودي

ويقصد بهذا النوع ذلكم التوازي النحوي المتوالي رأسيا في أكثر من بيت في القصيدة، ويؤدي هذا التوازي إلى تحفيز الإيقاع النفسي، ومن ثمة إثارة انتباه المتلقي لمعرفة مغزى هذا التكرار المتوالي والترداد المتتالي، بالإضافة إلى ما يحدثه التوازي المتصل من تناغم موسيقي ينبعث من الدوال المتوالية والصيغ المتوازية، ناهيك عن وظيفته الاتساقية ومهمته البنيوية في ربط أجزاء القصيدة بعضها ببعض، وجعلها نسيجا محكما ووحدة متماسكة.

وباستقراء هذا النوع من التوازي في القصيدة تبين لنا وجود عشرة من الحزم النحوية المتصلة والعناقيد البنائية المتكررة، وذلك على النحو التالي:

يبدأ التوازي المتصل في القصيدة من البيت الثالث والخمسين إلى الثامن والخمسين، وذلك عبر عنقودين متتاليين، وفي ذلك يقول **الجزيري** متمنيا متحسرا:

يا لَيتَ شِعري هَل لِشعبِ وصالِنا مِن شاعِبٍ وَلِيَومِهِ مِن مُبشِرِ

بَل لَيتَ شِعري هَل تُلَبّي دَعوَتي بِإِجابَةٍ في مَجلِسٍ أَو مَحضَرِ

ثم يردف القول في متوالية أخرى في الإطار المعنوي ذاته:

أَو هَل أُقَلِّبُ ناظِري فَأَراكَ في قُربي تَوَقَّدُ كَالشِهابِ الأَزهَرِ

أَو هَل أُلَذِّذُ مَسمَعي بِتِلاوَةٍ مِن فيكَ تُفصِحُ عَن لَقيطِ الجَوهَرِ

أَو هَل أجلّي خاطِري بِخَواطِرٍ لَكَ تَقتَضي وَهجَ السَراجِ النَيِّرِ

أَو هَل أُروِّحُ عَن فُؤادي ساعَةً بمشمِّكَ العَذب المشمِّ الأَذفَرِ

وهكذا في ستة أبيات متواليات تقوم على تواز نحوي متصل ناقص في نمطين مختلفين وصورتين متباينتين، أخذت الأولى بيتين فقط، والثانية أربعة أبيات متتالية، حيث يتكرر في صدر المتوالية الأولى: (ليت شعري هل)، بينما يتكرر في صدر المتوالية الثانية: (حرف عطف (أو) + أداة استفهام (هل) + فعل مضارع + فاعل مستتر + مفعول به + حرف جر + اسم مجرور).

وقد عمل هذا الأسلوب الاستفهامي المتواصل في صدر تلكم الأبيات على تنوع الأسئلة التي تؤدي إلى الحسرة والندامة التي يعيش فيها الجزيري حاضرا مهمشا في محبسه، وواقعا مأزوما ممزقا في معتقله قياسا بالزمن البعيد والماضي السعيد بين أبنائه الأحباء وزوجته الوفية؛ حيث يتوق إلى رؤياهم ويتحسس أفعالهم، ويتذكر أعمالهم.

ومن التوازي النحوي الرأسي أيضا هذه المتوالية الثلاثية الأمرية:

ابكِ الغَريبَينِ اللذَينِ تَبَدَّلا بِالدارِ وَالأَهلَين أَقصى الأَدورِ

وَابكِ الفَقيدَينِ اللَذَينِ تَوارَيا عَن مخبرٍ خَبراً وَعَن مُستَخبرِ

وَابكِ الشَجِيَّينِ اللَذَينِ طَوَتهُما حالُ الفِراقِ عَلى الجَحيمِ المسعرِ

حيث يقوم التوازي في هذه المتواليات على تماثل البناء النحوي بين التراكيب المتصلة، مع ملاحظة أن التوازي العمودي قد جاء في الشطر الأول من الأبيات فقط، حيث تشكل من فعل الأمر (ابك) + المفعول به (مثنى) + اسم موصول مثنى مذكر (اللذين) + فعل ماض + (ضمير) فاعل.

ومنه أيضا هذه المتوالية الرباعية التي تعتمد على ثلة من النصائح في قوله:

لا تَرضَيَنَّ لِمُسلِمٍ غَيرَ الَّذي تَرضى لِنَفسِكَ إِن يَغِب أَو يَحضُرِ

لا تُلفين مُتَجَسِّساً ذا غِيبَةٍ مُتَظَنِّناً يقضي بِما لَم يَخبُرِ

لا تَظلمن أَحَداً وَلا تُضمِر لَهُ حَسَداً فَتُحشرَ في الفَريقِ الأَخسَرِ

لا تَشمَتَنَّ بِمَن رَأَيتَ بِجِسمِهِ أَو حالِهِ بَلوى وَلا تَتَسَخَّرِ

حيث تتردد في هذه المتوالية (لا الناهية + الفعل المضارع المؤكد المجزوم + الفاعل المستتر + المفعول به) في صدر البيت الأول.

ومما لا شك فيه أن تكرار كلمة ما إنما يعد مرتكزا رئيسا تتراكم عليه بقية الأبيات؛ إذ إن التكرار عموما يعد بؤرة لحالات نفسية وحوصلة لمقامات شعورية؛ حيث يقوم بالإلحاح على معنى ما ودلالة محددة، ولعل وجود مثل هذا التكرار الاستهلالي يستهدف " الضغط على حالة لغوية واحدة وتوكيدها عدة مرات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسين: إيقاعي ودلالي "[١].

ومن ثم فإن تكرار النهي عبر أبيات القصيدة ومنحنياتها يؤكد على النصائح المتتالية والمواعظ المتوالية التي يلقيها **الجزيري** على أولاده عبر معتقله ومنفاه من أجل أن يغرس فيهم المثل العليا ويبذر الأخلاق الفاضلة والمعاني الإسلامية السامقة؛ كي يرتفع شأنهم، ويَنْبُه قدرهم، وتعلو نفوسهم.

ناهيك عن انتشار هذا التوازي النحوي العمودي المتقطع على طول القصيدة من بدايتها إلى نهايتها من خلال الجمل الفعلية المنهية، كما في قول **الجزيري**: لا تخرجن، لا يستفزك، لا يشعرن، لا ترضين، لا تلفين ... إلخ.

ولعل تكرار البدايات أو ما يمكن أن يطلق عليه **قافية المطالع** anfangsreim يؤدي إلى تنغيم صوتي على درجة كبيرة من التكثيف، كما يعمل على تماسك النص من خلال الربط الخطي والاتساق الشكلي القائم بين الجمل المتكررة والعبارات المتلاحقة.

ومن التوازي النحوي الرأسي أيضا: **توازي الجمل الاسمية**، وكان ذلك على ندرة، وهذا أمر بدهي؛ لطغيان الفعلية على سطح القصيدة، ومن ذلك قول **الجزيري**:

فَالماءُ تُوردهُ الدلاءُ صَفاؤهُ وَمَذاقُهُ لِلآجِنِ المتَغَيِّرِ

(١) القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، ص ١٩٣

وَالسَيفُ يُكسِبُهُ البَهاءُ حَلاوَةً وَفِعالُهُ لِلعاضِدِ المتَأَخِّرِ

ولعل هذا المثال هو المتوالية الرأسية الوحيدة التي تعبر عن تواز نحوي تام على طول البيت كله بشطريه في تماثل دقيق وتناسب رشيق في البنى التركيبية، وذلك على النحو التالي: حرف استئناف + مبتدأ + فعل مضارع + الفاعل + ... والأمر كذلك مع الشطر الثاني: واو عطف + المبتدأ + الخبر (جار ومجرور) + الصفة المجرور.

وهكذا فقد تساوت المتواليات السابقة تركيبيا مما أدى إلى خلق تواز نحوي؛ حيث تماثلت الأنساق البنائية في مواقع متوازنة بأدائها الوظائف النحوية نفسها، وقد خلق التوازي الرأسي هنا انسجاما نغميا بين المتواليات، وأسهم في وحدتها وترابطها عبر تشبيهين ضمنين، وفق سياق الوعظ والإرشاد ومنظومة النصائح والحكم.

إن هذا التوازي في البنية التركيبية وذلكم التوازن في التراكيب النحوية قد أضفى على البيتين لونا من الإيقاع الخارجي الذي نتج عن التعادل البنيوي من خلال التماثل في الصيغ الصرفية، إضافة إلى الإيقاع الداخلي الذي يسهم كثيرا في التأثير في النفس.

ومن ثم فإن التوازي التركيبي ليس قالبا فارغا ولا حلية للزينة بها فحسب، بل هو من صميم تجربة الشاعر، أي أن " البنى اللفظية ذات الصفات المتشابهة والتشاكل النحوي يؤديان وظيفتين مهمتين؛ إذ يخدمان البعد الإيقاعي بتكرار التراكيب وانتظامها من جانب، ومن جانب آخر يدعمان البعد الدلالي الذي يُقَوِّي من إيقاع الفكرة، ويقوم على تعميق المعنى وتوكيده، فهو الذي يحقق العلاقات الدلالية والطاقة الإيحائية التي تضفي على النص دلالة إيقاعية متواشجة مع تجربة الشاعر "[1].

([1]) ينظر: فاضل ثامر، مدارات نقدية؛ إشكالية النقد والحداثة والإبداع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧، ص ٢٣٦. وينظر أيضا: سامح الرواشدة، مغاني النص، دراسات تطبيقية في الشعر الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٥١، وينظر: التوازي في شعر يوسف الصائغ ، ص١٩

وبالنظر إلى جل المتواليات السابقة الرأسية يتضح لنا أنها جاءت في الصدر فقط، ومما ورد في العجز على ندرة قول **الجزيري**:

وَرُزِئتَ عمرَ أَخيكَ فَهوَ لِحالِهِ كَالغابِرِ المودي **وَإِن لَم يَغبُرِ**

فَاندُبهُما حَيَّينِ وَابكِ عَلَيهِما فَكِلاهُما مَيتٌ **وَإِن لَم يُقبَرِ**

فقد ورد التوازي هنا في عجز العجز مما أدى إلى جناس رأسي محبب مع تشابه الصيغ الصرفية وتقارب المعنى، واتساق الدلالة.

ومما له وقع في النفس وانسجام مع الروح احتلال المتوالي المتوازي الموقع نفسه في بيتين متصلين مختلفين في التركيب، متغايرين في البنية، ومن ذلك قول **الجزيري**:

وَارفُض حَديثاتِ الأُمورِ **فَإِنَّها** بِدَعٌ تُضَلِّلُ كُلَّ قَلبٍ مُبصِرِ

لا تَخرُجنَّ عَنِ الجَماعَةِ **إِنَّها** تَأتَمُّ بِالحَقِّ الجَلِيِّ الأَنوَرِ

حيث جاء المتوازي هنا في موقع متميز، هو عروض كل من البيتين المتتاليين، خصوصا إذا كان هذا المتوالي هو (**إن واسمها**)، مما عمل على إثارة ذهن المتلقي، ولفت انتباهه نحو المعنى المراد والدلالة المتغياة للخبر الوارد في عجز البيتين؛ فالشاعر في البيت الأول يتحدث عن المحدثات في الدين المخبر عنها بالبدع المضلة، التي يحذر من الوقوع فيها والنصيحة برفضها، بينما يحذر في الثاني من الخروج على الجماعة وضرورة التزامها؛ إذ إنها الحق الواضح الجلي والسراج الأنور البهي.

ومن ثمة فإن تكرار النسق المتوازي يزيد الشعر تماسكا وارتباطا لبناء وحدة الأبيات وتكامل المعنى، إضافة إلى إبراز الدلالة العامة، وذلك من خلال تعلق التراكيب بعضها مع بعض في حكم واحد؛خدمة للتماسك النصي، وخلق الوحدة في المتواليات.

إن التوازي الرأسي إذن يحقق للنص ترابطه البنائي وإيقاعه الداخلي من بداية النص إلى نهايته في تراكيب معينة تتماثل في مواقعها، وتتشابه في أماكنها، أوتتطابق، أو تتخالف، وذلك عبر البنية الخطية والبناء الشكلي.

التراكيب النحوية التقفوية

إن القافية بما تمتلكه من موقع متميز وموضع قارٍ في البيت هي بؤرة البوح، وحوصلة المعنى، ونَّوية الدلالة، وليست عكازا لفظيا، أو زخرفة شكلية مستدعاة مجتلبة، مما يعني أن الوظيفة الحقيقية لها –كما يؤكد **جون كوين** jean cohen – لا تظهر إلا إذا وضعت في علاقة مع المعنى "[1]، ولا يتم ذلك إلا من خلال السياق العام للمفردات التي تضمها والتراكيب المتباينة التي تحتويها.

وقد نوَّع **الجزيري** في إيقاعات قوافيه محققا لها ضربا من التوازي الجذاب، والتوازن الموسيقي الخلاب، وذلك من خلال التراكيب النحوية التي احتضنت حروف القافية وتضمنت كلماتها.

وإذا كان العجز في بيت الشعر يتوج التركيب ويحتضن القافية، فمن الطبيعي إذن أن يظهر فيه أثر الفن وسيما الإبداع وعبقرية الابتداع أكثر من الصدر.

وباستقراء حروف القافية وكلماتها نتبين أنها قد اشتملت على عدد من التراكيب النحوية علي النحو التالي:

١- التركيب الوصفي

وقد أفرط **الجزيري** من هذا التركيب في قوافيه، ومن ذلك قوله:

وَأراهُ عرفانُ النَوى مِن حُسنِها مَرأى مِنَ الموتِ **الزُؤامِ الأَحمَرِ**

وقوله:

وَبِحالِ قُربي مِن مَطالِعِ زُهرِها حالَ القصيِّ **الثاكِلِ المُستَعبِرِ**

٢- التركيب الإضافي

وقد ورد هذا التركيب أيضا على كثرة، ومنه قول **الجزيري**:

أَلوى بِعَزمٍ تَجَلُّدي وَتَصَبُّري نَأيُ الأَحِبَّةِ **وَاعتِيادُ تَذَكُّري**

وقوله:

(١) جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٦

فَاعمَل بِعِلمِكَ توفِ نَفسَكَ وَزنَها لا تَرضَ بِالتَضييعِ **وَزنَ المُخسِرِ**

٣- التركيب الجملي

وأكثر مجيء هذا التركيب مع الأفعال المضارعة المنفية، ومن ذلك قوله:

سِيّانِ عِندي عِلمُ مَن لَم يَستَفِد عَمَلاً بِهِ وَصَلاةُ مَن **لَم يَطهُرِ**

وقوله:

وَالحَوضُ حَقٌّ وَالشَفاعَةُ مِثلهُ لا يُشكِلانِ عَلى اِمرِئٍ **لا يَمتَري**

٤- التركيب العطفي

وقد تراوح التركيب العطفي ما بين المفردات والجمل، وقد استخدم الشاعر من أدوات العطف كلا من (الواو وأو وثم والفاء) ومن ذلك قوله:

تَرَكَ القلوبَ صَوادِياً يَحدو بِها حادي الرَدى بَينَ اللهى **وَالحنجرِ**

وقوله:

حَصِّل بِعَقلِكَ كَم لَها في طَرفَةٍ مِن مَقصدٍ أَو مُثبتٍ **أَو مُشعرِ**

وقوله:

وَاخزِن لِسانَكَ وَاحتَرِس مِن لَفظِهِ وَاحذَر بوادِرَ غَيِّهِ **ثُمَّ احذَرِ**

٥- التركيب الجري

وقد تنوعت أدوات الجر، حيث استخدم **الجزيري** كلا من الحروف التالية: (من واللام والباء وعن والكاف)، ومنه قوله:

في رَأسِ أَجرَدَ شاهِقٍ عالي الذُرا ما بَعدَهُ لِمُوَحِّدٍ **مِن مَعصرِ**

وقوله:

أَشكو إِلى الرَحمنِ فرقَةَ شَمِلِنا حِقَباً ثَلاثاً قَد وُصِلنَ **بِأَشهُرِ**

وبعد إحصاء التراكيب السابقة توصلنا إلى النتيجة التالية:

المركب النحوي	العدد	النسبة
الوصفي	٧٥	٣٤,٢٤
الإضافي	٤٥	٢٠,٥٥
الجملي	٤٢	١٩,١٨
العطفي	٣٢	١٤,٦١
الجري	٢٥	١١,٤٢
المجموع	٢١٩	١٠٠

ونخلص من قراءة هذا الجدول وجود تنوع في التراكيب النحوية التي تضمنت القافية وكلماتها، وإن انحصرت – فقط – في هذه التراكيب الخمسة دونما سواها، مما يؤكد توازية إيقاع القافية من خلال هذه التراكيب المكررة المتواترة، ولعل ذلك يؤدي وظيفتين رئيستين؛ **الأولى: إيقاعية**، وذلك من خلال القوافي المتشابهة والأوزان الصرفية المتماثلة، **والثانية: دلالية**؛ حيث إن التشابه الصوتي والتقارب الإيقاعي يفضي – في كثير من الأحيان – إلى المجال المعنوي الواحد والحقول الدلالية المشتركة.

كما أننا نؤكد في الوقت ذاته أن ورود هذه التراكيب المتنوعة والمراوحة بينها يعمل على كسر حدة التوقع، وإثارة المتلقي نحو المغايرة وعدم الاستسلام إلى صيغة صرفية معينة، فما إن يعتاد المتلقي صيغة صرفية معينة وتركيبا نحويا محددا ويستنيم إليه، حتى تأتي صيغة أخرى وتركيب آخر في مزاوجة واضحة ومراوحة محببة.

كما نخلص من الجدول أيضا أن الاسمية قد طغت بشكل لافت للنظر على ما عداها من التراكيب الأخرى، ولعل ذلك ربما يرجع إلى طبيعة القافية وموقعها على اعتبار أنها آخر ما يقر في الذهن، ويقرع السمع، ويبقى في الذاكرة، ومن ثمة فإن هذه التراكيب تبدو متوائمة والحالة النفسية للشاعر الذي يقبع في سجنه، ويعيش في معتقله؛ وذلك لأن الاسمية تفيد الثبات والاستقرار

والتأكيد، ولعل هذه الخصائص جميعها إنما تتساوق وحالة السجن الجامدة وحياة الاعتقال الثابتة، ومن أجل ذلك فقد قلَّت التراكيب الفعلية التي تفيد الحركة والتجدد والاستمرارية، ولهذا فقد يكون من المستغرب — مثلا – وجود نسبة – ولو قليلة – من الفعلية في القافية، ولكن يزول عجبنا، وينمحي ستغرابنا، خصوصا إذا عرفنا أن معظم هذي التراكيب جاء في سياق النفي من جهة، وسياق الشرطية من جهة ثانية، كما أن بعضها ورد في صيغة الأمر الإنشائي الطلبي التي تعبر عن انفعال وجداني أكثر مما تؤدي إلى ثبات ما أو حركة متجددة.

ولعل كل ما سبق يؤكد أن التوازي ليس بمعزل عن الدلالة؛ إذ إن التوازي "كلما كان عميقا متصلا بالبنية الدلالية كان أحفل بالشعرية، وكان أكثر ارتباطا بالتشاكل المكون للنسيج الشعري في مستوياته العديدة، "[١]

وبعد مقاربة القصيدة يمكننا أن نقول مطمئنين إن التوازي النحوي قد جعل منها لوحة فنية إيقاعية متميزة، تموج بالحركة المتناغمة، وتصطرع بالحيوية المتجددة بين عناصرها المتباينة وأجزائها المتراكمة، فكل توازٍ جاء كي " يحدث فضاء داخل النص فيما بين عنصر وآخر، فتتمدد المساحة بين العناصر، وينشأ بينها مدى زمني يجلب معه توترا، يحتد حينا ويتراخي حينا بصفة متوالية، تقيم في نفس المتلقي إيقاعا يتناغم مع إيقاع النص، ويجد القارئ نفسه عندئذ منساقا وراء النص، وقد استحوذ عليه بإيقاعه، ويغفل تماما عن بعض معانيه ودلالاته" [٢].

وختاما نؤكد أن التوازي النحوي عبر قصيدة **الجزيري** يحدث نوعا من الموازاة الخارجية على مستوى البنية السطحية في هذي التراكيب البنائية وبين الموازاة الداخلية على مستوى البنية العميقة، وذلك من خلال المعنى المراد والدلالة المتغياة، أي أن ثمة تعالقا بين الشكلي والدلالي يفرضه السياق وتحتمه التجربة.

---

(١) صلاح فضل، بلاغة الخطاب، ص٢١٥

(٢) عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية؛ قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ط١، ١٩٨٥، ص٢٥

المبحث الرابع

التوازي الدلالي semantic parallelism

إن الشاعر في كثير من الأحيان " يلجأ إلى التوازي وغيره من الأنماط التكرارية بمعناها العام رغبة في الإلحاح على التقارب والتآلف بين عناصر المضمون أو ترتيبها في النص "[١]، فيذهب – من ثم – إلى بعض الآليات الدلالية والتوازيات المعنوية.

وفي هذا الإطار يرى **مولينو وتامين** أنه بإمكاننا تصنيف التوازيات وفق معايير دلالية، وذلك بالتمييز بين أربع علاقات أساسية، وبعد إعادة النظر في هذه العلاقات نلاحظ أنها تنسجم أيما انسجام مع الأنواع الأربعة التي حدد في ضوئها **السِّجِلْمَاسِيُّ** جنس **المناسبة**، وهي[٢]:

١- علاقة دلالية تنبني على أساس **الترادف**، وهو ما يسمى بإيراد الملائم، أي الإتيان بالشيء وشبيهه.

٢- علاقة دلالية تنبني على أساس **التضاد**، وهو ما يسمى بإيراد النقيض، أي الإتيان بالأضداد.

٣- علاقة دلالية تنبني على أساس **الارتباط الشرطي**، وهو ما يسمى **بالانجرار**، أي الإتيان بالشيء وما يستعمل فيه، وهذه العلاقة تتم إما بين لفظين يشترط بعضهما الآخر، وإما بين سلسلة من الألفاظ المترادفة يشترطهما موقع واحد ثابت.

٤- علاقة تنبني على أساس الاشتراك في مجموعة من السمات، وهذا ما يسمى " **بالتناسب**"، أي الإتيان بالأشياء المتناسبة.

وهذه العلاقة على ضربين: إما أن يكون التناسب في الوضع، وإما أن يكون التناسب في الجنس.

---

(١) التشابه والاختلاف، ص ١٢٤

(٢) انظر هنا: أبو محمد السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، مكتبة المعارف، الرباط، ١٩٨٠، ص ٥٠٨-٥٠٩

- التناسب في **الوضع**: عليه **مدار التشبيه**.
- التناسب في **الجنس**: نتيجة انتماء العناصر اللغوية إلى نفس **الجنس**[١].

ومن ثم فإن هذا النوع من التوازي يخص الدلالة والمعنى أكثر من التركيب والبنية، وعلى ذلك يمكن تعريف **التوازي الدلالي** بأنه دلكم التوازي الذي يتعلق بدلالة الألفاظ والمعنى المعجمي للمفردات بين طرفين متوازنين ونسقين متناسبين، سواء أكان ذلك على سبيل الترادف، أم التضاد، أم الترديد، أم الاشتراط، أم التناسب... إلخ.

وفيما يلي نتناول بشيء من التفصيل هاتيكم العلاقات الدلالية المتوازية في قصيدة **الجزيري**:

أولا: توازي الترديد

الترديد هو " أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسيم منه " [٢]. أي أنه نوع من التكرار، بيد أنه تكرار من نوع خاص؛ حيث يعيد الشاعر مفردة بدالها ومدلولها العام، غير أنه يذكرها بمعنى في موضع، ثم يكررها بمعنى مختلف في موضع ثان.

وباستقراء قصيدتنا نلاحظ أن توازي الترديد بوصفه ظاهرة إيقاعية دلالية قد انتشر في فضائها بشكل متوالٍ وطريقة عنقودية، وقد لاحظنا أن شاعرنا لم يكثر منه؛ إذ جاء عفو الخاطر، غير متكلف، ولا متقصَّد، مما يعني أن بنية التوازي كغيرها من المظاهر الفنية والتقنيات الأسلوبية ينبغي أن تكون طيعة، سهلة، سلسة؛ حيث إنه " لا يحسن في كل موضع، ولا يصلح لكل حال، ولا

(١) نفسه، ص ٥٠٩ ، وينظر أيضا: التوازي ولغة الشعر، ص٩٠

(٢) العمدة ، ١ / ٣٣٣

يحمد إذا تواتر واتصل في القصيدة لدلالته على التكلف والتعمُّل، بل يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به" [١].

ومن ثمة فقد ورد الترديد بصورة متوسطة، ومن أمثلته في القصيدة **قول الجزيري**:

يا عابِدَ الرَحمانِ جُنِّبتَ الأَسى كَم مِن أَسىً لَكَ في الجَوانِحِ مُضمرِ

وقوله:

وَاحفَظ يَمينَكَ وَاطوِ سِرَّكَ رقبةً وَاكتم حِفاظاً سِرَّ غَيرِكَ وَاستُرِ

وقوله:

لا تَشعُرَنَّ لِعَيب من لابستَهُ فَتذيعهُ وَلِعَيبِ نَفسِكَ فَاشعُرِ

وقوله:

لا تَرضَيَنَّ لِمُسلِمٍ غَيرَ الَّذي تَرضى لِنَفسِكَ إِن يَغِب أَو يَحضُرِ

وقوله:

قَد أَوعَبَ التَكوينُ كُلَّ مُكَوَّنٍ مُذ أَحكَمَ التَقديرُ كُلَّ مُقَدَّرِ

وقوله:

دينُ الفَتى أَولى بِهِ مِن عِرضِهِ وَالعِرضُ أَولى مِن يَسارِ الموسرِ

وقوله:

فَاستَبِق دينَكَ دونَ عِرضكَ تُؤجَرِ وَاستَبِق عرضكَ دونَ وَفرِكَ توقرِ

وقوله:

وَعَسى رِضا المنصورِ يُسفِرُ وَجهُهُ فَيُديلَ مِن وَجهِ الفُراقِ الأَغبَرِ

وقوله:

وَإِذا الفَتى فَقَدَ الشَبابَ سَما لَهُ حُبُّ البَنين وَلا كَحُبِّ الأَصفَرِ

---

(١) يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الثقافة، القاهرة ، ١٩٧٩، ص٢٢٧

وقوله:

لَمّا أَحَطت بِعِلمِهِ ورَأَيتُهُ رَأيَ العَيانِ وَلَيسَ رَأيَ المخبِرِ

ويستحسن في هذا التوازي أن يكون كل دال في شطر من البيت حتى تتم الموازاة المعنوية بين الشطرين، وتتحقق المواءمة الدلالية بين الطرفين، وقد لاحظنا ذلك في الأمثلة السابقة باستثناء المثالين الأخيرين، حيث ورد الترديد في العجز منهما فقط.

إن الترديد يعمل – ومن خلال هذي الأمثلة – على تحقيق نوع من الموازنة والانسجام بين شطري الأبيات، يعانقه في ذلك إيقاع متطابق، يتجاوب معه، ويتآزر على خلق المعنى الشعري والدلالة الكلية.

وبالنظر إلى تلكم الشواهد يتبين لنا وجود دال يتكرر مرتين في كل بيت، وإن كان يحمل دلالة مغايرة في كل مرة، ومن ذلك: (**الأسى – الأسى لك**)، و(**سرك – سر غيرك**)، و(**عيب الآخر – عيب نفسك**)، و(**ترضى لمسلم – ترضى لغيرك**)، و(**كل مكون – كل مقدر**)، و(**عرض الفتى – العرض**)، و(**استبق دينك – استبق عرضك**)، (**وجه المنصور – وجه الفراق**)، و(**حب البنين – حب الأصفر**)، و(**رأي العيان – رأي المخبر**).

ومما يسترعي الانتباه في تلكم الأمثلة أن الترديد قد أحدث نوعا من الموازاة الدلالية من خلال **التكامل والتعاضد** في ثنائيات متنوعة وأزواج متباينة بين: (**العموم والخصوص**)، و(**الفردي والجمعي**)، و(**الذاتي والغيري**)، و(**الحسي والمادي**)، وقد تواتر هذا الترديد بصفة أساسية من خلال النصائح المتتالية والمواعظ المتتابعة التي حرص **الحزيري** عليها، وأكد على إلقائها.

ثانيا: توازي الترادف

يتأتى **توازي الترادف** من آلية قيام المتوالية الأولى في البيت بعرض فكرة ما، ثم تأكيدها بألفاظ أخرى وعبارات متباينة في متوالية ثانية؛ تحقيقا للإمتاع، ومراعاة للإقناع. أي أن التوازي الترادفي يأتي "حينما يعيد الجزء الثاني الجزء الأول في تعابير أخرى "[١].

وحسب استقرائنا لظاهرة الترادف في القصيدة نلاحظ أنها تنقسم إلى قسمين رئيسين:

- **الترادف التام**، وهو الذي يتأتى من خلال وجود مفردات متنوعة ودوال متباينة تؤدي معنى واحدا ودلالة محددة، وذلك عبر آليات المعجم وتقنيات القاموس، ومن ثم يمكن أن نطلق عليه " **الترادف المعجمي**".
- **الترادف الناقص**، ويتم هذا الترادف من خلال مفردات متنوعة ودوال متباينة تؤدي معاني متقاربة ودلالات متشابهة، ويكون ذلك عبر ألفاظ الحقل الدلالي الواحد، ولذا أمكننا تسميته "**الترادف الحقلي**".

أي أن الترادف في القصيدة يقع على صورتين: **الأولى** الصورة الظاهرة المتمثلة في الترادف اللفظي المعجمي بين كلمتين، أما **الثانية** فهي تتشكل من الصيغة العامة للترادف التي تجتمع من خلالها مفردات الحقل الدلالي الواحد المتقاربة في الدلالة والمتماثلة في المعنى.

وعادة ما يلجأ المبدع إلى الترادف تأكيدا للمعنى وتقوية للفكرة، وذلك من خلال التعاور بين المفردات المتشابهة والمراوحة بين الدوال المتماثلة؛ إذ إن العدول عن لفظة إلى أخرى قد يسهم في إثراء الدلالة وإثارة ذهن المتلقي نحو التفكير وإيقاظ الذهن.

وقد أكثر **الجزيري** من بنية الترادف في قصيدته بصورة مفرطة حتى غدت ظاهرة أسلوبية تستأهل التوقف وتستوجب النظر؛ حيث بلغ عدد مرات وروده ١٢٧ مرة، أي بواقع ٥٨ % من عدد أبيات القصيدة.

---

(١) التشابه والاختلاف، ص ٩٧

وقد تنوعت مواضع الترادف بنوعيه في القصيدة في موازاة جلية بين شطري البيت، ومن أمثلته في **الشطر الأول فقط** قول **الجزيري**:

أَلوى بِعَزمِ **تَجَلُّدي وَتَصَبُّري** نَأيُ الأَحِبَّةِ وَاعتِيادُ تَذَكُّري

وقوله:

وَطَوى **سُروري** كُلَّهُ **وَتَلَذُّذي** بِالعَيشِ طَيَّ صَحيفَةٍ لَم تُنشرِ

وقوله:

و**صراطَهُ** فَاتبَع مَناهِجَ **سُبلِهِ** وَسُتورهُ فَاشدُد عُراها تسترِ

وقوله:

لا تَظلمن أَحَداً **وَلا تُضمِر** لَهُ حَسَداً فَتُحشرَ في الفَريقِ الأَخسَرِ

ومن أمثلته في الشطر الثاني فقط قول الجزيري:

وَقُصِرتُ عَنهُم فَاقتَصَرتُ عَلى جَوىً لَم يُدعَ **بِالواني** وَلا **بِالمُقصِرِ**

وقوله:

فَانذُبهُما حَيَّينِ وَابكِ عَلَيهِما فَكِلاهُما **مَيتٌ** وَإِن لَم **يُقبَرِ**

وقوله:

وَأَخافُ فاجِئَةَ المِنونِ فَإِن تَكُن فَاقنِ **العَزاءَ** فَدَتكَ نَفسي **وَاصبِرِ**

وقوله:

وَمِنَ العَجائِبِ وَالعَجائِبُ جَمَّةٌ أَن يَلهَجَ **الأَعمى** بِعَيبِ **الأَعوَرِ**

ومما جاء متوازيا بين الشطرين معا قول الجزيري:

شَحطَ **المَزارُ** فَلا مَزارَ وَنافَرَت عَيني الهُجودَ فَلا **خَيالٌ** يَعتَري

وقوله:

أَنّى لَنا بِالوَصلِ إِلّا في **الكَرى** لَو أَنَّ وَصلَ **النَومِ** لَم يَتَعَذَّرِ

وقوله:

وَالعالمُ المدعُوُّ حبراً إنَّما سَمّاهُ بِاسمِ **الحَبرِ** حَملُ المحبَرِ

وقوله:

وَكَذلِكَ **الميزانُ** يوضَعُ قائِماً **بِالقِسطِ** وَالزُلفى لِمَن لَم يخسرِ

وقوله:

وَتَوَلَّ أَصحابَ النَبِيِّ وَآلِهِ **وَأَذِع** مَحاسِنَهُم جَميعاً و**انشُرِ**

وفي بعض الأحيان يأتي توازي الترادف بصورة مكثفة في كلا الشطرين، ومنه قول الجزيري:

وَاحفَظ يَمينَكَ **وَاطوِ** سِرَّكَ رقبةً **وَاكتم** حِفاظاً سِرَّ غَيرِكَ **وَاستُرِ**

وقوله:

وَاستَصحِب الوَرَعَ النَزيهَ **وَجانِب** الط طَبعَ السَفيهَ بِكُلِّ حالٍ وَهجُرِ

وقوله:

أَوسِعهُما برّاً **وَلا تَنهَرهُما** **وَامنَحهُما** قَولاً كَريماً و**اِشكُرِ**

وقوله:

فَجَميعُهُم **لِلبرِّ** أَهلٌ **وَالتُقى** **قَمِنٌ** بِها وَبِكُلِّ صالِحَةٍ **حَري**

وأحيانا ما يأتي نوع آخر من الترادف، وهو المسمى بـ " **الترادف السياقي** "، وأغلب مواضعه في عجز الشطر الثاني، وقد أكثر منه الشاعر إكثارا مفرطا؛ رغبة منه في قافية متمكنة وروي قارّ، ومن ذلك قول **الجزيري**:

وَاللهُ حَسبُكُمُ وَحَسبي أَنَّهُ حَسبُ **المُنيبِ القانِتِ المُستَغفِرِ**

وقوله:

وَدَليلُ حَقٍّ أَنَّهُ الفَردُ الَّذي فَطَرَ الجَميعَ لذي **النُهى المُتَفَكِّرِ**

وقوله:

فأبَحَنَهُ وَحَطَطنَ ذروَةَ عِزِّهِ وَكَسَونَهُ ثَوبَ **الذَليلِ المُصغرِ**

وقوله:

تَرَكَتهُ أَشعَثَ ساغِباً ذا عيلَةٍ حَيرانَ في حالِ **الفَقيرِ المُقتر**

وقوله:

وَحَقيقَةُ الإيمانِ قَولٌ يَقتَضي عَمَلاً وَنِيَّةَ **خائِفٍ مُستَشعِرِ**

ومن الترادف السياقي في القصيدة أيضا ينظر: الآجن المتغير، العيان المظهر، الزؤام الأحمر، الثاكل المستعبر، البشير المنذر، برٍّ خَيِّرٍ، الشِهابِ الأَزهَرِ، المنتَمى وَالعُنصُرِ، الجَحيمِ المسعرِ، مُرتَجٍ مُتَنَظِّرٍ، باغٍ مُفتَرٍ، الغَوِيُّ المفتَري، الموقِنِ المستَبصِرِ، راء مبصر، الجَلِيّ الأَنوَرِ، السَّادِرِ المتَحَيِّرِ ... إلخ.

ولا غرو أن كثرة الترادف اللافتة للنظر والتي ترامت عبر أبيات القصيدة من بدايتها إلى نهايتها إنما تنبع من أمرين وفقا للسياق العام والجو المسيطر عليها:

الأول: تواتر الأحزان وترادف الآلام الذي نتج عن ظروف السجن وملابسات الاعتقال؛ حيث كان لهما تأثيرهما البالغ على توالي الشجن واتصال الأسى، مع التأكيد على التجلد والتصبر.

الثاني: توالي النصائح وتواصل المواعظ التي تدور في سياقات محددة ومعانٍ معينة لا تخرج عنها، تلك التي تتمثل في التأكيد على المثل العليا والتمسك بالأخلاق السامية، مع الحرص على معالي الأمور والبعد عن سفسافها ومحاقرها، ناهيك عن دندنته المستمرة في القصيدة على شرح الإسلام؛ عقيدة وشريعة، وأسلوب تعامل، ونظام حياة.

ثالثا: الارتباط الشرطي (الانجرار)

تتحدث المصنفات العربية القديمة بأن الارتباط الشرطي علاقة دلالية مبنية على ذكر الشيء وذكر ما يستعمل فيه، وله صورتان، أما الأولى فتتم بين طرفين مرتبطين ارتباطا شرطيا، وأما الثانية فتتم بين عدد من الأطراف المتصلة بموقع واحد [1].

(1) ينظر: محمد كنوني، شعرية القصيدة العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، الأردن، ٢٠١٠، ص١٥٤.

١- الأسلوب الشرطي

وبالنظر إلى بنية هذا الأسلوب الشرطي نتبين أنه يحتوي على جملة تتكون من أداة شرط (اسم أو حرف[١])، ثم فعلين رئيسين يقترن أحدهما بالآخر، الأول: فعل الشرط، والثاني: جواب الشرط والجزاء. وهو أسلوب -كما نرى - يعمل على تحقيق التوافق والانسجام بين هذين الفعلين والتآلف والتواؤم بين الطرفين؛ حيث إن الطرف الثاني لا يتحقق ولا يتم إلا بتحقق الطرف الأول، إذ الأول يعد بمثابة السبب، والثاني المسبب والنتيجة.

وإذا كانت كل أداة من أدوات الشرط لها معنى مختلف عن الآخر ودلالة مغايرة للأخرى، فإن الشاعر قد استخدم لكل سياق معنوي أداة بعينها، ومن ثم فقد لبس لكل حالة لبوسها، وإن كانت هذه الأدوات قد شكلت مع باقي التركيب الشرطي أسلوبا مميزا، استطاع الشاعر من خلاله التعبير عن المعاني التي يريدها والدلالات التي يتعياها، وذلك من خلال الحكم التي ألقاها تباعا والنصائح التي أوردها دراكا.

ولم يفرط **الجزيري** من استعماله توازي الشرط والجزاء، بحيث لم يرد عنده سوى أربع وثلاثين مرة، ومن أمثلته المتنوعة استخدامه **الأداة " إذا "**، كما في قوله:

وَإِذا أَتَيتَ نَدِيَّ قَومٍ فَالقَهُم بِاسمِ السَلامِ وَرد بِحِلم وَاصدُرِ

وقوله:

وَإِذا عَراكَ الخَيرُ فَاشكُر وَانشُر وَإِذا عَراكَ الشَرُّ فَاصبِر وَابشِرِ

والناظر في ترتيب عناصر هاتين الجملتين يجد أنهما تضمنتا أداة الشرط **إذا**، وهي " تدل على جزم المتكلم بوقوع الشرط أو على ترجيحه لوقوعه، ومن أجل ذلك استعملت في الحُكم الكثير الوقوع، وغلب على دخولها الماضي لدلالته على تحقق الوقوع" [٢]. وقد اتضح ذلك من خلال هذه

---

(١)وأدوات الشرط كثيرة ومتنوعة، منها الجازمة وغير الجازمة، فمن الجازمة: (إن، إذ ما، من، ما، مهما، أيان، أين، أنى، حينما، أي)، أما غير الجازمة فهي (لو، لولا، أما، إذا، كلما، لما).

(٢) ينظر : الشامل، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، ص ٧٧.

النصائح وتلكم المواعظ التي تدل – حتما – على مكارم الأخلاق وتؤكد – دوما – على معالي الأمور.

ومن استخدامه **الأداة " إن "** قول **الجزيري:**

وَادفَع بِكَظمِ الغَيظِ آفَةَ غَيِّهِ فَإِن استَحَقَّكَ مَرَّةً فَاستَغفِرِ

والأصل في هذه الأداة عند البلاغيين " الدلالة على عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط، ومن أجل ذلك استعملت غالبا في الحكم النادر؛ لكونه غير مقطوع به" [1]، ولعل هذا ما جاء متلائما مع هذه النصيحة ومتوائما مع هذا الوعظ.

ومن استخدامه **الأداة " لو "** قوله:

فَلَوِ ابتَغَيتَ بِكُلِّ جهدٍ نيلَ ما سَبَقَ القَضاءُ بِمَنعِهِ لَم تَقدرِ

وَلَوِ اجتَهَدتَ لِدَفعِ ما يُؤتيكَهُ آتاكَهُ إِتيانَ مُزجىً مُجبَرِ

ومن استخدامه **الأداة " لما "** قوله:

لَمّا أَحَطت بِعِلمِهِ ورَأَيتُهُ رَأيَ العَيانِ وَلَيسَ رَأيَ المخبِرِ

ضَمَّنتُ أَسطُرَه نَتيجَة ما حَوى لِلعِلمِ فَضلُ عِنايَتي مِن أَسطُرِ

ومن استخدامه **الأداة "كلما "** قوله:

يا قُرَّةَ العَينَينِ إِنّي كُلَّما رُمتُ السُلُوَّ أَباهُ شَوقي المعتَري

ومن استخدامه الشرط في **جملة الطلب** قوله:

فَعَلَيكَ تَقوى اللهِ فَالزَمها تَفُز وَحُدودهُ حافِظ عَلَيها تُؤجَرِ

وقوله:

وَاعمَل بِطاعَتِهِ تَنَل مِنهُ الرِضا وَالقُربَ في دارِ السَلامِ وَتُخبَرِ

ولا شك في أن هذا التوازي الشرطي ناهيك عن أهميته التنغيمية الإيقاعية القائمة على التوازن بين الشطرين، فإن ثمة علاقة معنوية قائمة على الموازاة الدلالية بين طرفي الشرط والجزاء، ويتأتى

(١) نفسه، ص ٨٧

ذلك من خلال وجود الأداة ثم السبب / المقدمة التي تؤدي بالضرورة إلى النتيجة الحتمية والغاية المرجوة.

٢- الشرط القائم على علاقة عدد من الأطراف بموقع واحد

ويتم ذلك من خلال ارتباط عدد من العلاقات بشيء واحد تتصل به ولا تفارقه، ومن ذلك قول **الجزيري**:

وَحَقيقَةُ الإيمانِ قَولٌ يَقتَضي عَمَلاً وَنِيَّةَ خائِفٍ مُستَشعِرِ

وَيَزيدُ بِالأَعمالِ وَهوَ بِنَقصِها في حالِ نَقصٍ فَاستَدمها وَاذخرِ

ويمكن تخطيط ذلك على النحو التالي:

جقيقة الإيمان [قول + عمل + نية + يزيد بالأعمال الصالحة + ينقص بالمعاصي+ ضرورة استدامته].

وقوله **الجزيري** عن أصحاب الكبائر من وجهة نظر أهل السنة:

وَذوو الكَبائِرِ في مَشيئَةِ رَبِّهِم إِمّا يُعَذِّبهُم وَإِمّا يَغفِرِ

فَاشهَد جَنائِزَهُم وَلا تقنطهُم وَكَذاكَ لا توجب لِمَن لَم يَكفرِ

ويمكن تخطيط ذلك على النحو التالي:

ذوو الكبائر [في مشيئة الله + إما العذاب + أو المغفرة + وجوب شهود جنائزهم + عدم تقنيطهم من الرجمة + عدم إيجاب النار لهم حال عدم كفرهم].

وقوله عن حق الوالدين:

ثُمَّ اِقضِ حَقَّ الوالِدَينِ وَقُم بِما فَرَضَ الكِتابُ عَلَيكَ مِنهُ وَابدُرِ

أَوسِعهُما برّاً وَلا تَنهَرهُما وَامنَحهُما قَولاً كَريماً وَاشكُرِ

وَاخفِض جَناحَكَ رَحمَةً لِكِلَيهِما تَمهَد لِنَفسِكَ لَو فَعَلتَ وَتذخرِ

ويمكن تخطيط ذلك على النحو التالي:

الوالدان [قضاء حقهم كما ورد في القرآن + المبادرة إلى ذلك + كثرة البر + عدم النهر + القول الكريم + الشكر + خفض الجناح + الرحمة ...].

وقوله:

وَارغَب عَنِ الدُنيا فَإِنَّ وَراءَها يَوماً ثَقيلاً ذا غفارٍ مُصغرِ

دارُ التَقلّب وَالتَغَيُّر إِن تَرُح بِمَسَرَّةٍ أَو نِعمَةٍ لَم تَبكرِ

تَأميلُها غَرَرٌ وَصَفوُ نَعيمِها كَدَرٌ وَمُؤثِرُها عَمىً لَم يبصرِ

ويمكن تخطيط ذلك على النحو التالي:

الدنيا [ارغب عنها + وراءها يوم ثقيل + دار التقلب + دار التغير + لا تستقر على مسرة + أو نعمة + تأميلها غرر + صفو نعيمها كدر + مؤثرها أعمى لا يبصر ...].

رابعا: توازي التضاد/ المطابقة

خلق الله سبحانه وتعالى الكون على ثنائيات متباينة وأبدع الوجود على أزواج متقابلة متعارضة في اتساق جميل وانسجام بهي، فليل ونهار، وأبيض وأسود، وحر وبرد، وخير وشر ... وفي ذلك يرى **سابينا** أن الانسجام يتولد من التباينات، والعالم كله يتكون من عناصر متعارضة ... والشعر الحق يحرك العالم بطريقة أشد جوهرية ومفاجئة بقدر ما تكون التباينات منفرة حيث يبرز تناسب خفي [١].

يقول **العسكري**: وقد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيد... وخالفهم **قدامة بن جعفر** فقال: المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى [٢].

---

(١) قضايا الشعرية ، ص٩

(٢)كتاب الصناعتين، ص ٣٣٩ ، ويسميه قدامة بن جعفر " التكافؤ، نقد الشعر، ٥٥.

ومن ثم فالطباق في الاصطلاح هو الجمع بين معنيين متقابلين، سواء أكان ذلك التقابل تقابل التضاد أم الإيجاب والسلب، أم تقابل التضايف كالأبوة والبنوة، وسواء أكان ذلك المعنى حقيقياً أم مجازياً [١].

بينما يطلق **حسن البنداري** على تكرار الطباق مصطلح " **تعاقب الثنائيات المتضادة** "، ثم يرى أن هذا المفهوم يقترب من مفاهيم كل من طريقة **التناقض** technique of cotrraddiction أو طريقة **التضاد** technique of polaytires أو طريقة **المطابقة** technique of antithesis التي تتردد في التناولات النقدية العربية والأوربية الحديثة كما ترددت في النص اليوناني عند أرسطو [٢].

وتعد المطابقة –كما يرى **هال** halle – أحد الأعمدة الأساسية في تراث التوازي، وبذا يعتبر التوازي ذا أهمية كبرى لفهم هذه المتطابقات أو المقابلات اللغوية كما يرى أيضا **ياكبسون**، وهي التي يعبر عنها **لوث** بالازدواج المتضاد [٣].

ويعرف **توازي التضاد** بأنه" تشابه في البنيات واختلاف في المعاني" [٤]. وهو يقوم على تضاد الشطر الثاني مع الشطر الأول، أو أنه يتأتى من قيام المتوالية الثانية بالمقابلة والمطابقة مع المتوالية الأولى، أو أن تتعارض المفردة الثانية مع الأولى وذلك في أي موقع من البيت.

ومن ثم يقوم توازي التضاد على " وجود تقابل دلالي بين عنصرين أو بين موقعين في سلسلتي كل متوالية على حدة " [١].

---

(١) عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٧، ص ١٦٢

(٢) حسن البنداري، ظاهرة التعاقب في الشعر الحديث، الأنجلو المصرية، ط١، ٢٠١٦، ص١٥١

(٣)البديع والتوازي، ص ٥٣

(٤) مدخل إلى قراءة النص الشعري، محمد مفتاح، مجلة فصول، مج ١٦، ع ١، ١٩٩٧، ص٢٥٩، ينظر أيضا: مدارات نقدية، ص ٢٣١، وينظر: التوازي في شعر يوسف الصائغ، مجلة أبحاث اليرموك، مج ١٦، ع٢، ١٩٩٨، ص ٢٣

ويمكن أن ينظر إلى توازي الثنائيات المتضادة على أنه " يحقق ضربا من التنوع البنائي، تؤلف في ذات الوقت وحدات مركبة كبرى تقوم بدورها لتشكل بدورها لتشكل ثنائية من التناقضات، وتلك تؤلف هي الأخرى طبقة ثانية من الوحدات المركبة وهكذا " (٢).

بيد أننا يجب أن نؤكد أن الدلالة العامة عبر هذا التوازي لا تتعارض أو تتخالف وإنما تتكامل وتتفاعل متساوقة مع المعنى الإجمالي الذي يسري عبر الروح الكلية للنص.

وقد ورد هذا النوع من التوازي خمسا وأربعين مرة، ما بين طباق السلب وطباق الإيجاب مكتنفا القصيدة من بدايتها إلى نهايتها، وذلك على النحو التالي:

فمن طباق الإيجاب في القصيدة قول الجزيري:

قَد شابَ هَمّاً في اقتِبالِ شَبابِهِ إن كنتُ شِبتُ مَعَ الشَبابِ المدبِرِ

وقوله:

فَاندُبهُما حَيَّينِ وَابكِ عَلَيهِما فَكِلاهُما مَيتٌ وَإِن لَم يُقبَرِ

وقوله:

وَذوو الكَبائِرِ في مَشيئَةِ رَبِّهِم إمّا يُعَذِّبهُم وَإِمّا يَغفِرِ

وقوله:

أَوسِعهُما برّاً وَلا تَنهَرهُما وَامنَحهُما قَولاً كَريماً وَاشكُرِ

وقوله:

لا يَستَفِزّكَ مَنظَرٌ حَسَنٌ بَدا حَتّى تُقابِلَهُ بِحُسنِ المِخبَرِ

وقوله:

فَكَفاكَ مِن شَرٍّ سَماعُكَ خُبرَهُ وَكَفاكَ مِن خَيرٍ قبولُ المخبرِ

وقوله:

---

(١) اللغة الشعرية ، ص ١٢١

(٢) تحليل النص الشعري، ص١٤٣

وَإذا عَراكَ الخَيرُ فَاشكُر وَانشُر وَإذا عَراكَ الشَرُّ فَاصبِر وَابشِرِ

وبالنظر إلى هذا المثال الأخير نلاحظ أن التماثل التركيبي النحوي قد حقق انسجاما إيقاعيا وتكاملا دلاليا نجم عنه تقابل دلالي بين جملتين؛ إذ إن ثمة مقابلة بين كل لفظة ونظيرتها في كلا الشطرين؛ ذلك أن البنية العميقة تتيح للسياق أن ينتج التضاد بين الطرفين من خلال المفارقة المعنوية بين الحير والشر والشكر والصبر والنشر والبشر.

طباق السلب

وهو الذي يتأتى من ورود الكلمة مرتين، ثانيهما منفية بإحدى أدوات النفي (لم – لا – لن)، ومن أمثلته في القصيدة:

شَحطَ المزارُ فَلا مَزارَ وَنافَرَت عَيني الهُجودَ فَلا خَيالٌ يَعتَري

وقوله:

وَاذكُر بِسِرِّ تَحِيَّتي مَن لَم أَبُح لَكَ بِاسمِهِ وَلِعلَّةٍ لَم يُذكَرِ

وقوله:

بَرَحَ الخَفاءُ فَما لِنَفسي حيلَةٌ في الصَبرِ عَنكَ وَلَو دَنا لَم أَصبِرِ

وبعد استقراء القصيدة يمكن القول بأن توازي المطابقة قد أخذ مسارات أفقية في ثلة من الأزواج المتقابلة والجدليات المتناقضة المتصارعة في البيت الواحد، إضافة إلى المطابقة الرأسية العمودية عبر الثنائيات الضدية والمتعارضات المتباينة contrast في القصيدة ككل، ولعل هذا التكثيف المتعارض كان له ما يبرره من الناحية النفسية؛ إذ إن حياة الشاعر كانت مليئة بالمتناقضات ثرة بالمفارقات، مما كان له تأثيره الناجع على اختياره مفرداته وانتقائه دواله، وذلك من خلال ثنائية الحرية / السجن، والحركة / السكون، والماضي / الحاضر، والغياب / الحضور، والمشاكلة / الاختلاف، والواقع / المستقبل، السنة / البدعة ... إلخ.

ولذلك فقد أقام الشاعر نصَّه على بنية التضاد ونسق المعارضة من بدايته إلى نهايته، وربما يرجع ذلك إلى أمرين:

- **بنية التعارض القائمة عبر حياة الشاعر المتواترة** بين السجن المظلم الذي يعيش فيه والحرية المنيرة التي يؤملها، ويستشرف آفاقها، وإضافة إلى حديثه المتواتر عن الماضي السعيد والمجد التليد والحاضر التعس والواقع المؤسف في سجن لا يدري به من أحد، ولا يحس به إنسان.
- **بنية المقابلة بين الأخلاق السامية والأخلاق الدنيئة** وذلك عبر سياقات النصائح ومواقف الوعظ التي انتشرت في ثنايا القصيدة مؤكدة على دور الأب الذي يخاف على أولاده ويخشى عليهم غدر الزمان وتغيُّر الحدثان، فيقف مربيا إياهم محذرا لهم من التفرق والتشرذم والتشظي والتشتت، داعيا إلى التخلُّق بمعالي الأمور وسنيِّها والابتعاد عن محاقرها ودنيِّها، منفرا من البدعة ومحدثات الأمور مع الحرص على التمسك بالدين والسنة؛ ففيهما النجاة من المدلهمات والفرار من الموبقات.

ومن ثم تبدو مقدرة المبدع في الجمع بين المتضادات والتأليف بين المتناقضات في سياق واحد خدمة للجو العام للنص.

وهكذا يمكن القول بأن التضاد ليس مجرد زخرف لفظي أو طلاء شكلي يتشح به المعنى، وتتدثر به الدلالة، بل هو وسيلة فنية مهمة – إذا أُبْدِعَ فيها — لتجسيد التجربة، وتصوير ما يحسه المبدع من تناقض ومفارقة بين صور الحياة وأوضاعها، و تنبع قيمته من مدى قدرة المبدع وموهبته في الجمع بين الأشياء المتخالفة والثنائيات المتباعدة من أجل توليد الدلالة الشعرية وإنتاج المعاني الفنية.

ولعل اعتماد **الجزيري** على المطابقة واتكائه على المنافرة وارتكانه على المفارقة كثيرا في قصيدته لأنها تضفي على الاستعمال رونقاً وجمالاً وألقا ورواء، فضلاً عن كونها آلة معجمية تسهم في اتساق النص وترابطه وانسجام الخطاب ووحدته، " وبما أن التوازي يسهم في وحدة النص وبنائه فإن

المطابقة من آلته المهمة في ذلك، وعليه فإن علاقة المنافرة يمكن أن تسهم كآلة في نسيج الخطاب "[١].

وختاما يمكن القول إن توازي الطباق قد " أضفى حيوية على القصيدة، وجعلها أكثر قدرة على الإيحاء؛ لأن صدمة التضاد تولد ألقا تصويريا أصيلا "[٢].

خامسا: التناسب

ويقصد بالتناسب الإتيان بالأشياء المتناسبة والدلالات المتوائمة في سياق معين أو عبر سياقات متباينة، وينقسم التناسب بدوره إلى نوعين: التناسب في الوضع، أو التناسب في الجنس.

١- التناسب في الوضع (التشبيه)

ويقوم التشبيه على مبدأ التناسب بين طرفين والمقارنة بين نسقين والتساوي – فدر الإمكان – بين أمرين، وفي ذلك يقول **قدامة بن جعفر** عن أحسن التشبيه:" هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها "[٣]. ومن ثم فهو يقوم على " اكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر، والجمع بين العناصر المتضادة أو المتباعدة في وحدة "[٤].

وبالنظر إلى قصيدتنا نلاحظ أنها قليلة الحظ من الخيال والتصوير، ولذلك فقد ورد التشبيه على ندرة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى تقريرية القصيدة وسرديتها وضعف مجازيتها؛ إذ إنها في جزء كبير منها شرح للعقيدة الإسلامية ومفرداتها، إضافة إلى احتوائها مجموعة كبيرة من الحكم المنبثة في تضاعيف النصائح وبين دروب المواعظ.

---

(١) ينظر: لسانيات النص، ص ١٣٢

(٢) التوازي في لغة القصيدة العراقية الحديثة ، ص ٣١

(٣) نقد الشعر، ص١٠٨

(٤) جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٣٤٠

ويمكن تقسيم التشبيه في القصيدة إلى قسمين: **التشبيه الظاهر والتشبيه الخفي**، فمن الأول – وهو الأغلب – قول **الجزيري**:

وَطَوى سُروري كُلَّهُ وَتَلَذُّذي بِالعَيشِ طَيَّ صَحيفَةٍ لَم تُنشرِ

وقوله:

وَأَراهُ عرفانُ النَوى مِن حُسنِها مَرأى مِنَ الموتِ الزُؤامِ الأَحمَرِ

وقوله:

وَمُحَمَّداً لِلَّهِ دَرُّ مُحَمَّدٍ زَهرٌ تَفَتَّحَ غِبَّ مُزنٍ مُمطِرِ

وقوله:

كُنتُم لِنَفسي جَنَّةً فارَقتُها إِذ راقَ مِنها كُلُّ غَرسٍ مُثمِرِ

وقوله:

أَو هَل أُقَلِّبُ ناظِري فَأَراكَ في قُربي تَوَقَّدُ كَالشِهابِ الأَزهَرِ

إن ثمة توازيا بنائيا ومقارنة معنوية وتناسبا دلاليا بين المشبه والمشبه به؛ فالمناسبة واضحة بين طي السرور وسرعة انقضائه وطي الصحيفة، كما أنها غير خافية بين رؤية الفراق ورؤية الموت، بالإضافة إلى أن بين الأولاد وكل من الزهر والحلي والجنة من وشائج قربى وصلات رحم ... إلخ..

ومن استقراء تشابيه القصيدة نلاحظ أن أكثر ورود الظاهر منها جاء في سياق ذكريات **الجزيري** وحديثه الشجي الرقيق عن أبنائه وماضيه السعيد معهم ومقارنة ذلك بالحاضر المؤلم والواقع القاسي نتيجة غيابهم عنه لسجنه واعتقاله.

التشبيه الخفي

وهو ما أطلق عليه البلاغيون قديما " **التشبيه الضمني** "، وقد أسميناه **خفيا**؛ لأنه يحتاج إلى تعمُّلٍ ويقظة وتصنع وفطنة من المتلقي حتى يدرك كنهه ويعرف ماهيته؛ إذ إنه لا يعتمد على صورة واضحة من أركان التشبيه المعروفة وأدواته المتواترة المذكورة، ومن ثم فهو يأتي على جهة التلميح لا

التصريح والإيماء لا التوضيح، ولذلك فإنه يرد – في الأغلب الأعم – للتدليل على صحة حكم، أو البرهنة على أمر مستبعد تحققه، وعادة ما يُذَيَّلُ هذا التشبيه بحكمة، أو يوقَّع بمثَل مع حسن التعليل وبراعة التدليل؛ تقريبا لصورته بحيث تكون أكثر إقناعا وعقلانية.

وقد كثر ورود هذا النوع في مجال الوعظ والنصائح التي تواترت وترادفت عبر أبيات القصيدة، وربما كانت سببا رئيسا في نظمها وإنشائها، ومن ذلك قول **الجزيري** لأولاده واعظا وناصحا وللمتلقين هاديا ومرشدا:

لا يَستَفِزّكَ مَنظَرٌ حَسَنٌ بَدا حَتّى تُقابِلَهُ بِحُسنِ المِخبَرِ

فَالماءُ تُوردهُ الدلاءُ صَفاؤهُ وَمَذاقُهُ لِلآجِنِ المتَغَيِّرِ

وَالسَيفُ يُكسِبُهُ البَهاءُ حَلاوَةً وَفِعالُهُ لِلعاضِدِ المتَأَخِّرِ

فالجزيري في هذا التشبيه يريد أن يعلم أولاده أن المنظر الحسن لا يكتمل إلا إذا قوبل بجمال المخبر، ومن ثمة وتقريبا لذلكم النهي الذي أورده وهذه النصيحة التي ألقاها نجده يأتي بصورتين أخريين تتمثل الأولى في منظر الماء الصافي للدلاء ومذاقه للآجن، بينما الأخرى تتعلق ببهاء السيف ورونقه الصقيل من جهة وفعاله لعاضده وحامله من جهة أخرى، وذلك في مناسبة بين المنظر والمخبر، والظاهر والباطن، والشكل والفعل ... إلخ.

٢– التناسب في الجنس

ويكون ذلك نتيجة انتماء العناصر اللغوية إلى نفس الجنس، ويمكن لنا أن ندرج كل مفردات الحقول الدلالية وفقا لهذا التناسب، ومن ذلك حقل السجن، وحقل الماضي، وحقل شرح الإسلام؛ عقيدة وشريعة، وحقل السنة، وحقل الوعظ والنصح والإرشاد، ويكون ذلك من خلال ثلة من المفردات والدوال التي تنتمي لهذا الحقل أو ذلكم الجنس.

الخاتمة

لا غرو في أن للتوازي وقعا في النفس، وإيقاعا في الروح، وترنيمة في الفؤاد، نتيجة ما يتزيا به من موسيقى، وما يتشح به من جرس، ولن يدرك كل ذلك إلا أصحاب الأذواق العالية، والنفوس السامية، والقلوب المرهفة.

وبعد دراسة بنية التوازي في قصيدة الآداب والسنة ووقوفنا على أهم أنساقه يمكن أن نطرح بعض النتائج التي توصلنا إليها، ولعل من أهمها:

- تعد قصيدة الآداب والسنة من أهم قصائد عبد الملك الجزيري؛ وذلك لما اشتملت عليه من صدق العاطفة، وما احتوته من معان رائعة ومضامين راقية، ناهيك عما فيها من تقنيات فنية وآليات أسلوبية.
- يعد التوازي أحد أهم العلامات البارزة في هذي القصيدة؛ حيث كان له حضور لافت على كافة مستوياتها وجل دروبها.
- يعد التوازي مقوما رئيسا من مقومات الشعر ومظهرا أساسيا يعمل على اتساق النص وانسجام الخطاب.
- التوازي من أهم المصطلحات التي عالجها النقاد القدامى، وما فتئ البلاغيون العرب يذكرونه بكل تجلياته وكافة أشكاله، وإن ورد لديهم بمسميات متعددة وأشكال متباينة وتصنيفات مختلفة.
- يقوم التوازي على السيمترية في عناقيد الأصوات، والتعادل في البنى الصرفية، والتماثل في التراكيب النحوية ... أي أنه ينبع من التشابه في البنية، والتقارب في التركيب، والتشاكل في الدلالة، أو التضاد في المعنى.
- ظهر **التوازي الصوتي** في هذي القصيدة في أجلى صوره، وأوضح معالمه، وذلك من خلال ثلة من **المماثلات الصوتية** التي انتشرت فيها، إضافة إلى **العناقيد الإيقاعية** و**الحزم الصوتية** formants التي مثلت ظاهرة أسلوبية ترددت أفقيا، وتناثرت رأسيا.

- كان لبنية التضعيف حضور لافت في القصيدة، وقد كانت هذه الظاهرة صورة لتشديد الهموم، وصدى لتوالي الأحزان.
- تشكل الإيقاع الداخلي من مجموعة من الظواهر الصوتية القائمة على مبدأ التناظر الصوتي، والتماثل الإيقاعي، والتخالف/ التطابق الدلالي، وقد اتضح ذلك من خلال التجنيس، والتصريع، والتصدير، والتدوير.
- ارتبط الوزن الشعري بالتوازي ارتباطا وثيقا، وذلك على أساس أن الوزن بما يخلقه من تماثل في نوع التفعيلات بين الشطرين وتساو في عددها إنما يحدث نوعا من التوازي الخلاب.
- القافية من أهم العناصر التوازنية في القصيدة؛ حيث إنها مكون أساس في بنائها؛ إذ إن تكرار أصوات القافية يعمل على تشكيل حركة إيقاعية تمنح القصيدة التناسق وتعطيها الانسجام.
- كان لبحر الكامل دور كبير في إبراز ما في القصيدة من توازنات صوتية وموازنات إيقاعية، وذلك بفعل تقطيعه المتوازن، وتقسيمه المتناسب المتماثل؛ حيث إن له امتدادا نغميا يتسم بالسيمترية ويتصف بالانتظامية.
- زادت التفعيلات المضمرة على التفعيلات السالمة، وكان لذلك علاقة بالمعنى العام للقصيدة؛ إذ إن كثرة الإضمارتؤدي إلى بطء الإيقاع والتأني الموسيقي ... وقد توازى ذلك وظروف السجن وحياة الاعتقال التي تمر مُثَّاقلة هادئة.
- حدث ثم تواز بين التقطيع العروضي والتماثل المورفولوجي في كثير من أبيات القصيدة بصورة تتساوق مع الدلالات المتغياة، وتتوازن والمعاني المرادة.
- تعددت الصور الوزنية في القصيدة مما يدل على أن الوزن ليس شيئا جامدا، ومن ثمة تبدو فرضية ثبوت الوزن واستاتيكيته غير صحيحة إلى حد بعيد.

- أكثر **الجزيري** من التوازي الصرفي في القصيدة من بدايتها إلى نهايتها في هندسة معمارية واضحة وتشكيل فني يأسر القلب ويأخذ اللب.
- شمل التوازي الصرفي الأفقي في قصيدتنا كل أزمنة الأفعال، وإن أكثر الشاعر من توازي فعل الأمر فالمضارع، بينما ورد الفعل الماضي — متوازيا – على ندرة، وذلك عبر شطر واحد أو الشطرين.
- يؤكد التوازي الصرفي كغيره من أنساق التوازي الأخرى الوظيفتين الإيقاعية الموسيقية والدلالية المعنوية التي يقوم عليها أي نص؛ إذ إن التشابه الصوتي غالبا ما يئول إلى التقارب الدلالي، والتوازي الصرفي قد يؤدي إلى تواز معجمي وفقا للدلالة المصاحبة والمعنى المراد.
- أولى النقاد المحدثون التوازي النحوي أهمية كبيرة؛ حيث إن تكرار الصور النحوية بجانب الصور الصوتية يعد المبدأ المكون للأثر الشعري.
- يتكئ التوازي التركيبي على التماثل في الصيغ، ويعتمد على التشابه في البنى، ويرتكن إلى التناظر في المواقع كي يؤدي في النهاية إلى تنامٍ دلالي، وتناسق موسيقي إيقاعي بين أبيات القصيدة المتوالية أو المتقطعة، تلك التي يمكن تفكيكها إلى وحدات صغرى وجزيئات دقيقة، تتوزع في صيغ مورفولوجية وتراكيب نحوية بنائية.
- ينقسم التوازي النحوي في القصيدة إلى قسمين: الأفقي والرأسي، وكلاهما يصنف إلى نوعين:

- **توازي البنى المتطابقة (التام)**: ويستند هذا النوع على صيغ صرفية متطابقة وتراكيب نحوية منتظمة عبر شطري البيت.
- **توازي البنى المتغايرة (الناقص)**: ويتكئ هذا النوع على صيغ صرفية متشابهة وتراكيب نحوية متقاربة عبر شطري البيت.

- تعددت التراكيب النحوية القفوية عند الجزيري إلى **خمسة تراكيب**: (**الوصفي، الإضافي، الجملي، العطفي، الجري**). وقد طغت التراكيب الاسمية على الفعلية، ولعل ذلك قد تواءم والحالة النفسية للشاعر الذي يقبع في سجنه؛ إذ الاسمية تفيد الثبات والاستقرار بخلاف الفعلية التي تؤكد الحركة والتجدد.
- التوازي الدلالي هو دلكم التوازي الذي يتعلق بدلالة الألفاظ والمعنى المعجمي للمفردات بين طرفين متوازنين ونسقين متناسبين، سواء أكان ذلك على سبيل **الترادف، أم التضاد، أم الترديد، أم الاشتراط، أم التناسب**... إلخ.
- انتشر **توازي الترديد** بوصفه ظاهرة إيقاعية دلالية في فضاء القصيدة بشكل متوالٍ وطريقة عنقودية.
- أكثر **الجزيري** من **توازي الترادف** تأكيدا للمعنى وتقويته، وذلك من خلال التعاور بين المفردات المتشابهة والمراوحة بين الدوال المتماثلة؛ إذ إن العدول عن لفظة إلى أخرى قد يسهم في إثراء الدلالة وإثارة ذهن المتلقي نحو التفكير وإيقاظ الذهن.
- إن **التوازي الشرطي** ناهيك عن أهميته التنغيمية الإيقاعية القائمة على التوازن بين الشطرين، فإن ثمة علاقة معنوية قائمة على الموازاة الدلالية بين طرفي الشرط والجزاء، ويتأتى ذلك من خلال وجود الأداة ثم السبب / المقدمة التي تؤدي بالضرورة إلى النتيجة الحتمية والغاية المرجوة.
- أخذ **توازي المطابقة** مسارات أفقية في ثلة من الأزواج المتقابلة والجدليات المتناقضة المتصارعة عبر البيت الواحد، إضافة إلى المطابقة الرأسية العمودية عبر الثنائيات الضدية والمتعارضات المتباينة contrast في القصيدة ككل.
- ظهر **توازي التناسب** في القصيدة وذلك من خلال التشبيه والعناصر اللغوية والحقول الدلالية التي تنتمي للجنس الواحد.

- غدا التوازي — من ثمة - تيمة أساسية انداحت عبر تفاصيل القصيدة وانتشرت في ثناياها وحشوها، يأخذ بعضه بحجز بعض، وقد تآزرت مستوياته، وتضافرت أنساقه في انسجام رائع وتعانق ماتع.

وختاما يجب أن نؤكد أن التوازي لا يتأتَّى عفو الخاطر، أو على البديهة والارتجال، لكن المبدع إنما يورده عن تعمُّد مصنوع، ويرومه بتراكم مقصود من أجل أن يحقق لنصه أكبر قدر من الإيقاع الصوتي والانسجام الدلالي.

ثبت بالمصادر والمراجع

أولا: المصادر

- قصيدة أبي مروان الجزيري الأندلسي في الآداب والسنة، تحقيق: الأستاذ هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤.

ثانيا: المراجع القديمة

١- **ابن الأبَّار**، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٣.

٢- **ابن الأثير** الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، د.ت.

٣- ضياء الدين **ابن الأثير**، المثل السائر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠ هـ.

٤- **ابن بسَّام** الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٧.

٥- **ابن بشكوال**، الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦.

٦- الإمام عبد القاهر **الجرجاني**، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: الشيخ محمود شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٩٤.

٧- **حازم** القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط٣، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.

٨- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢.

٩- الحميدي (أبو عبد الله محمد بن نصر الأزدي)،جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٨.

١٠- الفتح **بن خاقان**، مطمح الأنفس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨.

١١- الخطيب **التبريزي**، الكافي في العروض والقوافي، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٩.

١٢- الخطيب **التبريزي**، الكافي في العروض والقوافي، تحقيق: عمر يحيى، فخر الدين قباوة، المطبعة العربية، حلب، سوريا، ط١، د.ت.

١٣- بدر الدين محمد **الدماميني**، العيون الغامزة على خبايا الرامزة، تحقيق: الحساني حسن، دار اللواء، الرياض، ١٩٧٣.

١٤- السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ١٩٨٠.

١٥- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٤.

١٦- جلال الدين **السيوطي**، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨.

١٧- **قدامة** بن جعفر، جواهر الألفاظ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩.

١٨- **ابن رشيق** القيرواني، العمدة في محاسن الشعر ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨١.

١٩- **المقري**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت. **د.ت**.

٢٠- **النويري**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)، نهاية الإرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

٢١- **أبو هلال** العسكري، الصناعتين، تحقيق: محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.

٢٢- **يحيى** بن حكم الغزال، ديوانه، شرحه وقدم له: محمد رضوان الداية، دار قتيبة، ط١، ١٩٨٢.

٢٣- **ابن يعيش**، شرح المفصل للزمخشري، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

ثالثا: المراجع الحديثة

٢٤- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٥٢.

٢٥- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، ط٢، لبنان، بيروت، ١٩٦١.

٢٦- إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٧.

٢٧- جابر عصفور، مفهوم الشعر؛ دراسة في التراث النقدي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.

٢٨- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٢٩- حسن البنداري، ظاهرة التعاقب في الشعر الحديث، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١٦.

٣٠- حسن البنا عز الدين، الشعرية والثقافة، بيروت، لبنان ، ٢٠٠٣.

٣١- حسن عباس، خصائص حروف اللغة العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ١٩٩٨.

٣٢- ريمون طحان، وديننيز بيطار طحان، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، ط١، د.ت.

٣٣- سامح الرواشدة، مغاني النص، دراسات تطبيقية في الشعر الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

٣٤- سعد مصلوح، اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٤.

٣٥- سليمان معوض، حروف المعاني، المؤسسة الحديثة، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٨.

٣٦- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤.

٣٧- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨.

٣٨- عبد الرحمن تبرماسين، البنية الإيقاعية للقصيدة العربية المعاصرة في الجزائر، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣.

٣٩- عبد الفتاح سلامة، نظرات تطبيقية في علم البيان، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٤.

٤٠- عبد العاطي غريب علام، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٧.

٤١- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، القاهرة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

٤٢- عبد الواحد حسن الشيخ، البديع والتوازي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٩.

٤٣- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية؛ قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ط١، ١٩٨٥.

٤٤- عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ١٩٨٩.

٤٥- فاضل ثامر، مدارات نقدية، في إشكالية النقد والحداثة والإبداع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٧.

٤٦- فهد محسن فرحان، التوازي في لغة القصيدة العراقية المعاصرة، شعر سامي مهدي، مقاربة تطبيقية، مهرجان المربد الشعري الرابع عشر، ١٩٩٠.

٤٧- قاسم البريسم، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، الآفاق النظرية وواقعية التطبيق، دار الكنوز الأدبية، ط١، ٢٠٠٠.

٤٨- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١.

٤٩- محمد دياب محمد غزاوي، الغزل الأندلسي من الإمارة إلى سقوط المرابطين؛ دراسة أسلوبية، دار نور للنشر، ألمانيا، ٢٠١٦.

٥٠- محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، حساسية الانبثاقة الشعرية الأولى (جيل الرواد والستينات)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

٥١- محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٨.

٥٢- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، بيروت، ١٩٩٤.

٥٣- محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٠.

٥٤- محمد العمري، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسات الشعرية، نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر، أفريقيا الشرق، لبنان، ٢٠٠١.

٥٥- محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية،

٥٦- محمد كنوني، اللغة الشعرية، دراسة في شعر حميد سعيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ١٩٩٧.

٥٧- محمد كنوني، شعرية القصيدة العربية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، ط١، إربد، الأردن، ٢٠١٠.

٥٨- محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٤.

٥٩- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٦.

٦٠- محمد مفتاح، المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٩.

٦١- محمد النويهي، قضية الشعر الجديد، مكتبة الخانجي، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ١٩٧١

٦٢- محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.

٦٣- مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، سلسلة كتابات نقدية (٥٠)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦.

٦٤- مصطفى أمين وعلي أمين، البلاغة الواضحة؛ البيان، المعاني، البديع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩.

٦٥- موفق قاسم الخاتوني، دلالة الإيقاع وإيقاع الدلالة في الخطاب الشعري الحديث؛ قراءة في شعر محمد صابر عبيد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ٢٠١٣.

٦٦- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٤.

٦٧- ياسر سلامة، خاتم بلغاء كتاب الأندلس، الوزير الكاتب أبو مروان عبد الملك الجزيري، حياته وشعره وسجنه، دار الجنان للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٥.

٦٨- يسرية يحيى المصري، بنية القصيدة في شعر أبي تمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

٦٩- يوسف حسين بكار، بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩.

رابعا: المراجع المترجمة

٧٠- رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٨.

٧١- رومان ياكبسون، أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب، ترجمة: فالح صدام، عبد الجبار محمد علي، مراجعة: مرتضى باقر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٩٠.

٧٢- جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٥.

٧٣- رينيه ويليك وأوستين وارين، نظرية الأدب، ترجمة ومراجعة: حسام الخطيب، المجلس الأعلى للفنون، القاهرة، د .ت.

٧٤- سمويل ليفين، البنيات اللسانية في الشعر، ترجمة: محمد الولي والتوزاني خالد، منشورات الحوار الأكاديمي، دار الخطاب، ١٩٨٩

٧٥- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧

٧٦- ميشيل فوكو، الكلمات والأشياء، ترجمة مجموعة من المترجمين بإشراف مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠،

٧٧- يوري لوتمان، تحليل النص الشعري، مهاد نظري، ترجمة: محمد فتوح، النادي الأدبي الثقافي ، السعودية، ط١، ١٩٩٩.

خامسا: المجلات والدوريات

٧٨- حاتم عبيد، أسلوبية الشعر في كتاب الأسلوبية لجوال قارد – تامين، علامات، مج٩، ج٣٣، النادي الأدبي الثقافي، جدة، سبتمبر ١٩٩٩.

٧٩- رجب عبد الجواد، الجمل المتوازية عند طه حسين؛ دراسة في أحلام شهر زاد، مجلة علوم اللغة، مجلد ٣، عدد٤، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٨٠- سامح الرواشدة، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، مج١٦، ع٢، ١٩٩٨.

٨١- سليم بوزيدي، جماليات التوازي في التراكيب الشعرية عند أبي حمو موسى الزياني، مقاربة في أسلوبية التركيب الشعري، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة ، العدد ٩، ٢٠١٣.

٨٢- عبد الرحمن محمد الهبيل، ظاهرة التوازي في شعر الإمام الشافعي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد ٣٣، حزيران ٢٠١٤.

٨٣- عمر الدقاق، جمالية الثنائيات والمتضادات في العبارة العربية، مجلة المعرفة، ع٥٦١، وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق، ٢٠١٠

٨٤- غانم صالح سلطان، التوازي في قصيدة محمود (عاشق من فلسطين)، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، بابل، مج١١، العدد٢، ٢٠١١.

٨٥- فواز أمحمد بن لخضر، سمات نثر الشاعر أبي مروان الجزيري الأندلسي، مجلة الأدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورفلة، الجزائر، العدد ٦، ماي ٢٠٠٧.

٨٦- محمد كنوني، التوازي ولغة الشعر، مجلة فكر ونقد، المغرب، السنة الثانية، ع١٨، ١٩٩٩.

٨٧- محمد مفتاح، مدخل إلى قراءة النص الشعري، مجلة فصول، مج ١٦، ع ١، ١٩٩٧.

٨٨- موسى ربابعة، ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء، مجلة الدراسات للعلوم الإنسانية، الأردن، مج ٢٢، العدد ٥، ١٩٩٩.

٨٩- وهاب داودي، البنيات المتوازنة في شعر مصطفى محمد الغماري (التوازي والتكرار)، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر، ٢٠١٤.

سادسا: المعاجم والقواميس

٩٠- ابن منظور المصري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

سابعا: المراجع الأجنبية

- george Buchanangray.the forms of Hebrew poetry.hodder and syoughton .r.r . clark limited . edinburg .

- Roland Barthes, Mythologies, The Noon Day Press, New York, Printing , 1991,p

دلالة التمانع على الوحدانية في الفكر الكلامي
دراسة مقارنة بالفلسفة والتصوف

تأليف

د/ حمادة محمد محمد إبراهيم سالمان

مدرس الفلسفة الإسلامية- قسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥

دلالة التمانع على الوحدانية في الفكر الكلامي
دراسة مقارنة بالفلسفة والتصوف

تأليف

د/ حمادة محمد محمد إبراهيم سالمان

مدرس الفلسفة الإسلامية-قسم الفلسفة الإسلامية

كلية دار العلوم-جامعة الفيوم

مقدمة

الحمد لله واهب العقول تفضلا وإنعاما، والصلاة والسلام على خير خلقه خلقا ومقاما.

وبعد،،،

فإن للعقل وبراهينه وأدلته مكانة عظيمة ومنزلة كبيرة في الفكر الفلسفي الإسلامي عامة والفكر الكلامي خاصة، فهو أحد جناحين تقام عليهما الآراء والقضايا الكلامية إلى جانب النقل، بل كان للأدلة العقلية -في فترات كثيرة- الغلبة والتقدم والأولوية في إثبات كثير من القضايا الكلامية عند المتكلمين على اختلاف مدارسهم ومذاهبهم، ومن بين تلك القضايا والمسائل مسألة الوحدانية.

وقد كان من أبرز الأدلة العقلية عند المتكلمين على الوحدانية دليل التمانع، فلقد احتل هذا الدليل العقلي عندهم المرتبة الأولى في الاستدلال على الوحدانية وإثباتها، فاجتهدوا في تقريره وتحريره على وجوه متعددة، وردوا على كل الشبهات والاعتراضات المثارة حوله بتفصيل وتدقيق، حتى لا يبقى عليه

اعتراض أو طعن، كل ذلك للتأكيد من جانبهم على مكانة هذا الدليل ومنزلته، فهو عمدة الأدلة العقلية عندهم في هذه المسألة.

غير أن هذا الاهتمام لم يمنع بعض المتكلمين من إسقاط رتبته في الاحتجاج ورده ونقده وتضعيفه، مثل أبي هاشم الجبائي (ت: ٣٢١هـ) من المعتزلة، والآمدي (ت: ٦٣١هـ) من الأشاعرة، كما أن بعضهم لم يعره أي اهتمام ولم يتعرض له بتأييد أو رفض، مثل الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) من المعتزلة، والبزدوي (ت: ٤٩٣هـ) ونجم الدين النسفي (ت: ٥٣٧هـ) من الماتريدية.

ولئن احتل هذه الدليل تلك المنزلة عند المتكلمين، فإن الفلاسفة، وأبرزهم ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ) ونصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٢هـ)، قد أسقطوا حجيته وعارضوه وانتقدوه، على الرغم من أنه دليل عقلي، وهم أصحاب العقل، ولكنهم انتقدوه؛ لأنه – من وجهة نظرهم–دليل جدلي خطابي ظني، لا يرقى إلى الأدلة البرهانية القطعية اليقينية.

وإذا ما تحولنا إلى مجال التصوف، وجدنا أن بعض الصوفية قد برهن على الوحدانية بهذا الدليل العقلي، مثل: القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، وابن عربي (ت: ٦٣٨هـ)، وهذا يبرز لنا مدى اهتمام هذين العَلَمَين بالعقل وأدلته، على الرغم من أنهما صوفيان، وكما هو معروف عن الصوفية، أنهم يهتمون بالجانب الروحي على حساب الجانب العقلي.

وإزاء هذه المواقف المختلفة تجاه هذا الدليل العقلي، تكونت فكرة البحث، وقد عنونته بـ"**دلالة التمانع على الوحدانية في الفكر الكلامي: دراسة مقارنة بالفلسفة والتصوف**".

أما عن سبب اختياري هذه الفكرة للبحث والدراسة، فلما لهذا الدليل من مكانة كبيرة عند مدرسة كبيرة من مدراس الفكر الفلسفي في الإسلام، وهي المدرسة الكلامية، فهو الدليل العقلي المعتمد والأول عندهم في إثبات الوحدانية، بالإضافة إلى أدلة عقلية أخرى، تأتي بعده في الاهتمام.

كما أن هذا الدليل قد دار حوله نوع من الجدل والصراع الفكري بين المذاهب الفكرية المختلفة، أقصد بين المتكلمين والفلاسفة على الأخص.

أما خطة البحث، فقد جاءت في مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع.

المقدمة أشرت فيها إلى أهمية دليل التمانع باعتباره دليلا عقليا في الاستدلال على الوحدانية.

التمهيد ذكرت فيه تعريف التمانع لغة واصطلاحا.

المبحث الأول-"دليل التمانع عند المعتزلة"، المبحث الثاني-"دليل التمانع عند الأشاعرة"، المبحث الثالث-"دليل التمانع عند الماتريدية"، المبحث الرابع-" دليل التمانع عند الفلاسفة"، المبحث الخامس-" دليل التمانع عند الصوفية"، أما الخاتمة، فتتضمن أهم نتائج البحث.

التمهيد:

أولا- التمانع لغة:

المنع: أَن تَحُولَ بين الرجل وبين الشيء الذي يريده، ويقال: هو تحجير الشيء، منعه يمْنَعُه مَنْعاً ومَنَّعَه فامْتَنَع منه وتمنَّع، والاسم المَنَعةُ والمَنْعةُ والمِنْعةُ، ورجل مَنُوعٌ يَمْنَع غيره، ورجل مَنِعٌ يمنع نفسه، والمَنِيعُ أَيضاً الممتنِعُ، والمَنُوع الذي منع غيره(١).

ثانيا-التمانع اصطلاحا:

يعرف القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥هـ) التمانع بأنه عبارة عن أن يفعل كل واحد من القادرين ما يمنع به صاحبه(٢).

ويعرفه في موضع آخر بأنه فعل أحد المتمانعين ضد ما يفعله الآخر(٣).

فالتمانع يستلزم أمرين: الأول-القدرة على الفعل. الثاني-وجود فعلين متضادين، وحدوث أحدهما دون الآخر؛ ولذا عرف الجويني الفعلين المتمانعين بأنهما الضدان المتناقضان(٤).

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، بدون تاريخ، مادة (م ن ع).
(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د/عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٧٩.
(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٨٣.
(٤) الجويني، الشامل في أصول الدين، حققه وقدم له: علي سامي النشار، فيصل بدير عون، سهير محمد مختار، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٣٦٦.

وقد ذهب شيوخ المعتزلة إلى أن التمانع يصح في كل ضدين، ولا يعتبر في صحة ذلك فيهما بجنسهما، ولا بسائر أوصافهما، ولا باختلاف الوجوه التي تحدثان عليها من جهة القادر عليهما، ولذلك قالوا: إن التمانع يصح في المتولدين، وفي المباشرين، ويصح في المباشر والمتولد، ويصح في المخترعين، ويصح في أفعال القلوب كصحته في أفعال الجوارح(١)، ويصح أيضا بين كل فعلين جاريين مجرى الضدين(٢).

وقد وضع أبو رشيد النيسابوري شرطا لهذين الضدين أو ما يجري مجراهما، وهو أن يكونا موجودين، ولا يجوز أن يكونا معدومين، ولا أن يكون أحدهما موجودا والآخر معدوما؛ لأن العدم لا يقع فيه تضاد، ولا ما يجري مجرى التضاد(٣).

ويؤكد الجويني (ت: ٤٧٨هـ) أن التمانع يرجع إلى الأفعال المتضادة دون ذاتي القديمين وصفاتهما، فإن الذاتين مستويتان في القدم وصفات النفس(٤).

---

(١) القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق:د. محمد مصطفى حلمي، د. أبو الوفا الغنيمي، مراجعة: د. إبراهيم مدكور، د. طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ٤/ ٢٨٥، وانظر: أبو رشيد النيسابوري، ديوان الأصول، تحقيق: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ص ٤، ٢٢.

(٢) أبو رشيد النيسابوري، ديوان الأصول، ص ٤، ٢٢.

(٣) السابق والصفحتان.

(٤) الشامل، ص ٣٦٥.

المبحث الأول–دليل التمانع عند المعتزلة

برهن المعتزلة على وحدانية الله تعالى ونفي الشريك عنه، في معرض ردهم على من أثبت قديما ثانيا من الديصانية والمانوية والمجوس وغيرهم، ببرهان التمانع. وفيما يلي بيان أصول هذا الدليل عند المعتزلة وكيفية تقريره والرد على الشبهات المثارة حوله.

– أصول دلالة التمانع:

أشار القاضي عبد الجبار إلى أن دلالة التمانع مبنية على عدة أصول، يمكن حصرها في ثمانية أصول، هي[1]:

١– أن القديم قديم لنفسه. ٢– أن الاشتراك في صفة من صفات الذات أو النفس يوجب التماثل والاشتراك في سائر الصفات. ٣– أن من حق كل قادرين صحة وقوع التمانع بينهما. ٤– أن المقدور الواحد لا يصح كونه مقدورا لقادرين. ٥– أن من حق القادر على الشيء إذا دعاه الداعي أن يحصل لا محالة؛ لأنه لو لم يحصل، لخرج من كونه قادرًا. ٦– أن من حق القادر على الشيء أن يكون قادرا على جنس ضده إذا كان له ضد. ٧– أن من لم يحصل مراده، يكون ممنوعا متناهي المقدور، والمتناهي المقدور لابد أن يكون قادرًا بقدرة، والقادر بالقدرة لابد أن يكون جسما. ٨– خالق العالم لا يجوز أن يكون جسما.

---

(١) المغني، ٤/ ٢٧٦، شرح الأصول الخمسة، ص٢٧٨–٢٧٩.

يتضح من الأصول الثمانية السابقة أن القاضي قد بناها وأسسها على صفة القدرة، ولعله قد فعل ذلك لما وجده من كثرة الشبهات والاعتراضات حول تطبيق التمانع على صفة الإرادة، كما سنرى فيما بعد.

-تقرير دلالة التمانع وتحريرها:

بدأ القاضي عبد الجبار تحرير دليل التمانع بالتأكيد على أنه لو كان مع الله تعالى قديم ثان، لوجب أن يكون مثلا له، لأن القدم صفة من صفات النفس، والاشتراك فيها يوجب التماثل والاشتراك في سائر صفات النفس، وإذا كان القديم تعالى قادرا لذاته، وجب أن يكون الثاني أيضا قادرًا لذاته(١)، ويبطل قول من يجعل الثاني عاجزا أو جاهلا أو مواتا(٢)، فيجب – حينئذ – صحة وقوع التمانع بينهما، ولو قُدِّر وقوع التمانع بينهما بأن يريد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، لكان هذا لا يخلو من ثلاثة وجوه(٣):

الأول – أن يحصل مرادهما معا، وهذا الوجه مستحيل؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع الضدين.

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص٢٧٨، المغني، ٤/ ٢٧٥، المجموع في المحيط بالتكليف، جمع الشيخ أبي محمد الحسن بن أحمد بن متويه، عني بتصحيحه ونشره: الأب جين يوسف هوبن السباعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون تاريخ، ١/ ٢١٥– ٢١٦.

(٢) المجموع في المحيط بالتكليف، ١/ ٢١٦.

(٣) شرح الأصول الخمسة، ص٢٧٨، المغني، ٤/ ٢٧٥، المجموع، ١/ ٢١٦.

ونلاحظ في رد هذا الوجه أنه مبني على قانون مهم من قوانين الفكر الأساسية، ألا وهو قانون التناقض أو عدم التناقض، الذي ينص على عدم إمكان الجمع بين الشيء ونقيضه في آن واحد(١).

الثاني – ألا يحصل مرادهما جميعا، وذلك يقدح في كون الواحد قادرا لذاته، ويوجب كون كل واحد منهما مانعا لصاحبه، وذلك يدل على تناهي مقدروهما، وفي ذلك إبطال للقديم الواحد، فضلا عن قديم ثان.

ورد هذا الوجه مبني أيضا على قانون آخر من قوانين الفكر الأساسية، وهو قانون الثالث المرفوع أو الوسط الممتنع الذي ينص على وجوب وجود أحد المتناقضين وصدقه، إذ ليس هناك احتمال ثالث بجانب المتناقضين يمكن أن يرفعهما سويا من الوجود(٢).

ولما ثبت استحالة الوجهين السابقين، لم يبقَ إلا الوجه الثالث.

الثالث – أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر، ومن حصل مراده فهو الإله، ومن لم يحصل مراده فهو الممنوع، لأنه لو لم يكن ممنوعا، لحصل مراده، فلما لم يحصل دل على أنه ممنوع، والممنوع متناهي المقدور، قادر بقدرة، والقادر بقدرة لا يكون إلا جسما، وخالق العالم لا يجوز أن يكون جسما.

---

(١) انظر: د. محمد مهران، مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ٤٤.

(٢) السابق، ص ٤٤– ٤٥.

ينتج إذا أن القول بإثبات ثان يؤدى إما إلى اجتماع ضدين، أو إبطال القديم الواحد وكون ذلك الثاني محدثا، وكل ذلك فاسد، فيجب القضاء بأنه تعالى واحد لا ثاني له[١].

ونلاحظ هنا أن القاضي قد طبَّق دلالة التمانع على صفة الإرادة، وأثبت من خلالها وقوع التمانع بين المريدين، وإذا وقع التمانع، فلابد أن تنفذ إرادة أحدهما، ويمتنع على الثاني تنفيذ إرادته، ومن نفذت إرادته، فهو الإله؛ لأن الممنوع عاجز، فلا يكون إلها.

وقد تابع الملاحمي (ت: ٥٣٦هـ) القاضي عبد الجبار في الاستدلال بدليل التمانع على الوحدانية[٢].

اعتراضات وشبهات حول التمانع ورد القاضي عليها:

أورد القاضي عبد الجبار بعض الاعتراضات التي تمسك بها المعترضون على دلالة التمانع في صفة الإرادة، منها:

الاعتراض الأول- أن صحة وقوع التمانع بينهما مبني على اختلافهما في الإرادة، وهما لا يختلفان في ذلك، لأن الإرادة الموجودة في محل كما توجب الصفة لهذا، توجب الصفة لذلك؛ إذ لا اختصاص لها بأحدهما دون الآخر.

يرد القاضي على هذا الاعتراض من ثلاثة وجوه[٣]:

---

(١) المغني، ٤/ ٢٧٥.

(٢) المعتمد في أصول الدين، تحقيق: مارتن مكدرمت، ويلفرد ماديلونغ، الهدى، لندن، ١٩٩١م، ص ٥٠٦ وما بعدها.

(٣) انظر: المغني، ٤/ ٢٨٠- ٢٨١.

أولها- أنه من حكم كل حيين صحة اختلافهما في الإرادة، سواء كانا مريدين بإرادة موجودة لا في محل، أم لم يكونا كذلك، وإثبات الثاني يقتضى فساد هذا الأصل، فيجب فساده.

ثانيها- يؤكد القاضي أنه لم يبنِ صحة وقوع التمانع بينهما على اختلافهما في الإرادة، وإنما بناه على صحة اختلافهما في الداعي، وما من قادرين إلا ويصح اختلافهما في الداعي(١)، وإذا صح ذلك، لم يمتنع أن يريد أحدهما ما دعاه الداعي إليه من تحريك الجسم، ويريد الآخر تسكينه، فإذا ثبت ذلك، ولم يكن للضدين إلا أحوال ثلاثة: إما وجودهما معا، وذلك محال، وإما أن لا يوجدا، وذلك لا يصح لما فيه من نفي القديم الواحد، فيجب كونهما متناهيي المقدورات، وفي ذلك نفي الواحد قادرا لنفسه، أو يوجد مراد أحدهما دون الآخر، وذلك يوجب أن من لم يوجد مراده متناهي المقدور، وذلك يوجب كونه جسما محدثا، فثبت تصحيح الدلالة على هذا الوجه.

ويقيس القاضي هذا الأمر على الشاهد، حيث إننا نرى النائمين قد يتمانعان في تجاذب كساء مع فقد الإرادة.

وقد خالف الملاحمي القاضي عبد الجبار في هذا الجواب، حيث ذكر الملاحمي أن الاختلاف في الدواعي يصح بين كل حيين في الشاهد فقط، أما العالمان الحكيمان لذاتيهما، فلا يصح اختلافهما في الدواعي(٢).

---

(١) شرح الأصول الخمسة، ص ٢٨٢، وانظر: المجموع في المحيط بالتكليف، ١/ ٢١٧.
(٢) المعتمد في أصول الدين، ص ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣٠.

ثالثها- أنه لما لم يكن التمانع أكثر من أن يفعل أحدهما ضد ما يفعله الآخر، فإنه يصح في مجرد الفعل، ومجرد الفعل لا يحتاج إلى القصد والإرادة.

الاعتراض الثاني- أنه لو تمانع الإلهان، لكان الصحيح أنه لا يوجد مرادهما جميعا؛ لأنهما إذا كانا قادرين لأنفسهما، فليس مراد أحدهما بالوجود أولي من مراد الآخر، فالتمانع بينهما لا يصح أصلا.

يجيب القاضي عن هذا الاعتراض مبينا بطلانه، بأن امتناع وجود مرادي القادرين، مع أن الداعي قد دعاهما إلى الفعل، يقتضى كون كل واحد منهما مانعا لصاحبه، ويوجب ضعفهما جميعا، وتناهي مقدورهما، وذلك يوجب إبطال القديم الواحد، وقد ثبت بالدليل، فيجب إبطال ما يؤدي إلى نفيه، فبطل بذلك القول بأن مرادهما جميعا لا يوجد، كما بطل القول بوجود مرادهما مع تضادهما، فكان لا يصح أن يمتنع على كل واحد منهما الفعل(١).

الاعتراض الثالث- أن الإلهين حكيمان، ولذا لا يتمانعان، فلا يريد أحدهما ضد ما يريده الآخر.

يرد القاضي على هذه الشبهة بأنه لم يبن الدلالة على وقوع التمانع بينهما، لأن في ذلك إثبات ما يروم نفيه، وإنما بناها على تقدير التمانع بينهما، والتقدير كالتحقيق ههنا(٢)، وكل دلالة تدل بصحتها، فإن العلم بصحتها يغني عن وقوعها، وتقدير التمانع لا يمنع منه حكمتهما(١).

---

(١) المغني، ٤/ ٢٩٤- ٢٩٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٨٣، وانظر: المغني، ٤/ ٢٨١، المجموع في المحيط بالتكليف، ١/ ٢١٧، وانظر: الملاحمي، المعتمد في أصول الدين، ص ٥١٥، ٥٢٦.

=

ورد القاضي السابق مبني على القول بأن كل قادرين لابد من أن يصح التمانع بينهما(٢).

الاعتراض الرابع– أن مذهب المعتزلة يلزمهم القول بأن إرادة أحدهما يجب أن تكون إرادة للآخر، لأن الذي لأجله يصير أحدهما مريدا بها هو وجودها لا في محل، وليس لأحدهما معها من الحكم ما ليس للآخر، ولا لها بأحدهما من الاختصاص إلا ما لها بالآخر، فيجب كونهما مريدين بها، فينتج أن كل واحد منهما يريد نفس ما يريد صاحبه، ولا يخلص لهم القول بأن أحدهما أراد ضد ما أراده الآخر، وذلك يحيل التمانع بينهما، وفي ذلك إسقاط الدليل.

يبطل القاضي هذه الشبهة بأن أصحابها نظروا إلى الشاهد والمثال على الدليل، والاعتراض على المثال لا يوجب القدح في الدلالة، ولذا عدل القاضي إلى مثال غيره، ومتى عدل المستدل عن المثال إلى غيره مما يصح أن يجعله مثالا، زال ذلك القدح، فذكر القاضي ضدين آخرين لا يصح أن يعترض عليهما، وهما (الإرادة والكراهة)، وساق الدلالة على هذا النحو: لو حاول أحدهما إرادة

=

وقد ذكر القاضي أن التقدير ربما يقوم مقام التحقيق، وذلك مثل ما نحن فيه، وربما لا يقوم مقامه، وذلك كتقدير وقوع الظلم من جهة الله تعالى فإنه لا يقوم مقام الوقوع، إذ لو وقع من الله تعالى الظلم حقيقة لدل على الجهل والحاجة، وليس كذلك إذا هو قدر وقوعه من قبله، فالوجه في ذلك أن يحال السؤال ويقال: خطأ قول من يقول: إنه يدل على الجهل والحاجة وخطأ قول من يقول إنه لا يدل عليه، فهذه هي الدلالة العقلية. انظر: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٨٣.

(١) الملاحمي، المعتمد في أصول الدين، ص ٥٢٦.

(٢) السابق، ص ٥١٦.

شيء، حاول الآخر كراهته، كان لا يخلو القول فيهما من وجوه ثلاثة، فالغرض في الدلالة ذكر ضدين قد علم امتناع وجود أحدهما لأجل وجود الآخر(١).

وقد أكد القاضي رده بما ذهب إليه شيوخه من قولهم إن التمانع يصح في كل ضدين، ولا يعتبر في صحة ذلك فيهما بجنسهما، ولا بسائر أوصافهما، ولا باختلاف الوجوه التي تحدثان عليها من جهة القادر عليهما، كما أكده رده بقول أبي إسحق: إن الإرادة إنما تدعو المريد إلى فعل المراد متى كانت من فعله، ومتى كانت من فعل غيره، لم يكن لها هذا الحظ(٢).

ويضيف القاضي إلى ما ذكره شيوخه ردًّا مؤداه: أن كل واحد منهما، وإن أراد ما يريده الآخر، فالتمانع بينهما صحيح، لأن الحركة التي أرادها أحدهما تختص بكونها مقدورة له، فإرادة الآخر لها لا تدعوه إلى إيجادها من حيث لم يكن قادرا عليها، وإذا ثبت ذلك، عاد الأمر في أن كل واحد منهما، وإن أراد ما يريده صاحبه، فهو في الحكم كأنه مريدا لما تعذر عليه فقط من حيث لا تدعوه الدواعي من إرادة وغيرها إلا إليه، فهو بمنزلته لو لم يرد إلا مقدور نفسه، وذلك يسقط السؤال(٣).

---

(١) المغني، ٤/ ٢٨٤- ٢٨٥، المجموع في المحيط بالتكليف، ١/ ٢١٧، وانظر: الملاحمي، المعتمد في أصول الدين، ص ٥٢٥- ٥٢٦.

(٢) المغني، ٤/ ٢٨٥، وانظر: أبو رشيد النيسابوري، ديوان الأصول، ص ٤، ٢٢.

(٣) المغني، ٤/ ٢٨٦.

تحرير آخر لدلالة التمانع:

وإزاء هذه الاعتراضات الكثيرة المثارة حول تأسيس دلالة التمانع على اختلاف الإلهين في الإرادة، جنح القاضي إلى تأسيسها وتحريرها وتطبيقها على صفة القدرة، نظرا لقلة الاعتراضات عليها، وهذا يحسم الشغب والتنازع والخلاف؛ ولذا لاحظناه يعتمد على صفة القدرة وما يتعلق بها في وضع الأصول الثمانية لدلالة التمانع(١)، يقول القاضي: "والأحسم للشغب هو أن تحرر دلالة التمانع تحريرا آخر فنقول: لو كان مع الله تعالى قديم آخر، لوجب أن يكون قادرا مثله، فلا يخلو إما أن يكون مقدورهما واحدا، أو يكون مقدورهما متغايرا، لا يجوز أن يكون مقدورهما واحدا؛ لأن المقدور الواحد بين القادرين محال، فيجب أن يكون مقدورهما متغايرا، وإذا تغاير مقدورهما، وجب صحة التمانع بينهما(٢).

ويورد القاضي اعتراضا على هذا التحرير أيضا مؤداه، أنه يجوز أن يكون مقدورهما واحدا، لأنهما قادران للذات، فلا يعلم وقوع التمانع، وهذا يشبه حال الواحد منا مع نفسه، فكما أنه لا يصح وقوع التمانع بينه وبين نفسه لما كان مقدورهما واحدا، كذلك الأمر هنا(٣).

يجيب القاضي عبد الجبار عن هذا الاعتراض بعده طرق أو إجابات(٤):

---

(١) انظر البحث، ص ٥.

(٢) شرح الأصول الخمسة، ص ٢٨٢.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص٢٨٠، وانظر: المجموع في المحيط بالتكليف، ١/ ٢١٦، ٢١٧.

(٤) شرح الأصول الخمسة، ص ٢٨٠- ٢٨١.

الأولى – جواب أبي إسحاق بن عياش، وتحريره أن من حق كل قادرين أن يكون مقدورهما متغايرا، سواء كان قادرين للذات أو لمعنى؛ لأن الذي دل على استحالة مقدور بين قادرين، لم يفصل بين أن يكونا قادرين للذات أو المعنى.

ويذكر القاضي أن الاعتماد على هذه الطريقة لا يصح؛ لأن هذا ينقض الأصل التالي، وهو أن الاشتراك في صفة من صفات الذات يوجب الاشتراك في سائر صفات الذات، فكان يجب إذا قدر أحدهما على شيء لذاته أن يكون الآخر قادرا على ذلك الشيء.

الطريقة الثانية: أنا نعلم صحة التمانع بين كل قادرين، وإن لم نعلم تغاير مقدورهما، ولهذا فإن نفاة الأعراض يعرفون صحة التمانع، وإن لم يحظر ببالهم تغاير المقدورين، ولا تماثلهما(١).

وهذه الطريقة التي ذكرها القاضي عليها عدة مآخذ، منها:

١- أنه بناها على المشاهدة، وإرجاع الأساس في الاستدلال على التمانع إلى معرفة ضرورية تعتمد على المشاهدة يجعل من أهم دليل اعتمده المعتزلة أمرا لا يستدل عليه بالتفكر والنظر، ولعل القاضي أراد أن يعود بالدليل إلى شيء من البساطة والاعتماد على الفطرة الإنسانية السليمة(٢).

---

(١) انظر: المجموع في المحيط بالتكليف، ١/ ٢١٦.

(٢) د. عبد الكريم عثمان، نظرية التكليف: آراء القاضي عبد الجبار الكلامية، مؤسسة الرسالة، ص ٢٤٨.

٢- أنه – كما يذكر مانكديم- قد يعترض معترض بقوله: إن لم نعلم تغاير المقدورين، لم نعلم صحة التمانع[١].

٣- أن نفاة الأعراض – كما يصرح مانكديم- يعرفون تغاير المقدورات على سبيل الجملة، وما ذكره القاضي من أنهم لا يعلمونها فليس بصحيح[٢].

الطريقة الثالثة: أن المقدور الواحد بين القادرين محال، وإثبات الثاني يؤدي إليه، فيجب أن يكون محالا؛ لأن ما يؤدي إلى المحال يكون محالا مثله.

ويذكر القاضي أن هذه الطريقة سهلة من طريق العلم، مشكلة من طريق الجدل؛ لأن للخصم أن يقول هذا انتقال من دلالة التمانع إلى دلالة أخرى، ولكن القاضي يجيب بأن هذا ليس بانتقال، وإنما هو استعانة ببعض ما يذكر في دليل آخر ودفعا لسؤال السائل.

وهذه الطريقة التي ذكرها القاضي معتمدة عنده وعند مدرسته، إلا أنها منقوضة عند أبي علي الجبائي (ت: ٣٠٣هـ) وأبي الحسين البصري (ت: ٤٣٦هـ) ومن تابعهما[٣].

دلالة التمانع لا تصح على أصول المجبرة والمشبهة:

يذهب القاضي إلى أن المجبرة الذين يقولون بالجبر لا سبيل لهم إلى نفي ثان مع الله سبحانه بدليل التمانع؛ لأنهم يقولون بجواز مقدور واحد لقادرين،

---

(١) شرح الأصول الخمسة، ص ٢٨١.
(٢) السابق والصفحة.
(٣) د. عبد الكريم عثمان، نظرية التكليف، ص ٢٤٧.

أحدهما قديم، والآخر محدث، وذلك يمنعهم من العلم بأن المقدور الواحد يستحيل كونه مقدورا لقادرين قديمين، لو كان للقديم جل وعز ثان[١].

كما يصرح القاضي بأن المشبهة لا يصح لهم الاستدلال بالتمانع على الوحدانية؛ لأنهم يقولون إنه جل وعز قادر بقدرة قديمة، وهذا يوجب القول بأن القدرة القديمة موجبة للمقدور، وذلك يوجب عليهم القول بأن القديم جل ذكره يجب كونه فاعلا لما يقدر عليه، وذلك يحيل تعلقه بدليل التمانع[٢].

ويخلص القاضي من ذلك إلى القول بأنه مع الاعتقاد بالجبر والتشبيه لا يصح معرفة التوحيد، وأن ذلك إنما يصح على الأصول الصحيحة التي وضعها المعتزلة[٣].

وفكرة أن دلالة التمانع لا تستقيم على أصول المخالف ولا يصح له الاستدلال بها على الوحدانية قد بدأها القاضي عبد الجبار، ثم تابعه فيها البغدادي (ت: ٤٢٩هـ) والجويني والشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ) من الأشاعرة، وأبو المعين النسفي (ت: ٥٠٨هـ) من الماتريدية، فكل فريق من هذه الفرق يرى أن خصمه لا يمكنه الاستدلال بدليل التمانع على الوحدانية.

- الرافضون دليل التمانع:

إذا كان القاضي عبد الجبار قد أثبت الوحدانية بدليل التمانع، فإن بعض المعتزلة قد رفض حجيته ودلالته على الوحدانية، وبعضهم قد تجاهله.

---

(١) المغني، ٤/ ٣٤٣.
(٢) السابق، ٤/ ٣٤٥.
(٣) السابق، ٤/ ٣٤٦.

فممن رفضه تماما ورفض غيره من الأدلة العقلية على الوحدانية أبو هاشم الجبائي، فقد ذكر أبو المعين النسفي أن أبا هاشم قد ذهب إلى أنه يتعذر إثبات الوحدانية بالدلائل العقلية، وزعم أن لا دلالة في العقل على وحدانية الصانع، وأن العلم بأن الصانع واحد إنما هو بدلالة السمع، دون العقل(١).

وهذه الفكرة قد ذهب إليها الرازي(٢) والآمدي(٣)، والفيلسوف نصير الدين الطوسي(٤)، ويستندون في ذلك إلى "أن كل مسألة لا تتوقف معرفة صدق الرسل عليها، فإنه يمكن إثباتها بالسمع، والوحدانية لا تتوقف معرفة صدق الرسل عليها، فلا جرم يمكن إثباتها بالدلائل السمعية"(٥).

وقد اعترض أبو هاشم على الأدلة العقلية عامة ودليل التمانع خاصة في إثبات الوحدانية بما يلي(٦):

١- أن العقل يجوِّز وجود أكثر من إله، فلو خلينا وعقولنا – من وجهة نظر أبي هاشم- لجوزنا أن يكون للعالم صانعان وأكثر.

---

(١) تبصرة الأدلة في أصول الدين، الجزء الأول، تحقيق وتعليق: أ.د/ حسين آتاي، أنقرة، نشريات رئاسة الشئون الدينية للجمهورية التركية، ١٩٩٣م، ١/ ١١٥، وانظر: الآمدي، أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: أ.د/ أحمد محمد المهدي، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط ٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ٢/ ١٠٦، ولكن الآمدي لم يذكر أبا هاشم، وإنما قال :"حذاق المعتزلة".

(٢) مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٢٢/ ١٣٣.

(٣) أبكار الأفكار، ٢/ ١٠٦.

(٤) تلخيص المحصل (المعروف بنقد المحصل)، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣٢٤.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٢/ ١٣٣، وانظر: الطوسي، تلخيص المحصل، ص ٣٢٤.

(٦) تبصرة الأدلة، ١/ ١١٥.

٢- أن التمانع يدخل في جملة المستحيلات التي لا يوصف أحدهما بالقدرة عليه أو بالعجز عنه.

وقد قاس أبو هاشم هذا على حال الإله الواحد، فإنه ممنوع في الواحد تعالى وصفه بالقدرة على الظلم والكذب وسائر الأوصاف التي لا تليق بالبارئ تعالى، ويمتنع وصفه بالعجز عنها للاستحالة، فكما منعوه في الواحد، يمنع في الاثنين.

٣- أن التمانع لا يصح بين القادرين لأنفسهما؛ لأنهما إن تمانعا بقدر، وفي مقدورهما أكثر منه، لم يصح، لأن من حق التمانع أن يقتضى القصد إلى إيجاد ذلك الشيء على كل وجه، ولا يصح أن يدعوه الداعي إلى إيجاده، ويقدر على ذلك ولا يفعل ؛ وليس لما لا يتناهي حد فيقال: إنه قد حصل ممنوعا بذلك الحد، أو مانعا لمثله؛ وإن تمانعا بجميع ما يقدرون عليه، استحال؛ لاستحالة خروج ما يقدران عليه إلى الوجود ولا يصح أن يمنع المانع مما يستحيل وجوده، فإذا صح ذلك، ثبت أن التمانع بينهما لا يصح(١).

وممن تجاهل هذا الدليل تماما الزمخشري، وذلك عند تفسيره قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، حيث يقول: "وأما طريقة التمانع، فللمتكلمين فيها تجاول وطراد"(٢)، ولم يزد عن ذلك.

المبحث الثاني-دليل التمانع عند الأشاعرة

---

(١) المغني، ٤/ ٢٩٤- ٢٩٥.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣/ ١١١.

اعتمد الأشاعرة منذ مؤسس المذهب الإمام الأشعري على دليل التمانع في إثبات وحدانية الله تعالى، وقد حاز هذا الدليل مكانة كبيرة ومنزلة رفيعة عندهم، حتى جاء الآمدي ورفض الاستدلال به، ثم تابعه بعد ذلك التفتازاني.

فنحن إذا أمام موقفين متضادين واتجاهين متعاكسين في مدرسة واحدة بشأن الاستدلال بهذا الدليل على إثبات صفة الواحدانية:

الموقف الأول- الاتجاه المؤيد لدلالة التمانع على الوحدانية، ويمثله (الأشعري، الباقلاني، البغدادي، الجويني، الغزالي، الشهرستاني، الرازي).

الموقف الثاني- الاتجاه الرافض أو المعارض لهذا الدليل، ويمثله (الآمدي، التفتازاني)، وفيما يلي تفصيل القول في هذين الاتجاهين:

أولا – المؤيدون للاستدلال بدليل التمانع على الواحدانية:

إن الباحث المدقق في مصنفات الأشاعرة يلاحظ أنهم جميعا قد عولوا على دليل التمانع في إثبات وحدانية الله عز وجل حتى بداية القرن السابع الهجري، فبدءا من الأشعري مؤسس المذهب، ومرورا بالباقلاني، والجويني، والغزالي، والشهرستاني، والرازي، نجد أن الدليل العقلي الأولى والأقوى في إثبات الوحدانية عندهم هو دليل التمانع كما يذكر الرازي، حيث يقول: "اعلم أنهم ذكروا أنواعا من الدلائل، أقواها دليل التمانع"(١).

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ٢/ ١٣٥.

ولم يظهر في المذهب الأشعري في الفترة منذ القرن الرابع وحتى نهاية القرن السادس الهجري من رفض الاستدلال بدليل التمانع على الوحدانية، ويمكن عرض دليل التمانع على الوحدانية عند الأشاعرة على النحو الآتي:

١- أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ) مؤسس المذهب:

عندما تعرض الأشعري لإثبات الوحدانية وجدنا أنه لم يعتمد إلا على دليل واحد من الأدلة العقلية في إثباتها، ألا وهو دليل التمانع، وتقريره عنده: أنه لو فرضنا وجود إلهين اثنين فإن تدبيرها لا يجرى على نظام ولا يتسق على إحكام، ولابد أن يلحقهما العجز أو واحدًا منهما(١).

ثم يطبق هذه الدلالة على صفة الإرادة، فيذكر أنه عند افتراض وجود إلهين اثنين، وأراد أحدهما أن يحيى إنسانا، وأراد الآخر أن يميته، فإن ذلك لا يخلو من أحد ثلاثة وجوه: الأول- إما أن يتم مرادهما جميعا، وهذا مستحيل، لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيا ميتا في حالة واحدة. الثاني- وإما ألا يتم مرادهما جميعا، وهذا يوجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما. الثالث – وإما أن يتم مراد أحدهما دون الآخر، وهذا يوجب عجز من لم يتم مراده منهما، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما، وكل ما سبق يؤكد أن صانع الأشياء، وهو الله تعالى، واحد(٢).

---

(١) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدم له وعلق عليه:د / حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م، ص٢٠، وانظر له أيضا: أصول أهل السنة والجماعة (رسالة أهل الثغر)، تحقيق: أ.د/ محمد السيد الجليند، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ١، ٢٠١٣م/ ١٤٣٣هـ، ص ١٠٨.

(٢) السابق والصفحة.

وفي مؤلَّف آخر يؤسس الأشعري هذه الدلالة على صفة القدرة، فيذكر أنه لو فرض وجود إلهين، فهذا لا يخلو من وجهين[١]:

الأول– أن يكون كل واحد منهما قادرا على ما يقدر عليه الآخر على طريق البدل من فعل الآخر، وعندئذ لا يصح أن يفعل كل واحد منهما ما يقدر عليه الآخر إلا بترك الآخر له، وإذا كان الأمر كذلك، جاز أن يمنع كل واحد منهما صاحبه من الفعل، ومن يجوز أن يُمنع ولا يفعل إلا بترك غيره له، فهو مذموم عاجز. **الثاني**– ألا يكون كل واحد منهما قادرا على ما يقدر عليه الآخر عن طريق البدل، وحينئذ يجب عجزهما وحدوث قدرتيهما، والعاجز لا يكون إلها ولا ربا، وإذا بطل الوجهان السابقان، ثبت أن الإله لا يكون إلا واحدا.

ثم يستدل الأشعري على ذلك بقوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، فهذه الآية – من وجهة نظر الأشعري – هي معنى دليل التمانع، حيث يقول بعد أن ذكر هذه الآية "فهذا معنى احتجاجنا آنفا"[٢]، ويقول أيضا: "وكلام المتكلمين في الحجاج في التوحيد بالتمانع والتغالب فإنما مرجعه إلى هذه الآية"[٣].

---

(١) أصول أهل السنة والجماعة، ص ١٠٨– ١٠٩.

(٢) اللمع ص٢١، وانظر له أيضا: رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، نشرها وعلق عليها: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ١٣٤٤هـ، ص ٨٩.

(٣) استحسان الخوض في علم الكلام، ص ٨٩.

ونلاحظ في تحرير الدليل عند الأشعري أنه ذكر احتمال الاختلاف فقط، ولم يذكر احتمال الاتفاق، وقد ذكر ابن تيمية أن الأشعري وغيره ممن لم يذكر احتمال الاتفاق بين الإلهين، قد أعرض عن ذكر ذلك؛ لأن مقصوده أن يبين أن فرض اثنين يقتضي عجز كل منهما، فإذا قيل: إن أحدهما لا يمكنه مخالفة الآخر، كان ذلك أظهر في عجزه(١)، بينما يذكر باحث آخر أن الأشعري لم يورد احتمال الاتفاق؛ لأن إثبات ثانٍ مع الله يوجب الاختلاف بينهما ضرورة، فلا يحدث بينهما اتفاق أبدا، فالاتفاق أبعد عن التصديق(٢).

٢- الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ):

وإذا انتقلنا إلى الإمام الباقلاني – تلميذ الأشعري– فإننا نلاحظ أنه قد وافق الأشعري تماما في تقرير دليل التمانع، وفي التأكيد على أنه مستنبط من النص المنقول، ولم يخالفه في شيء(٣)، غير أنه قد أورد اعتراض الاتفاق بين الإلهين الذي يتمسك به الرافضون، وقد رد عليه الباقلاني بأن تجويز ذلك يؤدى إلى أحد أمرين(٤): **الأول** – أن يكون الاتفاق بقول أحدهما للآخر: لا ترد إلا ما

---

(١) منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط ١، ١٤٠٦هـ، ٣/ ٣٠٦.

(٢) د. جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٢١٦.

(٣) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٣، التمهيد، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م، ص٢٥.

(٤) الإنصاف، ص٣٣.

أريد، فيصير أحدهما آمرا، والآخر مأمورا، والمأمور لا يكون إلها، والآمر على الحقيقة هو الإله. **الثاني:** أن يكون كل واحد منهما لا يقدر أن يريد إلا ما أراده الآخر، وهذا يدل على عجزهما، إذ لم يتم مراد واحد منهما إلا بإرادة الآخر معه، وإذا ثبت هذا، بطل احتمال أن يحدث الاتفاق بين الإلهين، ومن ثم يبطل أن يكون الإله إلا واحدا.

يتضح إذا أن القول بوجوب اتفاقهما في الإرادة وعدم الاختلاف يستلزم عجز كل منهما، كما أن تمانعهما يستلزم عجز كل منهما[١].

وهنا نلاحظ أن الباقلاني قد ذكر الاحتمال الذي لم يشر إليه الأشعري، وهو احتمال الاتفاق بين الإلهين، وبين ضعفه وبطلانه وفساده، وسوف نلاحظ أن معظم من جاء بعده من الأشاعرة قد أشار إليه، وبين بطلانه، غير أنه من الجدير بالذكر أن أول من تطرق إلى ذكر هذا الاحتمال هو أبو منصور الماتريدي(ت: ٣٠٣هـ)[٢].

والخلاصة أن التمانع حاصل بين الأصلين المتكافئين سواء قدر اتفاقهما أو اختلافهما، ولكن التمانع مع الاختلاف أظهر[٣].

٣- عبد القاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ):

سار البغدادي على نهج سابقيه من الأشاعرة في الاعتماد على دليل التمانع في إثبات الوحدانية، ووافقهم تماما في تطبيق الدلالة على صفة الإرادة[١]،

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٣/ ٣٠٦.
(٢) انظر التوحيد، حققه وقدم له: د. فتح الله خليف، بيروت، دار المشرق، ص٢٠، ٢١.
(٣) منهاج السنة النبوية، ٣/ ٣٢٨.

وأورد الاعتراض الذي أورده الباقلاني، وهو قول المعترض بجواز عدم اختلافهما في الإرادة، ولكنه يضيف ردا جديدا إلى ما أضافه الباقلاني، وهو أنه إذا كان الإلهان مختارين، ولم يكن أحدهما مكرها على موافقة صاحبه في مراده، أمكن الخلاف بينهما،وإذا صح اختلافهما في المراد مع التمانع بينهما، صح عجزهما معا أو عجز أحدهما، ومن عجز لم يكن إلها؛ ولا يصح أن يكون الإله عاجزا، وأما إذا كان كل واحد منهما مضطرا إلى موافقة الآخر في المراد، كانا مقهورين، ولم يجز أن يكونا إلهين(٢).

وفي نهاية كلام البغدادي على دليل التمانع يؤكد أن دلالته لا تستمر على أصول المعتزلة، وأنهم لا يصح لهم الاستدلال بدلالة التمانع على توحيد الصانع؛ وعلة ذلك أن البغداديين منهم زعموا أن الصانع ليس بمريد على الحقيقة، وأنه يفعل الفعل لا بإرادة(٣).

والبغدادي في هذا السياق يشبه القاضي عبد الجبار الذي أكد أن دلالة التمانع لا تصح على أصول الأشاعرة وغيرهم من مخالفي المعتزلة.

٤-الجويني (ت: ٤٧٨هـ):

تابع الجويني سابقيه من الأشاعرة في الاستناد والاستدلال بدلالة التمانع على الوحدانية والتأكيد على أن هذه الدلالة هى المنصوصة في قوله تعالى

---

(١) أصول الدين، مطبعة الدولة، استانبول، ط ١، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م، ص٨٥.
(٢) السابق الصفحة.
(٣) السابق، ص٨٥، ٨٦.

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢[١]، غير أنه انفرد عنهم بالإشارة إلى أن هذه الدلالة تقوم على مجموعة من الأصول، حصرها في ثمانية أصول[٢]:

الأصل الأول– أن تقدير وجود قديمين قادرين مريدين، يجوز تقدير اختلافهما في الإرادة، وذلك للرد على من جوز اتفاقهما في الإرادة.

الأصل الثاني– أن التمانع يستقيم عند فرض الكلام في المحل الواحد؛ لأن الغرض تصوير منع أحد الإلهين الآخر مع اتحاد المحل.

الأصل الثالث – أنه لابد من تصوير تناقض الإرادتين القائمتين بالمريدين، ولا يتحقق تقدير التمانع دون ذلك.

الأصل الرابع – تقدير التمانع يتوقف على تثبيت حال واحد من القديمين مختصا بحكم الإرادة تحقيقا على وجه يصح الاختصاص عليه، ومن امتنع عليه ذلك، لم تستقم له دلالة التمانع، وهذا الأصل لما كان مرفوضا من المعتزلة، فإنه لا يصح لهم التمسك بدلالة التمانع على الوحدانية، ولذا فإنه لم يستدل أحد من البغداديين بها، على حد قول الجويني[٣].

---

(١) الشامل، ص٣٥٢، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه: د/ محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص٥٣، ٥٥.

(٢) السابق، ص ٣٥٣، ٣٦٨.

(٣) الشامل ص٣٥٩.

الأصل الخامس – أن تقدير قديمين، لا يعني إثبات قدرة لواحد منهما توجب مقدورها لا محالة، ولا يعني أيضا أن إرادة كل واحد منهما توجب وجود المراد على حسب تعلقها بالمراد، بل يلزم نفوذ إرادة أحدهما، وقصور الثاني عن موجب الإرادة، فالتنبيه يدل على قصور أحد القديمين لا محالة، ولا يتصور مع اعتقاد القديمين اعتقاد نفوذ مراديهما.

الأصل السادس– أنه لو تحقق المنع الذي قدرناه بين القديمين، لدل وجود المنع على ضعف الممنوع، ولو لم يقع المنع، لكنه جائز الوقوع، لدل على ضعف الممنوع أيضا، والإله يستحيل أن يكون ممنوعا عن مراده.

الأصل السابع– أن التمانع يرجع إلى الأفعال المتضادة دون ذاتي القديمين وصفاتهما، فإن الذاتين مستويتان في القدم وصفات النفس.

الأصل الثامن– أنه لو نفذ مراد أحد القديمين، ولم ينفذ مراد الثاني مع قصده إلى تنفيذه، لدل ذلك على ضعفه، لأنهما إذا استويا في الإرادة وتحرير القصد، ثم ثبت مراد أحدهما، فلا يكون ذلك إلا لاستعلائه وضعف الثاني.

وفكرة تأصيل دلالة التمانع وتأسيسها على أصول ثابتة قد سبقه إليها القاضي عبد الجبار المعتزلي، فلعل الجويني قد تأثر به في الفكرة، مع اختلافهما في حقيقة الأصول الموضوعة؛ لاختلاف مذهبيهما، فأحدهما أشعري، والآخر معتزلي، وبينهما خلاف شديد ومعلوم.

ويتضح من الأصول السابقة أن هذه الدلالة تقوم على استحالة ثبوت قديم عاجز عن تنفيذ مراده، وقد حاول الجويني التدليل والبرهنة على صحة ذلك، فذكر أنه لو قدرنا قديما عاجزا، لكان عاجزا بعجز قديم قائم به، والعقل يقضى

باستحالة العجز القديم؛ لأن من حكم العجز أن يمتنع به إيقاع الفعل الممكن في نفسه، ولو أثبتنا عجزا قديما، لجرنا ذلك إلى الحكم بإمكان الفعل أزلا، والعلم الاضطرارى يقضى باستحالة الفعل أزلا، ثم القضاء بأن العجز مانع منه(١).

وبعد أن أورد الجويني أصول دلالة التمانع، انتقل إلى بيان مناقضات المعتزلة الدالة على فساد دلالة التمانع على أصلهم، منها: إثباتهم الإرادة للقديم لا في محل، وإذا ثبتت الإرداة كذلك لم تكن مختصة بأحدهما دون الثاني، من حيث لم تختص بواحدة من الذاتين، وأنهم يعتقدون أن معظم ما يجرى على العباد على خلاف إرادة الله، والتمانع يقوم على إثبات نقص وضعف من لم يتم مراده، وأنهم يقولون بوجوب تماثل القديمين، وهذا يلزم عنه أن يكون مقدور كل واحد منهما مقدورا للآخر من حيث تماثلا، وإذا كان كذلك، فلا يوجد مقدور لأحدهما إلا والثاني قادر عليه، فلا يتصور أن ينفرد أحدهما بمقدور يريده، فيصد عنه، وفيه إبطال التمانع(٢).

وهذه المناقضات التي وقع فيها المعتزلة قد منعتهم من الاعتماد على دلالة التمانع في إثبات الوحدانية؛ ولذا عمدوا إلى طرق أخرى تشبثوا بها في إثبات التوحيد(٣).

---

(١) الإرشاد، ص٥٦.
(٢) الشامل، ص٣٦٨- ٣٧٨، وانظر: الإرشاد، ص٥٥.
(٣) الشامل، ص٣٨٢، الإرشاد، ص٥٥.

٥- أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ):

برهن الغزالي على الوحدانية بدليل التمانع أيضا، وأشار إلى أنه المراد في قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢[١]. ولكننا نجده يتحدث بصورة مختلفة عن سابقيه حيث حرر دلالة التمانع على خلق المخلوقات، فذكر أن افتراض إلهين يلزم عنه أمران، كلاهما مستحيل[٢]:

الأمر الأول- أن ذلك الافتراض يقتضى تقسيم الجواهر والأعراض جميعا، حتى يخلق أحدهما بعض الأجسام والأعراض دون البعض، وهذا باطل، لما يلى:

١- أنه إذا لم يتميز أحدهما في القدرة عن الآخر، فلا يتميز في المقدور بين قادرين، ولا تكون نسبته إلى أحدهما بأولى من الآخر، وهذا يترتب عليه تقدير تزاحم متماثلين من غير فرق، وهو محال.

٢- أن خالق بعض الأجسام والأعراض إذا لم يكن قادرا على خلق الأجسام والأعراض الأخرى، لأدى إلى المحال؛ لأن الجواهر متماثلة، والقادر على الشيء قادر على مثله، إذا كانت قدرته قديمة.

الأمر الثاني- أن يقال: أحدهما يقدر على الجواهر والآخر على الأعراض، وهما مختلفان، فلا يجب من القدرة على أحدهما القدرة على الآخر.

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له: د. إبراهيم آكاه جوبوقجي، د. حسين آتاي، أنقرة، ١٩٦٢م، ص٧٩.

(٢) السابق ص٧٦-٧٨.

يرد الغزالي بأن هذا محال أيضا؛ لأن العرض لا يستغني عن الجوهر، والجوهر لا يستغني عن العرض، فيكون فعل كل منهما موقوفا على الآخر، وهذا عجز، والعاجز لا يكون قادرا، وربما خالف بعضهم بعضا، وهذا يؤدى إلى التمانع.

ثم يتطرق الغزالي إلى احتمال حدوث المساعدة بين الإلهين، ويؤكد أنه دال على العجز والاضطرار ونفي الألوهية، حيث يذكر أن هذه المساعدة لا تخلو من أمرين : أحدهما – أن تكون واجبة والقول بوجوبها فيه تحكم؛ لأنه مبطل للقدرة؛ إذ في القول بوجوب المساعدة القول بالاضطرار وإبطال القدرة؛ فإن خلق الجوهر من واحد، كأنه يضطر الآخر إلى خلق العرض، وكذا العكس، فلا يكون له القدرة على الترك، فيصبح مضطرا؛ إذ لا قدرة له. والثاني – ألا تكون واجبة، وحينئذ يتعذر الفعل، ويبطل معنى القدرة(١).

ففي كلتا الحالتين تبطل القدرة، ويصبح أحد الإلهين مضطرا إلى الفعل، والمضطر لا يكون إلها.

٦- الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ):

يبدأ الشهرستاني حديثه عن دليل التمانع بالإشارة إلى أن دلالته هي المسرودة في القرآن الكريم، في قوله تعالى ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾المؤمنون: ٩١(٢)، متفقا بذلك مع شيخه الأشعري، ومخالفا كل من

---

(١) الاقتصاد، ص٧٨.

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام، حرره وصححه: الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، =

سبقه من المتكلمين في استنباط هذه الدلالة من قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢ فقط.

ثم يذكر تقرير دلالة التمانع على النحو الذي ذكره سابقوه من الأشاعرة، ويؤكد أيضا أن احتمال الاتفاق والتوارد على فعل واحد بين الإلهين باطل؛ لأنهما إما أن يشتركا في نفس الإيجاد، وهو قضية واحدة لا يقبل الاشتراك، وإما أن ينفرد أحدهما بالإيجاد، فيكون المنفرد هو الإله، والثاني يكون مغلوبا مقهورا، فثبت بذلك أن الإله واحد(١).

وينفرد الشهرستاني عن سابقيه من الأشاعرة بتطبيق دلالة التمانع على التمانع في الاستغناء بالذات، حيث يذكر أن التمانع في الاستغناء بالذات أدل على استحالة الإلهين، وقد قرر هذه الدلالة على النحو الآتي(٢): لو قدرنا إلهين استغنى كل واحد منهما عن صاحبه من كل وجه، خرج المستغني عنه عن كمال الاستغناء، فإن المستغنى على الإطلاق من يستغنى به ولا يستغنى عنه، فيكون كل واحد منهما مستغنى عنه، فيكون مفتقرا قاصرا عن درجة الاستغناء المطلق، فلن يتصور إذاً إلهان مستغنيان على الإطلاق، ثم يبين أن التماثل في الإلهية لن يتصور بوجه، وذلك لأن المتماثلين في الصفات الذاتية من كل وجه ليس يتميز أحدهما عن الثاني بالحقيقة والخاصية، فإن حقيقتهما واحدة، بل

=

٢٠٠٩م، ص ٨٦.

(١) السابق، ص ٨٦- ٨٧.

(٢) السابق، ص ٨٧- ٨٨.

يحدث التميز بلوازم زائدة على الحقيقة، مثل: المحل والمكان، والزمان، وكل ذلك ينافي الإلهية، فثبت بذلك أن التماثل غير متصور في الإلهية، ومن ثم فإنه لا يوجد إلا إله واحد. وهذه الفروق التي ذكرها الشهرستاني تميزت بالدقة، وأثبت من خلالها أن كل الاحتمالات التي يمكن ورودها في حالة وجود إلهين مستحيلة، وهذا يثبت وحدانية الله عز وجل(١).

وهذا الوجه الذي انفرد به الشهرستاني يعد تميزا وتطورا في المذهب الأشعري في تطبيق دلالة التمانع على الوحدانية، بغية الخروج عن طعن الطاعنين فيها، وعن كثرة الاعتراضات عليها.

ويختم الشهرستاني حديثه عن دليل التمانع – كما ختمه غيره من مخالفي المعتزلة من المتكلمين– بالتأكيد على أن المعتزلة لا يستمر لهم الاستدلال بالتمانع على الوحدانية؛ لأنهم جوزوا اختلافا في إرادة الباري سبحانه وإرادة العبد، واختلافا في الفعل، فلا تمانع(٢).

٧– فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ):

يستهل الرازي حديثه عن دليل التمانع بأنه أقوى الأدلة على أن الإله واحد(٣)، ثم يستطرد في تحرير دلالة التمانع(٤) على نحو ما فعله السابقون من الأشاعرة، ويسوق الرازي اعتراضا يوجه إلى هذا الدليل مفاده، أنه إذا كان هذا

---

(١) د. جلال موسى، نشأة الأشعرية، ص ٢١٥.
(٢) نهاية الإقدام، ص ٩٥.
(٣) المطالب العالية، ١٣٥/٢.
(٤) السابق، ١٣٥/٢، المحصل، ص١٩٣.

الدليل يمنع من وجود إلهين يكون كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له من المقدورات، إلا أنه لا يدل على امتناع وجود إلهين يكون كل واحد منهما قادرًا على بعض المقدورات(١).

ويجيب الرازي عن هذا الاعتراض بأن المقصود من هذا الدليل ليس إلا بيان امتناع القول بوجود إلهين كاملي القدرة فقط(٢).

وهذا الاعتراض قد سبق أن ذكره الغزالي، وكان رده أقوى من رد الرازي هنا، حيث بين الغزالي أن أحدهما إذا قدر على بعض المقدورات فإنه يحتاج إلى الآخر في بقية المقدورات، وهذا يدل على العجز والحاجة، والعاجز والمحتاج لا يكون إلها(٣).

ثم يتطرق الرازي إلى الرد على من جوز اتفاق الإلهين، فيذكر أن الفعل إما أن يتوقف على الداعي أو لا يتوقف على الداعي، فإن توقف على الداعي، فإن العبد لا يختار الفعل إلا إذا خلق الله فيه داعيا إليه، وإذا لا يلزم اتفاق الإلهين على الفعل الواحد، فصحت المخالفة بينهما، وإن لم يتوقف الفعل على الداعي، جاز في الضدين المتساويين في الحسن والقبح أن يختار أحد الإلهين إيجاد أحدهما، والإله الآخر إيجاد الآخر، وحينئذ تحصل المخالفة بينهما(٤).

ثانيا- الرافضون للاستدلال بالتمانع على الوحدانية:

---

(١) المطالب العالية، ١٤٢/٢.
(٢) السابق ١٤٤/٢.
(٣) انظر: الاقتصاد، ص٧٧- ٧٨.
(٤) المحصل، ص١٩٤.

إذا كان الأشاعرة قد اعتمدوا بصورة واضحة على دليل التمانع في إثبات الوحدانية، منذ نشأة المذهب على يد الأشعري (ت٣٢٤هـ)، وحتى الرازي (ت٦٠٦هـ)، فإنه قد ظهر من الأشاعرة من رفض الاستدلال بهذا الدليل، وانتقده وبيَّن ضعف دلالته، وقد ظهر هذا الاتجاه في المذهب الأشعري في الثلث الأول من القرن السابع الهجري على يد الآمدي (ت٦٣١هـ) ثم تبعه بعد ذلك بعض الأشاعرة، وهذا ما سنذكره في السطور القادمة.

١- الآمدي (ت: ٦٣١هـ):

على الرغم من أشعرية الآمدي الطاغية، فإنه قد خالف الأشاعرة في بعض المسائل والاستدلالات، ومن ذلك مخالفته لهم في التعويل والبرهنة بدلالة التمانع على الوحدانية، حيث إنه قد رفض الاعتماد على هذا الدليل في إثبات الوحدانية، ويعتبر الآمدي أول أشعري[١]، بل أول متكلم، يسقط هذا الدليل عن رتبة الاحتجاج.

وقد مر هذا النقد والرفض بمرحلتين :

الأولى – نقده لهذا الدليل في الأبكار، وهو نقد سطحي، حيث اكتفى الآمدي بذكر اعتراض المعترضين على هذا الدليل، مؤداه: أن ما ذكره المتكلمون من الأقسام المحالة، إنما هو فرع تصور اختلاف الإلهين في الإرادة، وهو غير مسلم[٢].

---

(١) د. حسن الشافعي، الآمدي وآراؤه الكلامية، القاهرة، دار السلام، ط ١، ١٩٩٨م/ ١٤١٨هـ، ص٣١١.

(٢) الأبكار، ٩٧/٢.

ثم عقب بعد ذلك بأن هذا الاعتراض والسؤال صعب جدا، وعسى أن يكون عند غيره جوابه[١].

فنلاحظ أن رفض الآمدي لهذا البرهان هنا إنما هو لعدم قدرته على الإجابة والرد –حسب تصريحه – على الاعتراضات والأسئلة التي ترد على هذا الدليل.

المرحلة الثانية: نقده لهذا الدليل في غاية المرام، وهو نقد قوى مؤيد بالردود الواضحة، وقد بدأ الآمدي نقده لهذا الدليل في "غاية المرام" بالتأكيد على أنه مسلك ضعيف في إثبات الوحدانية، وفي هذا الصدد يقول: "وأما المتكلمون فقد سلك عامتهم في الإثبات [أي في إثبات الوحدانية] مسلكين ضعيفين: المسلك الأول: أنهم قالوا لو قدرنا وجود الإلهين ... إلخ"[٢]، ثم فصل القول في دليل التمانع.

ثم ينتقل إلى بيان وجه الغلط وسبب الضعف الذي حمله على نقد هذا الدليل، وقد ذكر عدة وجوه لذلك، هي[٣]:

١- أن منشأ الخبط ومحز الغلط في هذا المسلك إنما هو في القول بتصور اجتماع إرادتيهما للحركة والسكون، وليس ذلك مما يسلمه الخصوم.

---

(١) السابق ٢/٩٩.

(٢) غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: د.حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩١هـ، ص١٥١.

(٣) السابق، ص ١٥٢.

٢- أنه لا يلزم من كون الحركة والسكون ممكنين وتعلق الإرادة بكل واحد منهما حالة الانفراد أن تتعلق بهما حالة الاجتماع، ووزانه ما لو قدرنا إرادة الحركة والسكون معا من أحدهما، فإنه غير متصور، ولو جاز تعلقها بكل واحد منهما منفردا، وليس هذا إحالة لما كان جائزا في نفسه، فإن ما كان جائزا هو إرادته منفردا، والمحال إرادته في حال كونه مجامعا، وبهذا يندفع قول القائل إن ما جاز تعلق الإرادة به حالة الانفراد، جاز تعلقها به حالة الاجتماع؛ إذ الاجتماع لا يصير الجائز محالا، وهذا الكلام بعينه في الإرادة هو أيضا لازم في صفة القدرة.

٣- أن من قال من المتكلمين بأن عجز أحد الإلهين يستدعى عجزا قديما ومعجوزا عنه[١]، يلزمه هذا الاعتقاد أيضا في القدرة؛ لأن القادر قادر بقدرة قديمة، فإن استدعى العجز قدم المعجوز عنه، وجب أن تستدعى القدرة قدم المقدور، وهم يرفضون ذلك ويعتقدون أن قدم القدرة لا يستدعى قدم المقدور، فوجب أن يعتقدوا مثل ذلك في العجز أيضا[٢].

وبعد أن انتقد الآمدي برهان التمانع وأكد أنه دليل ضعيف، وانتقد كذلك بقية الأدلة العقلية على الوحدانية، ذهب إلى أن الأفضل والأقوى في إثبات الوحدانية هو الأدلة السمعية، كما ذهب إلى ذلك بعض علماء المعتزلة وحذاقهم، وفي هذا الصدد يقول:" وعلى هذا، فإذا كانت الطرق العقلية الدالة على

---

(١) انظر: الأبكار، ٩٧/٢، ولعله يشير هنا إلى الجويني، فهو صاحب هذا القول، انظر: الإرشاد، ص٥٦.

(٢) غاية المرام ص١٥٢.

الوحدانية مضطربة غير يقينية، فالأقرب في الدلالة إنما هو الدلالة السمعية على ما ذهب إليه حذاق المعتزلة"[١].

٢-سعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ):

يشير التفتازاني في شرحه للنسفية أن المشهور في إثبات الوحدانية بين المتكلمين برهان التمانع، المشار إليه بقوله تعالى ﴿ لَوۡكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، وبعد عرضه لتقرير هذا البرهان عند المتكلمين يؤكد أنه حجة إقناعية، ويذكر أن الملازمة في الآية بين التعدد والفساد عادية لا قطعية على ما هو اللائق بالخطابيات، فإن العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم[٢].

المبحث الثالث- دليل التمانع عند الماتريدية

اعتمد أعلام المدرسة الماتريدية ومفكروها على دليل التمانع لإثبات الوحدانية، فإذا ما ابتدأنا بالماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)- مؤسس المدرسة- وجدناه يعوّل على هذا الدليل، ويصفه بدلالة العقل، وهو تأويل قوله تعالى ﴿ لَوۡكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، وقوله تعالى﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ الإسراء: ٤٢، ويقرر أنه لو كان أكثر من واحد لحدث بينهم تناقض وتناف وتمانع، كما هو الحال والمعتاد بين الملوك من

---

(١) أبكار الأفكار، ٢/ ١٠٦.

(٢) شرح العقائد النسفية، تحقيق:د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢٩.

بذل الوسع منهم في قهر أشكالهم ليكون الملك للقاهر، ومنع كل منهم غيره عن إنفاذ حكمة وإظهار سلطانه ما استطاع، فلابد إذا من واحد قاهر، وهذا يترتب عليه عجز الآخر، والعجز يسقط الألوهية والربوبية(١).

ويتضح من كلام الماتريدي أنه يعتمد على قياس الغائب على الشاهد في إثبات الوحدانية وفي تقرير التمانع بين الإلهين، وهو قياس مشهور عند المتكلمين، فكما يحدث التمانع بين الملوك، إذا قدر وجود أكثر من ملك، فكذا يحدث التمانع بين الآلهة إذا قدر وجود أكثر من إله.

ثم يذكر الماتريدي احتمال اتفاق الإلهين فيما بينهما، ويعبر عنه بالاصطلاح، غير أنه يؤكد أن في الاصطلاح فساد الربوبية؛ لأنه يدل على العجز والجهل، والعجز يسقط الألوهية، كما أن الاصطلاح والاتفاق لا يجعل الأمر لواحد في نسبة الخلق وتحقيقة له(٢).

بيد أن أحد الباحثين المعاصرين يذكر أن رد الماتريدى السابق ليس حاسما، لأنه من الممكن أن يقال إن أحدهما يفعل بعض العالم والآخر يفعل بعضه، أو يفعلانه على سبيل المداولة، ولو سلم أنه حاسم، فإنه دليل يثير شبهات ويحتاج إلى ردود، ولا يقنع إلا بشق الأنفس(٣).

والحقيقة أن رد الماتريدي رد حاسم؛ لأن التعاون بين الإلهين بأن يفعل أحدها بعض العالم والآخر يفعل بعضه أو يفعلانه على سبيل المداولة، كما ذكر

---

(١) التوحيد، ص٢٠، ٢١.
(٢) السابق، ص٢١.
(٣) د. محمود قاسم، مقدمة مناهج الأدلة، ص٣٣.

الباحث السابق، هذا التعاون أو المداولة دليل على الاحتياج والافتقار إلى الغير والعجز، والله سبحانه يتعالى عن الافتقار والاحتياج، فهما من صفات النقص، وهذا لا يليق بالله تعالى.

وقد رد الإمام الغزالي على هذا الاعتراض الذي أثاره هذا الباحث ردا مقنعا، سبق ذكره عند الحديث عن التمانع عند الأشاعرة(١).

وقد تابع أبو المعين النسفي (ت: ٥٠٨هـ) شيخه الماتريدي في الاعتماد على دلالة التمانع في إثبات الوحدانية، وطبقها على صفة القدرة، وتعلقها بإيجاد المعدوم، وأكد أنه لابد أن يحدث بين الإلهين تمانع في ذلك، وإذا حدث التمانع، فلابد أن يقدر أحدهما على الإيجاد، ويعجز الآخر، والقادر هو الإله، والعاجز لا يكون إلها، فثبت بهذا أن الإله واحد(٢).

ثم يذكر أنه لا يجوز التعاون بينهما في إيجاد المعدوم، لأن التعاون يدل على العجز؛ لزوال قدرة كل واحد منهما عما هو مقدور في نفسه(٣).

ثم ينتقل إلى تقرير دلالة التمانع من وجه آخر، وهو خلق الحركة والسكون في جسم في وقت ما، وينتهي من هذا كله إلى إثبات استحالة وجود إلهين للعالم(٤).

---

(١) انظر البحث ص، والاقتصاد، ص٧٧-٧٨.
(٢) تبصرة الأدلة، ١٠٩/١.
(٣) تبصرة الأدلة، ١٠٩/١.
(٤) تبصرة الأدلة ١١٠/١- ١١١.

ويشير النسفي إلى أن هذه الدلالة لا تستقيم على أصول المعتزلة؛ لأنهم يقولون بنفاذ إرادة الكافر وتعطل إرادة الله تعالى، وقد حاول أوائل المعتزلة التخلص عن هذا الإلزام بحيل ضعيفة، على حد وصف النسفي، فلم يتمكنوا منه، والتزموا العجز عن إثبات الوحدانية بهذه الطرق، وتمسكوا بطرق ضعيفة لا طائل تحتها، ولا إمكان للتعويل عليها، ثم ذكر أن أبا هاشم لما رأى تعذر إثبات الوحدانية بالدلائل العقلية، زعم أنه لا دلالة في العقل على وحدانية الصانع، وأنا عرفنا أن الصانع واحد بدلالة السمع دون العقل، لأننا لو خلينا وعقولنا، لجوزنا أن يكون للعالم صانعان وأكثر[1].

المبحث الرابع – دليل التمانع عند الفلاسفة

على الرغم من اعتماد الفلاسفة على الأدلة العقلية في إثبات أفكارهم وعقائدهم؛ إذ هم أهل العقل، فإنهم لم يستدلوا بدليل التمانع على إثبات الوحدانية، بل رفضوه رفضا قاطعا، وحكموا بضعفه وبطلانه.

ومن أشهر هؤلاء الفلاسفة:

١- **الفيلسوف ابن رشد** (ت: ٥٩٥هـ)، وقد كان نقده أقوى نقد لهذا الدليل، كما يذكر أحد الباحثين[2]، فقد رفض دليل التمانع، وانتقده من زاويتين:

الزاوية الأولى- أن دليل التمانع نفسه دليل ضعيف، وضعفه واضح من الناحتين الطبيعية والشرعية، حيث يقول : "وأما ما تكلفه الأشعرية من الدليل

---

(١) السابق، ١/١١٤-١١٥.

(٢) د. حسن الشافعي، الآمدي وآراؤه الكلامية، ص ٣١١.

الذي يستنبطونه من هذه الآية[١]، وهو الذي يسمونه دليل الممانعة، فشيء ليس يجري مجرى الأدلة الطبيعية والشرعية[٢].

ثم يفصل القول في بطلانه من الناحتين[٣]:

فأما كونه ليس يجري مجرى الطبع أو الأدلة الطبيعية؛ فلأن ما يقولونه في ذلك ليس برهانا. وأما كونه ليس يجري مجرى الشرع أو الأدلة الشرعية، فلأمرين: الأول- أن الجمهور لا يقدرون على فهم ما يقوله المتكلمون من ذلك الدليل. الثاني- أنه لن يقع للجمهور إقناع بهذا الدليل.

فابن رشد يريد أن يبين لنا أن دليل التمانع دليل غير صحيح، وضعيف الأسس، فهو برهان جدلي، لا يفيد العامة، ولا يرضي الفلاسفة[٤].

ثم يذكر ابن رشد وجها آخر من وجوه الضعف في دليل التمانع، وهو أنه كما يجوز في العقل أن يختلفا، قياسا على المريدين في الشاهد، يجوز أن يتفقا، وهو أليق بالآلهة من الخلاف، وإذا اتفقا على صناعة العالم، كانا مثل صانعين اتفقا على صنع مصنوع، وإذا كان هذا هكذا، فلابد أن يقال إن أفعالهما، ولو اتفقا، كانت تتعاون لورودها على محل واحد[٥].

---

(١) يقصد بذلك قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢.

(٢) مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق: د. محمود قاسم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، بدون تاريخ، ص١٥٧.

(٣) السابق والصفحة.

(٤) د. عاطف العراقي، المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٧٩- ٨٠.

(٥) مناهج الأدلة، ص١٥٧-١٥٨.

وإشارة ابن رشد هنا إلى جواز الاتفاق بينهما قد أشار إليها المتكلمون وردوا عليها، مبينين عدم إمكان ذلك.

ويورد ابن رشد اعتراضا مؤداه أنه قد يقول قائل : فلعل هذا يفعل بعضا والآخر بعضا، ولعلهما يفعلان على المداولة.

يجيب ابن رشد عن هذا الاعتراض بأن الذي يقدر على اختراع البعض يقدر على اختراع الكل، فيعود الأمر إلى قدرتهما على كل شيء، فإما أن يتفقا وإما أن يختلفا، وكيفما كان، تعاون الفعل، وأما التداول فهو نقص في حق كل واحد منهما(١).

ولكن ينبغي الإشارة إلى أن نقد ابن رشد لدليل التمانع لا يعني أنه يقول بأكثر من إله،ولكنه قصد أن يبين أوجه الضعف في دليل المتكلمين؛حتى يتسنى له التدليل على الوحدانية بطريقة أخرى،يعتبرها أكثر بساطة ويقينا(٢).

وقد تعقب ابن تيمية نقد ابن رشد لدليل التمانع، وانتقد موقفه منه، مؤكدا أن دليل التمانع من الطرق العقلية الصحيحة(٣)، وهو برهان تام على مقصود المتكلمين، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين، فهو برهان صحيح عقلي كما قدره فحول النظار، لا يقدح فيه اعتراض ابن رشد ولا غيره، وإن كان ابن تيمية

---

(١) مناهج الأدلة، ص١٥٨، وانظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط ٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٩/ ٣٦٩.

(٢) د. عاطف العراقي، المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، ص ٨١.

(٣) منهاج السنة النبوية، ٣/ ٣١٢.

نفسه يأخذ على هذا الدليل أنه يدل على توحيد الربوبية فقط، وهذا بخلاف أدلة القرآن الكريم التي تبين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية[١].

الزاوية الثانية- انفصال علاقة الدليل عن قوله تعالى﴿ لَوۡكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، ينتقد ابن رشد هذا الدليل أيضا من حيث علاقته بالآية السابقة، فيذكر أن دليل التمانع الذي فهمه المتكلمون من الآية ليس هو الدليل الذي تضمنته الآية، وذلك لما يلي[٢]:

١- أن المحال الذي أفضى إليه دليل المتكلمين غير المحال الذي أفضى إليه الدليل المذكور في الآية، لأن دليلهم أفضى إلى أكثر من محال، إذ قسموا الأمر إلى ثلاثة أقسام، وليس في الآية تقسيم، فدليلهم عبارة عن قياس شرطي منفصل، وهو ما يسمونه أيضا بدليل السبر والتقسيم، أما الدليل في الآية فهو قياس شرطى متصل، وبينهما فرق كبير.

فالقياس الشرطي المتصل يعد- فيما يرى ابن رشد- أكثر وضوحا ويقينا من القياس الشرطي المنفصل[٣]، وهو ما أكده المناطقة، فقد ذكر الغزالي أن هذا النوع من القياس مما يكثر نفعه في العقليات والفقهيات[٤].

٢- أن المحالات التي أفضى إليه دليلهم مستحيلات دائمة لاستحالة أكثر من واحد، وهى أن يكون العالم إما لا موجودا ولا معدوما، وإما أن يكون موجودا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٩/ ٣٥٤- ٣٥٥.
(٢) السابق ص١٥٨-١٥٩.
(٣) د. عاطف العراقي، المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، ص ٨٢.
(٤) معيار العلم في فن المنطق، المطبعة العربية، ط ٢، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م، ص ٩٨.

معدوما، وإما أن يكون الإله عاجزا مغلوبا، أما المحال الذي أفضت إليه الآية، فليس مستحيلا على الدوام، وإنما علقت الاستحالة فيها في وقت مخصوص، وهو أن يوجد العالم فاسدا في وقت الوجود، فكأنه قال : لو كان فيهما آلهة إلا الله، لوجد العالم فاسدا في الآن، ثم استثنى أنه غير فاسد، فوجب ألا يكون هنالك إلا إله واحد.

وهذه الصورة التي ذكرها ابن رشد هي قياس شرطي متصل، استثنى فيه نقيض التالي، فكانت النتيجة نقيض المقدم، وهذه الصورة هي إحدى الصورتين المنتجتين من هذا القياس، حيث إن المنتج من هذا القياس كما يذكر المناطقة اثنان، هما: استثناء عين المقدم، ونقيض التالي، وأما استثناء عين التالي ونقيض المقدم، فلا ينتجان(١).

ويمكن صياغة هذا القياس على هذه الهيئة:

	المقدم	التالي
المقدمة المركبة	لو كان فيهما آلهة إلا الله	لوجد العالم فاسدا في الآن
المقدمة المستثناة	–	لكنه غير فاسد **(نقيض التالي)**
النتيجة	ليس هناك إلا إله واحد **(نقيض المقدم)**	

(١) الغزالي، معيار العلم، ص ٩٨.

وأما الآية نفسها، وهي قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ الأنبياء: ٢٢، فإن ابن رشد يؤكد أن دلالتها مغروزة في الفطر بالطبع، وذلك أنه من المعلوم بنفسه أنه إذا كان ملكان، كل واحد منهما فعله فعل صاحبه، أنه ليس يمكن أن يكون عن تدبيرهما مدينة واحدة، لأنه ليس يكون عن فاعلين من نوع واحد فعل واحد، فيجب ضرورة، إن فعلا معا، أن تفسد المدينة، إلا أن يكون أحدهما يفعل، ويبقى الآخر عطلا، وذلك منتف في صفة الآلهة، فإنه متى اجتمع فعلان من نوع واحد على محل واحد، فسد المحل ضرورة(١).

وقد اتفق ابن تيمية مع ابن رشد في نقد الدليل من هذه الزاوية، لكن ابن تيمية يختلف عنه في سبب النقد، حيث ذكر ابن تيمية أن دليل التمانع ليس هو الدليل المذكور في الآية(٢)؛ لأن مقصود الآية هو توحيد الألوهية، وليس توحيد الربوبية، كما ذهب المتكلمون، والنوع الأول مستلزم للثاني، من غير عكس(٣).

٢- نصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٢هـ):

وإذا ما تحولنا إلى فيلسوف آخر له باع في الفكر الفلسفي الإسلامي وفي الصراع والجدل مع المتكلمين، وهو نصير الدين الطوسى، وجدناه أيضا يسير على نهج ابن رشد في رفض الاستدلال بدليل التمانع على الوحدانية، ولكنه يختلف عنه في طريقة النقد، حيث يذكر- في نقده محصل الرازي- أن هذا الدليل يدل على امتناع كون إلهين متساويين من كل الوجوه، ولا يدل على

---

(١) مناهج الأدلة ص١٥٥-١٥٦.
(٢) منهاج السنة النبوية، ٣/ ٣٠٤.
(٣) درء تعارض العقل والنقل، ٩/ ٣٦٩.

امتناع كون آلهة مترتبة يقدر العالى منها أن يمنع السافل مما يريده من غير عكس، وهذا هو مذهب أكثر المشركين[١].

وفي الحقيقة أنه إذا كان هذا الدليل يبرهن على امتناع وجود آلهة متساوية من كل الوجوه، فإنه يدل أيضا على امتناع وجود آلهة مترتبة، لأنه إذا فرض أكثر من إله وانفرد واحد منهم بصفات لم تتوفر في الآخرين، فليسوا بآلهة؛ لأنهم سيحتاجون إلى الإله الكامل، والعاجز لا يكون إلها.

ثم يؤكد الطوسي أن الدليل على امتناع وجود واجبي الوجود لذاتهما كافٍ في إثبات أن الإله تعالى واحد[٢].

وقد ختم الطوسي نقده لهذا الدليل بالإشارة إلى أن الوحدانية يمكن أن تثبت بالسمع فقط، كما فعل الآمدي وبعض المعتزلة، حيث يقول: "وقد يمكن أن يتبين هذه المسألة بالسمع؛ لأن صحة السمع غير موقوف على القول بوحدة الإله"[٣].

وإذا ما نظرنا إلى أحد الباحثين المحدثين المهتمين بابن رشد وتراثه[٤]، وجدناه يؤيد ابن رشد في موقفه الرافض لدليل التمانع، وقد رفض هذا الدليل لعدة

---

(١) تلخيص المحصل، ص ٣٢٣.
(٢) تلخيص المحصل، ص ٣٢٣.
(٣) تلخيص المحصل، ص ٣٢٤.
(٤) هو الأستاذ الدكتور/ محمود قاسم، رحمه الله.

وجوه[1]: الأول- أنه دليل جدلي، وهذه عادة المتكلمين وصفتهم في كثير من أدلتهم العقلية، فهم أهل الجدل.

الثاني- أن هذا الدليل يقوم على المماثلة بين الله والبشر؛ لأنهم يريدون تطبيق ما يشاهدونه بين بني الإنسان على العالم الإلهي، أي ينسبون الاختلاف إلى الآلهة، كما يحدث بين البشر.

الثالث- أن ردود المتكلمين على الشبهات المثارة حول هذا الدليل ليست حاسمة، ولو سلم بأنها حاسمة، فإنه دليل يثير شبهات أخرى، ويحتاج إلى ردود.

الرابع- أنه دليل لا يقنع إلا بشق الأنفس.

الخامس- أن هذا الدليل صورة لقياس شرطي منفصل، وهو قياس جدلي فاسد وواهٍ، والمناهج الفاسدة والواهية تؤدي عادة إلى نتائج فاسدة وواهية.

والخلاصة أن موقف الفلاسفة من دليل التمانع كان موقفا واحدا، وهو رفض الاستدلال به على الوحدانية، على الرغم من أنه أحد الأدلة العقلية، وذلك بسبب أنه دليل جدلي لا يفيد إلا الظن فقط، ويمكن أن نضيف إلى ذلك أيضا موقف الفلاسفة الرافض والناقد لما قدمه المتكلمون من آراء وأدلة وبراهين.

المبحث الخامس- دليل التمانع عند الصوفية:

اعتمد بعض أعلام التصوف الإسلامي على دليل التمانع في إثبات الوحدانية، وكان من أبرزهم: القشيري، وابن عربي، وفيما عدا هذين العلمين لم نر أحدا من الصوفية قد تكلم في الأدلة العقلية على الوحدانية وغيرها؛ نظرا

---

(١) مقدمة مناهج الأدلة، ص ٣١- ٣٦.

لغلبة الجانب الروحي على أفكارهم، وهذا يبرز لنا مدى اهتمام هذين العلمين بالعقل وأدلته وبراهينه في الفكر الصوفي الإسلامي.

وفيما يلي بيان كيفية استدلال هذين العلمين بدليل التمانع.

١- القشيري (ت: ٤٦٥هـ):

يؤكد القشيري على أن دليل التمانع من الأدلة العقلية المعتبرة في إثبات الوحدانية، ولكننا لا نجده مفصلا عنده كما فعل المتكلمون، بل جاء في صورة بسيطة، وقد استنتجه من عدة آيات، هي:

١- قوله تعالى ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴾ الإسراء: ٤٢، يقول القشيري مبينا اشتمال هذه الآية على التمانع: "بيَّن أن لو كان الصانع أكثر من واحد، لجرى بينهما تضاد وتمانع، وصح عند ذلك في صفتهم العجز، وذلك من سمات المحدثات"(١).

٢- قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، فقد أخبر سبحانه أَن كل أمر يُنَاطُ بجماعةٍ لا يجري على النظام؛ إذ ينشأ بينهم النزاع والخلاف، ولما كانت أمور العالم في الترتيب مُنَسَّقَة، فقد دلَّ ذلك على أنها حاصلة بتقدير مدبر حكيم؛ فالسماء في علوِّها تدور على النظام أفلاكُها،

---

(١) لطائف الإشارات، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، ٢/ ١٩٠.

وليس لها عُمُدٌ لإمساكها، والأرض مستقرةٌ بأقطارها على ترتيب تعاقب ليلها ونهارها، ذلك لتقدير العزيز العليم علامة، وعلى وحدانيته دلالة(١).

٣- قوله تعالى ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ المؤمنون: ٩١، يقول القشيري في تفسير هذه الآية: كل أمر نيط باثنين، فقد انتفى عنه النظام وصحة الترتيب(٢).

٤- قوله تعالى ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ ص~: ٥، يذكر القشيري أن الإلهية هي القدرة على الاختراع(٣)، وتقدير قادرين على الاختراع غير صحيح؛ لأنه يوجب التمانع بينهما، ثم إن ذلك يمنع من كمالهما، ولو لم يكن الإلهان كاملي الوصف، لم يكونا إلهين(٤).

ونلاحظ أن موقف القشيري المؤيد لدليل التمانع قد نبع من تمسكه وتمذهبه بالمذهب الكلامي الأشعري في مسائل الاعتقاد الذي كان يدافع عن دليل التمانع في تلك الفترة.

٢- ابن عربي (ت: ٦٣٨هـ):

إن الناظر في فتوحات ابن عربي يلاحظ أنه يعتمد على العقل في كثير من آرائه وأفكاره، وكانت مسألة الوحدانية من المسائل التي برهن عليها بالعقل

---

(١) لطائف الإشارات، ٢/ ٢٨٩.

(٢) لطائف الإشارات، ٢/ ٣٤٩.

(٣) وهو هنا يتفق مع الأشاعرة، فمذهب الأشاعرة أن أخص وصف للإله هو القدرة على الاختراع. انظر: الشهرستاني، نهاية الإقدام، ص ٨٦.

(٤) لطائف الإشارات، ٣/ ٩٨.

والنقل معا، ومن أبرز الأدلة على ذلك دليل التمانع، وتقريره عنده على هذا النحو[١]: أنه لو كان ثم إله زائد على الواحد، لم يخل هذا الزائد من أحد أمرين:

الأول- أن يتفقا في الإرادة، ولو اتفقا، فليس بمحال أن يفرض الخلاف لننظر من تنفذ إرادته منهما.

فابن عربي يرى أن فرض الاتفاق لا يمنع ولا يحيل وجود الخلاف والتنازع والتمانع بين الإلهين.

الثاني- أن يختلفا حقيقة أو فرضا في الإرادة، وهذا لا يخلو من وجوه: الأول- أن ينفذ في الممكن حكم إرادتهما معا، وهو محال؛ لأن الممكن لا يقبل الضدين. الثاني- ألا ينفذ حكم إرادتهما، وإذا لم ينفذا، فليس واحد منهما بإله. الثالث – أن ينفذ حكم إرادة أحدهما دون الآخر، لأنه وقد وقع الترجيح، فلابد أن يكون أحدهما نافذ الإرادة، وقصر الآخر عن تنفيذ إرادته، فحصل العجز، والإله ليس بعاجز، فالإله من نفذت إرادته، وهو الله الواحد لا شريك له.

ونلاحظ في تحرير ابن عربي لدليل التمانع أنه لا يختلف عما قرره المتكلمون من معتزلة وأشاعرة وماتريدية.

وإذا كان ابن عربي قد اعتمد على دليل التمانع، فإنه قد خالف المتكلمين في استنباطهم الدليل من قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، فالمتكلمون يظنون أن الآية قياس شرطي منفصل، بينما ذهب ابن عربي

---

(١) الفتوحات المكية، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٣/ ٤٣٥.

إلى أنها قياس شرطي متصل، وقد صاغه على هذه الهيئة : قوله تعالى "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا" هذه مقدمة، والمقدمة الأخرى السماء والأرض ما فسدتا، وهذه هي المقدمة الأخرى، والجامع بين المقدمتين، وهو الرابط الفساد، فأنتجنا أحدية المخصص، وهي المطلوب"(١).

ويمكن صياغة هذا القياس على النحو الآتي:

	المقدم	**التالي**
المقدمة المركبة	لو كان فيهما آلهة إلا الله	لفسدتا
المقدمة المستثناة	–	السماء والأرض ما فسدتا **(نقيض التالي)**
النتيجة	أحدية المخصص (الإله واحد) **(نقيض المقدم)**	

وابن عربي يتفق في هذا الجانب مع ابن رشد الذي ذهب إلى أن الآية قياس شرطي متصل، لا منفصل، كما زعم المتكلمون.

كما أنه يتفق مع ابن رشد في تفسير الآية(٢)، فيذكر أن المراد بالفساد هو عدم العالم، وضده الصلاح وهو بقاء العالم، وقد وجد الصلاح، وهو بقاء العالم ووجوده، فدل على أن الموجد له لو لم يكن واحدا، ما صح وجود العالم(٣).

---

(١) الفتوحات المكية، ٣/ ٤٣٥.
(٢) د. حسن الشافعي، الآمدي وآراؤه الكلامية، ص ٣١٣.
(٣) الفتوحات المكية، ٣/ ٤٣٤.

ويذهب ابن عربي إلى أن الآية تدل على توحيد الألوهية، بل إن الشرع كله نص على هذا النوع من التوحيد(١)، وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية فيما بعد(٢).

ثم يؤكد ابن عربي أن هذا دليل الحق فيه على أحديته، وأنه قد طابق الدليل العقلي في ذلك، ولو كان غير هذا من الأدلة أدل منه عليه سبحانه وتعالى لعدل إليه وجاء به، وما عرفنا بهذا ولا بالطريق إليه في الدلالة عليه(٣).

وقد انتقد ابن عربي موقف بعض المتكلمين من الآية ودلالتها على التمانع واصفا إياه بالجهل وسوء الأدب، حيث يقول : "وقد تكلف قوم الدلالة عليه بطريق آخر، وقدحوا في هذه الدلالة، فجمعوا بين الجهل فيما نصبه الحق دليلاً على أحديته وبين سوء الأدب، فأما جهلهم فكونهم ما عرفوا موضع الدلالة على توحيده في هذه الآية حتى قدحوا فيه، وأما سوء الأدب فمعارضتهم بما دخلوا فيها بالأمور القادحة، فجعلوا نظرهم في توحيده أتم في الدلالة مما دل به الحق على أحديته، وما ذهب إلى هذا إلا المتأخرون من المتكلمين الناظرين في هذا الشأن"(٤).

ولكنه يستثني من الحكم السابق المتقدمين من المتكلمين، حيث يذكر أن المتقدمين كأبي حامد وإمام الحرمين وأبي إسحق الإسفراييني والشيخ أبي الحسن

---

(١) الفتوحات المكية، ٣/ ٤٣٦.
(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٩/ ٣٦٩.
(٣) الفتوحات المكية، ٣/ ٤٣٤.
(٤) الفتوحات المكية، ٣/ ٤٣٤.

ما عرجوا عن هذه الدلالة، وسعوا في تقريرها، وأبانوا عن استقامتها أدبا مع الله تعالى، وعلما بموضع الدلالة منها(١).

الخاتمة

وتتضمن أهم نتائج البحث، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١- أن دليل التمانع هو أقوى الأدلة العقلية وأعلاها مرتبة في إثبات الوحدانية عند المتكلمين على اختلاف مدارسهم وتنوع مذاهبهم.

٢- اتفق جميع المتكلمين المؤيدين لدليل التمانع على أن هذا الدليل هو المنصوص عليه في قوله تعالى ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، باستثناء الأشعري والشهرستاني اللذين استنبطا هذا الدليل من قوله تعالى ﴿ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾المؤمنون: ٩١.

٣- أن المنزلة العظيمة التي تبوأها هذا الدليل العقلي عند المتكلمين لم تمنع بعضهم من رفضه ونقده وإسقاط الاحتجاج به، فأسقطه أبو هاشم المعتزلي، والآمدي الأشعري، بل وصل الأمر بهما إلى إسقاط الاحتجاج بجميع الأدلة العقلية على الوحدانية والاكتفاء في إثباتها بالأدلة السمعية، معللين ذلك بأن صحة السمع غير موقوف على القول بالوحدانية.

٤- شهد هذا الدليل تطورا واضحا في المدرسة الأشعرية، فبدأه الأشعري في صورته البسيطة وحرره على أساس الاختلاف في الإرادة والقدرة، ثم ذكر الباقلاني بعده الثغرات التي أثيرت حوله ورد عليها، ثم طوره الجويني من خلال

---

(١) الفتوحات المكية، ٣/ ٤٣٤.

تأسيسه على عدة أصول، والرد على الاعتراضات التي أثارها المنكرون لصحة الدليل، وبرز هذا التطور أيضا عند الغزالي عندما حرر دلالة التمانع وطبقها على خلق المخلوقات، ولما جاء الشهرستاني طور في تقرير الدلالة وغيَّرها، فأقامها على التمانع في الاستغناء بالذات، وهو أدل على استحالة الإلهين من التمانع في الفعل.

٥- يعد أبو منصور الماتريدي أول من أشار إلى ثغرة الاتفاق بين الإلهين، وذكرها تحت مصطلح "الاصطلاح"، ثم تابعه جميع من ذكرها من المتكلمين.

٦- رفض الفلاسفة، وخاصة ابن رشد ونصير الدين الطوسي، الاعتماد على دليل التمانع في إثبات الوحدانية، ونقدوه، مؤكدين أنه دليل جدلي خطابي ظني، وهذه الأدلة لا يصح الاستدلال بها.

٧- أكد ابن رشد أن دليل التمانع عند المتكلمين ليس له علاقة بقوله تعالى ﴿ لَوۡكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢؛ لأن دليل التمانع قياس شرطي منفصل، وهو قياس جدلي، أما الآية فهي قياس شرطي متصل، وهو قياس برهاني منتج، وشتان ما بين القياسين.

٨- اعتمد أبو القاسم القشيري الصوفي على دليل التمانع في إثبات الوحدانية، ووافق المتكلمين في أنه هو المنصوص عليه في قوله تعالى ﴿ لَوۡكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢، ولكنه انفرد عنهم باستنباط هذه الدلالة من آيات أخرى، غير أنه لم يتعمق في تحرير الدليل، بل عرضه في صورة

بسيطة غير معقدة، ويمكن تفسير اعتماده على هذا الدليل العقلي، رغم أنه صوفي، بأنه كان متمذهبا بالمذهب الأشعري في الاعتقاد.

٩- دلل العالم الصوفي ابن عربي أيضا بدليل التمانع على الوحدانية، وذلك لأنه كان يهتم بالعقل وبراهينه، ولكنه خالف المتكلمين، حيث قرر أن الدليل في الآية قياس شرطي متصل، متفقا في ذلك مع ابن رشد.

المصادر والمراجع:

الآمدي: علي بن أبي علي بن محمد (ت: ٦٣١هـ)، أبكار الأفكار في أصول الدين، تحقيق: أ.د/ أحمد محمد المهدي، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط ٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

------، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: د.حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩١هـ.

الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت:٣٢٤هـ)، اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، صححه وقدم له وعلق عليه:د / حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م.

الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب (٤٠٣هـ)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط ٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

-----، التمهيد، عني بتصحيحه ونشره: الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م.

البغدادي: عبد القاهر بن طاهر (ت:٤٢٩هـ)، أصول الدين، مطبعة الدولة، استانبول، ط ١، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.

التفتازاني: مسعود بن عمر، شرح العقائد النسفية، تحقيق:د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم (ت: ٧٢٨هـ)، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

-----، منهاج السنة النبوية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

الرازي: محمد بن عمر التميمي (ت: ٦٠٦هـ)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، وبذيله تلخيص المحصل للطوسي، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

----، المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

----، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد (ت: ٥٩٥هـ)، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق: د. محمود قاسم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، بدون تاريخ.

الزمخشري: محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الجويني: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله (ت:٤٢٨هـ)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه: د. محمد يوسف، علي عبد المنعم عبد الحميد، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م.

----، الشامل في أصول الدين، حققه وقدم له: علي سامي النشار، فيصل بدير عون، سهير محمد مختار، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

الشافعي: د. حسن، الآمدي وآراؤه الكلامية، القاهرة، دار السلام، ط ١، ١٩٩٨م/ ١٤١٨هـ.

الشهرستاني: عبد الكريم بن أبي بكر (ت: ٥٤٨هـ)، نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه: الفريد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٩م.

الطوسي: الخواجة نصير الدين محمد بن محمد (ت: ٦٧٢هـ)، تلخيص المحصل، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

عثمان: د. عبد الكريم، نظرية التكليف: آراء القاضي عبد الجبار الكلامية، مؤسسة الرسالة.

العراقي: د. عاطف، المنهج النقدي في فلسفة ابن رشد، دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٤م.

ابن عربي: محيي الدين محمد بن علي (ت: ٦٣٨هـ)، الفتوحات المكية، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الغزالي: محمد بن محمد الطوسي (ت:٥٠٥هـ)، الاقتصاد في الاعتقاد، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له: د. إبراهيم آكاه جوبوقجي، د. حسين آتاي، أنقرة، ١٩٦٢م.

----،معيار العلم في فن المنطق، المطبعة العربية، ط ٢، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

القشيري: عبد الكريم بن هوازن (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.

الماتريدي: أبو منصور محمد بن محمد(ت: ٣٣٣هـ)، التوحيد، حققه وقدم له: د. فتح الله خليف، بيروت، دار المشرق، بدون تاريخ.

الملاحمي: محمود بن محمد(ت: ٥٣٦هـ)، المعتمد في أصول الدين، تحقيق: مارتن مكدرمت، ويلفرد ماديلونغ، الهدى، لندن، ١٩٩١م.

مهران د. محمد، مدخل إلى المنطق الصوري، دار الثقافة، ١٩٩٤م.

موسى: د. جلال محمد، نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

النسفي: أبو المعين ميمون بن محمد (ت: ٥٠٨هـ)، تبصرة الأدلة في أصول الدين، الجزء الأول، تحقيق وتعليق: أ.د/ حسين آتاي، أنقرة، نشريات رئاسة الشئون الدينية للجمهورية التركية، ١٩٩٣م.

النيسابوري: أبو رشيد سعيد بن محمد، ديوان الأصول، تحقيق: د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

الهمداني: القاضي عبد الجبار بن أحمد (ت:٤١٥هـ)، شرح الأصول الخمسة، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: د/عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

----، المجموع في المحيط بالتكليف، جمع الشيخ أبي محمد الحسن بن أحمد بن متويه، عني بتصحيحه ونشره: الأب جين يوسف هوبن السباعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون تاريخ.

----، المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق:د. محمد مصطفى حلمي، د. أبو الوفا الغنيمي، مراجعة: د. إبراهيم مدكور، د. طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

التفاؤل والتشاؤم وكفاءة إدارة الوقت كمنبئات بالصحة النفسية لدى عينة من المراهقين والراشدين

إعداد

د. أشرف محمد علي شلبي

أستاذ علم النفس الارتقائي المساعد – كلية الآداب جامعة بني سويف

يناير ٢٠١٥

التفاؤل والتشاؤم وكفاءة إدارة الوقت كمنبئات بالصحة النفسية لدى عينة من المراهقين والراشدين

د. أشرف محمد علي شلبي

أستاذ علم النفس الارتقائي المساعد – كلية الآداب جامعة بني سويف

الملخص:

يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن وجود فروق في التفاؤل والتشاؤم، وكفاءة إدارة الوقت،و الصحة النفسية لدى عينة من المراهقين والراشدين، والذكور والإناث،والكشف عن إمكانية التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم، وكفاءة إدارة الوقت لدى عينة المراهقين والراشدين، والذكور والإناث. المنهج : تم استخدام المنهج الارتباطي الوصفي والمقارن، وتكونت العينة من (٣٠٠) من المراهقين، والراشدين، كالتالي: المراهقين (ن= ١٠٠ ، م= ١٩,٨سنة ، ع = ١,٣)،من طلاب جامعة بني سويف، والراشدين (ن = ٢٠٠ ، م= ٣٣ سنة، ع = ٩,٧) ، الذكور(ن= ١٢٨ ، م= ٣١,٦ سنة ، ع= ١١,٢)، الإناث (ن= ١٧٢ ، م = ٢٦,٣ سنة ، ع= ٨,٦) من محافظة القاهرة، وبني سويف، والفيوم.الأدوات: تم تطبيق المقياس العربي للصحة النفسية (إعداد : أحمد محمد عبد الخالق، ٢٠١٦م) ، ومقياس التفاؤل والتشاؤم (إعداد: ديمبر، ومارتن ، وهامر Dember ; Martin; Hummer, 1989 . تعريب: مجدي محمد الدسوقي، ٢٠٠٢م)، ومقياس كفاءة إدارة الوقت (إعداد : آمال عبد السميع باظة ، ٢٠٠٨م). وأشارت أبرز النتائج إلى:

١. وجود فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات : مهارة التنظيم، ومهارة التنفيذ ، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت،والحياة ذات المعنى عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في اتجاه ارتفاعها نحو الراشدين.

٢. عدم وجود فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات: التفاؤل، والتشاؤم، والتخطيط، والمتابعة ، والرضا، والثقة بالنفس، وبُعد التفاؤل، والفرح، والاستقرار والدرجة الكلية للصحة النفسية.

٣. وجود فروق دالة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين الذكور والإناث في متغير التشاؤم في اتجاه ارتفاعها نحو الإناث، ووجود فروق دالة بينهما في متغير الثقة بالنفس عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في اتجاه ارتفاعها نحو الذكور.

٤. أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة البحث الكلية هما متغيران فقط ، كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منهما قدرة تنبئية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.

٥. أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى الذكور هي أربع متغيرات، مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ، والتخطيط، والتنظيم ، حيث كان لكل منها قدرة تنبئية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.

٦. أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى الإناث هما متغيران فقط، مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منهما قدرة تنبئية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.

Optimism, Pessimism and Time Management Efficiency as Psychological Health Predictors in a Sample of Adolescents and Adults

Dr. Ashraf Mohammed Ali Shalaby

Assistant Professor of Developmental Psychology

Faculty of Arts, Beni Suef University

The Current Research Aims to Detect Differences in Optimism and Pessimism, Time Management Efficiency, Psychological Health Among a Sample of Adolescents and Adults, Male and Female, and the predict ability of Psychological Health from Optimism and Pessimism, and the Efficiency of Time Management among Adolescents and Adults. Method: The Descriptive and Comparative Correlation Method was Used. The Sample Consisted of (300) Adolescents and Adults, as Follows: Adolescents (N = 100, M = 19.8 Years, P = 1.3), Students of Beni Suef University, Adults (N = 200, M = 33 Years, P = 9.7), Males,(N=128,M = 31.6 years, p = 11.2), Females (N = 172, M = 26.3 Years, P = 8.6) From Cairo, Beni Suef and Fayoum. Tools: The Arab Psychological Scale (Prepared by: Ahmed Mohamed Abdel-Khaliq, 2016) and Optimism and Pessimism (Prepared by: Dember, Martin, Hamer, 1989) Arabization: Majdi Mohammed Al-Desouki, 2002), and the Measure of Time Management Efficiency (Prepared by: Amal Abdel Samie Baza, 2008).

The Main Results Indicated:

1 - There are Significant Differences between Adolescents and Adults in Variables: the Skill of Organization, the Skill of Implementation, the Total Degree of Efficiency of Time Management, and Meaningful Life at the Level of Significance (0,05) in the Direction of Rising to Adults.

2 - No Significant Differences between Adolescents and Adults in the Variables: Optimism, Pessimism, Planning, Follow - Up, Satisfaction, Self - Confidence, and Optimism, Joy, Stability and Total Degree of Psychological Health.

3 - There are Significant Differences at the Level of Significance (0,05) between Males and Females in the Pessimistic Variable in the Direction of its Rise Towards Females, and the Existence of Differences between them in the Self Confidence Variable at the Level of Significance (0,05) in the Direction of the Rise Towards Males.

4. The Most Predictive Variables for Psychological Health in the Overall Research Sample are Only Two Variables: Optimism and Implementation, Each Having a Predictive Power at a Mean Level of Less than 0,001. The Other Variables Have No Predictive Potential for Psychological Health.

5. The Most Predictive Variables for Psychological Health in Males are Four Variables: Optimism, Implementation, Planning and Organization, Each of which had A predictive Power at A mean Level of Less than 0,001, and the Other Variables Did not have A predictive Psychological Health.

6. The Most Predictive Variables in the Psychological Health of Females are Only Two Variables: Optimism and Implementation, Each Having A predictive Power at a Mean Level of Less Than 0,001, and the Other Variables Having No Predictive Potential for Psychological Health.

المقدمة :

إن مقياس تقدم الأمم وازدهار حضارتها ونهضتها، هو حسن استثمارها لوقت أفرادها ، وكفاءة إدارتهم له، وتبين أن إنتاجية العامل الأمريكي أواليابانى، تزيد كثيرًا عن إنتاجية العامل في الدول النامية، التي تبلغ في آخر إحصائيات (٣٦ دقيقة

فقط) في اليوم (طارق سويدان، ومحمد أكرم العدلوني، ٢٠٠٠م). فضلًا عن أن الأفراد الذين لديهم القدرة على التحكم في الوقت وإدارته، وعدم الاستغراق في الأمور الشخصية لديهم سمات شخصية تمكنهم من حسن استثمار أوقاتهم مثل: المثابرة، والمرونة في التعامل مع الآخرين والمواقف الضاغطة، والاتزان الانفعالى، والصبر، وبذل الجهد دون استنزاف انفعالي أو جسمي، والقدرة على تحديد الأهداف الواقعية، والثقة، والقدرة على مواجهة الأمورالتي قد تعوق إدارة الوقت بكفاءة (أميرة محمد العدل، ٢٠٠٦م).وتراجع اهتمام علماء النفس بمفاهيم مثل المرض النفسي، والاضطرابات المختلفة للشخصية دراسةً، وتشخيصًا، وعلاجًا مع نهايات القرن العشرين، حيث بدأ اهتمام الباحثين يتجه نحو مواطن القوة – لا الضعف – في الشخصية، لاستثمارها لصالح جودة حياة الفرد وتنمية المجتمعات، وذلك في إطار علم النفس الإيجابي، وأصبحت سمات الشخصية الإيجابية من أهم الموضوعات التي يتم التركيز عليها في علم النفس (سوزان بنت صدقة بن عبد العزيز بسيوني، ٢٠١١م : ٦٨)، وجدير بالذكر أن من دواعي الاهتمام بالصحة النفسية ما أبرزته نتائج البحوث والدراسات من وجود علاقة بين الصحة النفسية للفرد وصحته البدنية ، حيث أثبتت أن الكثيرمن الأمراض البدنية لها أسباب نفسية ، كما أن علاج الكثير من الأمراض البدنية يتطلب توافر مستوى مناسب من الصحة النفسية وهو ما يُعرف بالأمراض السيكوسوماتية، وهي أمراض نفسية المنشأ جسمية الأعراض، كالصداع النصفي المستمر، والضغط، والسكر ،وقرحة المعدة، والقولون العصبي.....إلخ، فضلًا عما سبق وُجد أن الأفراد العاملين الذين يتمتعون بقدر مناسب من الصحة النفسية عادةً ما يزيد إنتاجهم، وتقل أخطاؤهم، وتزيد فاعليتهم ، وتتضاءل مشكلاتهم السلوكية، مما يوفر الكثير من المال والجهد للمنشآت المختلفة، وهو ما دفع إلى

زيادة اهتمام الشركات والمنشآت، والمؤسسات بالصحة النفسية للعاملين ، وفي سبيل تمتع الفرد بالسعادة والإيجابية ، والحد من مخاوفه وقلقه، بدأ الاهتمام بصحته النفسية (حسام أحمد محمد أبوسيف، وأحمد محمد الناشري، ٢٠٠٩م).والجهود المبذولة في سبيل تحقيق الصحة النفسية للأفراد لها طابع وقائي Preventive ، فالاهتمام يتركز في الأسلوب الذي يُتبع لتحقيق الصحة النفسية لأفراد المجتمع ، والحياة التي يجب أن يعيشها الفرد، والظروف المحيطة به في سبيل تحقيق أمنه وطمأنينته النفسية، وتحقيق قدرمناسب من الصحة النفسية له، والجهد الوقائي لتحقيق الصحة النفسية مسئولية جماعية، هي مسئولية كل من : الأسرة، والمدرسة، ومؤسسات العمل، ووسائل الإعلام المتعددة ، ودور العبادة، والمنظمات الاجتماعية (علي أحمد علي، ١٩٨٠م). ومن هنا برز الاهتمام بدراسة مفهوميْ " التفاؤل والتشاؤم " في مجالات دراسة الشخصية، وعلم النفس الإكلينيكى، وعلم النفس الاجتماعى، وعلم نفس الصحة، حيث أشارت البحوث والدراسات إلى أن التفاؤل له دور مهم في الارتقاء بحياة الإنسان، وتحقيق رفاهيته، وسعادته، ورضائه عن عمله وصحته الجسمية والنفسية (أحمد محمد عبد الخالق، ١٩٩٨م- أ – ب؛ حسن عبد اللطيف، ولولوة حمادة ، ١٩٩٨م). كما يؤثر التفاؤل تأثيرًا إيجابيًا على صحة الجسم، ويسرع بالشفاء في حال المرض، وهو ما يميز بين مريض وآخر في الأمل في الشفاء.من ناحية أخرى فإن التشاؤم الذي يرتبط بكل من الغضب والعدائية يتسبب في مشكلات صحية كثيرة منها: ارتفاع ضغط الدم، ومرض الشريان التاجي، والسرطان، كما يُنبئ التشاؤم بانخفاض كل من مستوى الصحة والعمر المتوقع ، وارتفاع معدل الوفاة، وبطء الشفاء بعد إجراء العملية الجراحية ، بل أثبت عدداً من الباحثين أن كفاءة جهاز المناعة تزداد لدى المتفائلين بالنسبة إلى المتشائمين ،

ويرون أن التفاؤل يمكن أن يقوم بدور مهم كعامل وقائي ينشط عندما يواجه الفرد صعوبات كالمرض (Segerstrom, Taylor& Fahey,1998) . ويرتبط التفاؤل بزيادة الرضا عن الحياة ، والتأثير الإيجابي، وقلة الأعراض الاكتئابية، ويميل المتفائلون إلى أن يكونوا أكثر دافعية لاستخدام أساليب فعالة للتعامل مع المشاكل والضغوط، كما يُظهر المتفائلون المزيد من الثبات في إتقان المهام الصعبة مقارنة بالمتشائمين،وقد تؤدي هذه الاتجاهات إلى نتائج إيجابية على المدى الطويل مثل: تحقيق المزيد من النجاح والإنجازات، بينما يرتبط التشاؤم بوجود أعراض اكتئابية أكثر، والتأثير السلبي، والإجهاد النفسي (Chang,Sanna,2009) . واهتم الباحثون بدراسة التفاؤل والتشاؤم؛ نظراً لارتباط هاتين السمتين بالصحة النفسية للفرد، فقد أبرزت الكثير من النظريات ارتباط التفاؤل بالسعادة ، والصحة ، والمثابرة ، والإنجاز ،والنظرة الإيجابية للحياة. في حين يرتبط التشاؤم باليأس والفشل، والمرض، والنظرة السلبية للحياة (أحمد عبد الخالق، ٢٠٠٠م ؛ بدر الأنصاري، ٢٠٠٣م ؛ Peterson,2000).

مشكلة البحث:

تشير بعض البحوث والدراسات إلى أن التفاؤل والتشاؤم طرفان لمتصل واحد، يمثل كلٌ منهما نقيض الآخر، إلا أن هناك الكثير من البحوث التي تدعم افتراض أن التفاؤل والتشاؤم مفهومان مستقلان ، ففي حين يرتبط التفاؤل بايجابيات الشخصية، يرتبط التشاؤم بالأفكار اللاعقلانية التي تحول دون استغلال الفرد لإمكاناته الفعلية. كما أبرزت البحوث أن الأشخاص المتفائلين يعتمدون على أساليب المواجهة الإيجابية التي يواجهون بها المشكلة، في حين أن المتشائمين يعتمدون على أساليب

المواجهة السلبية التي يتجنبون بها التعامل مع المشكلة (سوزان بنت صدقة بن عبد العزيز بسيوني، ٢٠١١م).

فضلًا عما سبق قد أوضحت البحوث والدراسات العلاقة بين التفاؤل والتشاؤم وبعض متغيرات الشخصية؛ سواء الإيجابية أو السلبية منها؛ حيث يرتبط التفاؤل إيجابيًا بعدد من المتغيرات الإيجابية مثل: الصحة النفسية والجسمية (أحمد عبد الخالق، ٢٠٠٠م)،والسعادة والرضا عن الحياة (فريح العنزي، ٢٠٠١م)،والمواجهة الفعالة للضغوط (عثمان الخضر، ١٩٩٩م)، وحل المشكلات بنجاح، والأداء الوظيفي (رجب محمد، ٢٠٠١م)، والفعالية الذاتية.والتشاؤم يستنزف طاقة الفرد ليشعره بضعف نشاطه ودوافعه، كما يُعد مظهرًا من المظاهر التي تؤدي إلى سوء صحته النفسية، والإصابة بالأمراض النفسية والجسمية المتنوعة (بسنت محمد مصطفى، ٢٠١٣م). ونظر لي و سيلجمان (Lee , & Seligman., 1997) إلى التفاؤل والتشاؤم في ضوء الكيفية التي يدرك بها الأفراد الأحداث ، والمواقف المختلفة التي أُطلقا عليها أساليب العزو السببي Attribution Styles ، حيث يميل المتفائل إلى نمط من التفسير التفاؤلي أو التفسير الخارجي والمتغير للأحداث؛ بينما يميل المتشائم إلى نمط التفسير التشاؤمي أو التفسير الداخلي أو الذاتي ، والثابت عبر الزمن والعام عبر المواقف للأحداث السالبة (Lee, Y.T, & Seligman, 1997).كما يُعد التفاؤل مكونًا معرفيًا يتكون من مجموعة من توقعات الشخص حول المستقبل،ويشكل بُعدًا هامًا من الحياة العقلية ، والطبيعية للشخص؛ فالأفراد الذين يمتلكون نظرة تفاؤلية للمستقبل يدركون الأحداث السلبية كأحداث مؤقتة أوعابرة، ويكونون أكثر نجاحًا ، وأقل معاناة للإكتئاب،والقلق (Ey S ; Hadley W; Allen DN; Palmer S; Klosky J; Deptula D; Thomas J; Cohen R. ,

.(2005، وأشار كل من ماير وسالوفي (Mayer & Salovey, 1993) إلى أن التفاؤل يُعد أحد مكونات الذكاء الوجداني Emotional Intelligence لدى المتفائلين، كما يمكن التنبؤ بأن الأفراد ذوي الذكاء الوجداني عادة ما يكونون متفائلين.كما أشار شاير وكارفر إلى أن التفاؤل صفة مهمة في الشخصية تتضمن توقعات عامة حول المستقبل، ويقع الأفراد على خط متصل من المتشائمين على أحد طرفي ذلك المتصل ، إلى المتفائلين على الطرف الآخر ، وأن الفروق الفردية على بعد التفاؤل والتشاؤم ثابتة بشكل نسبي ، ولفترة زمنية لا تقل عن ثلاث سنوات ، حتى لدى أولئك الأفراد الذين تواجههم أحداث جسيمة (Carver ; Scheier, 2001). وأوضحت البحوث والدراسات وجود علاقة ارتباطية إيجابية مرتفعة بين النظرة التفاؤلية للمستقبل، والسعادة الحالية، كما اتضح أن التفاؤل يرتبط ارتباطاً إيجابيًا بكل من : إدراك السيطرة على الضغوط ومواجهتها ، واستخدام المواجهة الفعالة وإعادة التفسير الإيجابي للموقف، وحل المشكلات بنجاح، والبحث عن الدعم الاجتماعي، والنظرة الإيجابية للمواقف الضاغطة، والتحصيل الدراسي، والأداء الوظيفي، وضبط النفس وتقدير الذات، وسرعة الشفاء من المرض ، والانبساط، والتوافق، والصحة الجسمية، والسلوك الصحي، وسرعة العودة إلى ممارسة الأنشطة الطبيعية في الحياة بعد إجراء العملية الجراحية، كما وُجدت علاقة ارتباط سالبة بين انخفاض الرضا الزواجي ، والتفاؤل.ومن ناحية أخرى كشفت البحوث والدراسات أن التشاؤم يرتبط بكل من ارتفاع معدلات الإصابة بالإكتئاب، واليأس، والانتحار، والقلق، والوسواس القهري، والعصابية، والعداوة والشعور بالوحدة ، وانخفاض الروح المعنوية والدافعية للعمل والإنجاز، والشعور بالحزن والقنوط ، والانسحاب الاجتماعي، والفشل في حل المشكلات، والنظرة السلبية لصدمات الحياة (بدر

الأنصاري، ١٩٩٨م ؛ أحمد عبد الخالق، ٢٠٠٠م ؛ هدى جعفر حسن، ٢٠٠٦م ؛ شيماء عزت مصطفى ، ٢٠١٠م؛ سوزان عبد العزيز بسيوني، ٢٠١١م؛ Taylor,S., Keneny,M. Aspinwall,L., Schneider,S., Rodriguez, R., & Herbert,M., 1992; Marshal,G., Wortman,C.,Kusulas.,J., Herring,L., & Vickers, R.,1992; Atienza, A., Stephens,M., & Townsend, A., 2002 ; Lobel,M., Devincent,C., Kaminar., A.,& . Meyer,B., 2000)

وأشار الباحثون إلى أن الصحة النفسية هي قدرة الفرد على التغلب على التحديات اليومية ومواجهة التفاعلات الاجتماعية ، دون أن يشعر أو يعاني عجزًا انفعاليًا، أو سلوكيًا زائدًا،أو غير مناسب. والصحة النفسية أكثر من غياب الاضطرابات العقلية ، ويمكن أن تتأثر بعوامل كثيرة تمتد من الضغوط الخارجية ، التي يصعب التعامل معها إلى العلل البيولوجية أو الأمراض العضوية ، التي تعوق وظيفة المخ (أحمد عبد الخالق، وصلاح مراد، ٢٠٠٠). وأضاف الباحثون أن الأشخاص المتفائلين يعانون من أعراض جسمية قليلة ناتجة عن الضغوط؛ لأنهم يوظفون استراتيجية (التركيز على المشكلة) عندما يدركون أن الموقف يمكن السيطرة عليه ، بينما يستخدم الأشخاص المتشائمون استراتيجية (التركيز على الانفعال) المتمثلة في الإنكار والانسحاب السلوكي، وتجنب الهدف الذي يتضمن ضغوطاً (هدى جعفرحسن ، ٢٠٠٦). **علاوة على ماسبق** أشارت نتائج بعض البحوث والدراسات إلى ارتباط التفاؤل بالسلوك الصحى العام، وزيادة الوعي الصحي ، وانخفاض معدل عوامل الخطر للإصابة بالأمراض المزمنة ، وضبط العادات الصحية كالالتزام بالنظم الغذائية الصحيحة ، والإقلاع عن التدخين، والامتناع عن شرب الكحوليات ،

وممارسة الرياضة ; Mulikana ,& Hailey, 2001; Ylostalo, P.V.,) Laitinen .j., Knuuttila, E.L ,2003)، كما أن طبيعة الحياة تؤثر في نوعية حياة الفرد بشكل عام؛ فالشخص المتشائم يكون غير متوافق في دراسته ،وعمله ، وبالتالي يؤثر في معدلات إنجازه في العمل ، مما يؤثر سلبًا على معدلات التنمية والدخل القومي للدولة (أشرف محمد علي شلبي، ٢٠١٢). بالإضافة إلى أن التفاؤل وكفاءة إدارة الوقت لهما دور مركزي ومهم في تطوير المجتمع واستقراره؛ وذلك لأن الأفراد المتفائلين ، والذين يمتلكون القدرة على إدارة وقتهم بكفاءة ، هؤلاء هم الذين يصبحون أعضاء فاعلين وقادة المجتمع في المستقبل؛ أي أنه يجب الحد من ارتفاع حالات التشاؤم ، وإهدار الوقت (Ortese, P. T; Tor–Anyiin, S. A.,2008).

تساؤلات البحث: يحاول البحث الحالي الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. هل هناك فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات البحث (التفاؤل والتشاؤم– كفاءة إدارة الوقت – الصحة النفسية).
٢. هل هناك فروق دالة في التفاؤل و التشاؤم، وكفاءة إدارة الوقت ، والصحة النفسية بين الذكور والإناث؟
٣. هل يمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من المراهقين والراشدين ؟
٤. هل يمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من الذكور والإناث؟

رابعاً– أهداف البحث: تتحدد أهداف البحث فيما يلي:

١.الكشف عن وجود فروق في التفاؤل والتشاؤم، وكفاءة إدارة الوقت،و الصحة النفسية لدى عينة المراهقين والراشدين.

٢.التعرف على وجود فروق بين التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت، و الصحة النفسية لدى عينة الذكور والإناث.

٣.الكشف عن إمكانية التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لدى عينة المراهقين والراشدين.

٤.الكشف عن إمكانية التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لدى عينة الذكور والإناث.

خامسًا: أهمية البحث : تتضح أهمية إجراء هذا البحث من خلال:

١.الأهمية النظرية:

- توفير قاعدة بيانات حول المراهقين والراشدين ،والقائمين على رعايتهم في الأسرة ، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية المتعددة لما يجب أن يفعلوه لكي يتمتعوا بصحة نفسية جيدة ، والحد من معدلات حدوث الاضطرابات النفسية التي تحدث لهم (أشرف محمد علي شلبي، ٢٠١٢).
- إثارة انتباه المؤسسات المهتمة بتنمية الأفراد والمجتمع ، بأهمية التركيزعلى سياسات تنمية التفاؤل وكفاءة إدارة الوقت لدى الأفراد.
- إثراء قاعدة البيانات الخاصة بالمراهقين والراشدين في المجتمع ، نحن في حاجة إلى إجراء المزيد من البحوث في هذه المنطقة البحثية حتى نتمكن من تكوين قاعدة بيانات ، و في حال توافرها:-
  - ✓ تزود القائمين برعاية المراهقين والراشدين بمعلومات تسمح لهم بمعرفة خصالهم النفسية، ومشكلاتهم الصحية ، وطرق معالجة تلك الاضطرابات والمشكلات .

- ✓ على مستوى قادة المؤسسات ، فإن تلك البحوث تقدم لهم تصورات حول الاستراتيجيات المناسبة لإدارة عمليات رعاية المراهقين والراشدين،وأفضل السبل لتحقيق مناخٍ آمنٍ وصحيٍ لاستقرار الأسر والمجتمع.

٢. الأهمية التطبيقية:

في ظل نتائج هذا البحث وما يبرزه من معلومات حول العوامل المنبئة بالصحة النفسية لدى المراهقين والراشدين، تبين إمكانية القيام بما يلي :

أ- ممارسة المراهقين والراشدين للتدريب على التفاؤل،ومهارات كفاءة إدارة الوقت ستصقل شخصيتهم،ويُنمي مهارتهم،ويجعلهم أكثر صلابة نفسيًا،وأكثر قدرة على مواجهة المشكلات والشعور بالاكتئاب والوحدة النفسية .

ب- بعض التطبيقات النفسية والتربوية لحماية المراهقين والراشدين من اليأس والإحباط والاكتئاب.

ت- بعض التطبيقات الإرشادية العلاجية للمراهقين والراشدين يمكن مساعدتهم على تبني نظرة تفاؤل وإيجابية للحياة ؛ لمساعدتهم على التمتع بصحة نفسية جيدة.

مفاهيم البحث :

أولاً: مفهوم التفاؤل والتشاؤم:

يُعرف التفاؤل في اللغة من الفأل ، وهو ضد الطيرة، والجمع فؤول ، وقال الجوهريٌ: الجمع أفؤل وتفاءل به ، والفأل أن يكون الرجل مريضًا فيسمع آخَرَ يقول : ياسالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخَرَ يقول : يا واجد ، فيقول : تفاءلت بكذا ، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه أو يجد ضالته . وفي الحديث (

أنه صلَي الله عليه وسلم كان يحب الفأل ويكره الطيرة)، والطيرة عكس الفأل وهي فيما يُكره والفأل فيما يُستحب ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء (ابن منظور، ١٩٧٨: ١٠٤٢).

ويُعرف التشاؤم في اللغة من باب شأم ، والشؤم خلاف اليمن، ورجل مشؤوم على قومه ، والجمع مشائيم. وقد شأم فلان على قومه يشأمهم فهو شائم إذا أجر عليهم الشؤم ، وقد شئم عليهم فهو مشؤوم إذا صار شؤمًا عليهم. وتشأم الرجل انتسب إلى الشأم (ابن منظور، ١٩٧٨م: ٢٥٧- ٢٥٨).

تعريف التفاؤل : يثير تعريف التفاؤل والتشاؤم كثيرًا من الجدل في أوساط علماء النفس، ففيما يعدهم بعضهم أنه سمة ثنائية القطب (Scheier and Carver,1985)، يعتقد بعضهم الآخر أنهما بُعدان مستقلان مع وجود تداخل بينهما .

(Marshal,G., Wortman,C.,Kusulas.,J., Herring,L., & Vickers, R.,1992 ; Chang, Edward; Sanna, Lawrence;Chang,Rita.,2009).

وأشار " كوليجان وزملاؤه " ,.Colligan,R.C., Offord,K.P.,Malinchoc,M) Schulman,p&Seligmain,K.E., 1994) إلى أن التفاؤل والتشاؤم سمات ثنائية القطب تتسم بالثبات النسبي وتتيح التنبؤ بالصحة الجسدية للأفراد، ومستوى التحصيل وفعالية الذات والعادات الصحية السيئة والأحداث الضاغطة ونسبة الاكتئاب.

كذلك أوضح " شاير و كارفر" (Scheier and Carver, 1985) أن التفاؤل سمة من السمات الشخصية ، وليس حالة تتصف بالثبات خلال المواقف ، ويعرَفان التفاؤل بأنه التوقعات الإيجابية للنتائج بشكل عام ، والتشاؤم بأنه التوقعات السلبية .

والتفاؤل: يعني التوقع قصير المدى بالنجاح في تحقيق بعض المتطلبات في المستقبل (نجوى اليحفوفي، ٢٠٠٢م)، كما يمثل توقعات الفرد للحصول على مخرجات إيجابية ؛ بينما يمثل التشاؤم توقعات الفرد للحصول على مخرجات سلبية ؛ والتفاؤل والتشاؤم يمثلان مؤشرين متقاربين للتعبيرعن عمليات التوافق النفسي (Carver ; Scheier, 2001).واتخذ مفهوم التفاؤل في العقود الأخيرة مركز الصدارة في مجالات علم النفس الإكلينيكي وعلم نفس الصحة (عويد المشعان، ٢٠٠٠م) والصحة النفسية ، وعلم النفس الإيجابي ، وحديثاً في علم النفس الحضاري المقارن (بدر الأنصاري، ٢٠٠٣م).

كما أشار الباحثون إلى أن التفاؤل هو عملية نفسية إرادية تولد أفكارًا ومشاعرَ للرضا ، والتحمل ، والثقة المرتفعة بالنفس ، وفي الوقت ذاته تُبعد الفرد عن حالات اليأس والعجز ، حيث يفسر الشخص المتفائل مشكلاته وأزماته تفسيرًا إيجابيًا يبعث في النفس قدرًا من الطمأنينة والأمن ، وهذا بدوره يؤدي إلى تنشيط أجهزة المناعة النفسية والجسمية لدى الفرد، وبذلك يُعد التفاؤل هو الطريق الأمثل إلى السعادة والصحة (مفرح عبد الله بالبييد، ٢٠٠٩م: ١٣).

وأشار الباحثون إلى التشاؤم بأنه استعداد شخصي أو سمة كامنة داخل الفرد تؤدي به إلى التوقع السلبي للأحداث (نجوى اليحفوفي، وبدر الأنصاري، ٢٠٠٥م).

وعرف شاير وكارفر (Scheier & Carver,1985) التشاؤم بأنه التوقع السلبي للنتائج بوجه عام ، والتوقع بالعجز عن المواجهة الفعالة ، وتناول بعض الباحثين Marshal, G., Wortman,C., Kusulas., J., Herring, I.,& Vickers, R., 1992) التشاؤم على أساس أنه استعداد شخصي أو سمة كامنة داخل الفرد ، يؤدي به إلى التوقع السلبي للأحداث.

التعريف الإجرائي للتفاؤل: هو الدرجة التي يحصل عليها المشاركون في اختبار التفاؤل المستخدم في البحث.

التعريف الإجرائي للتشاؤم: هو الدرجة التي يحصل عليها المشاركون في اختبار التشاؤم المستخدم في البحث.

خصال الأشخاص المتفائلين : تُوجد عدة خصال يتسم بها الشخص المتفائل ، هي:

يُقدر الأمور والظروف تقديرًا سليمًا،**ويتعامل** مع الآخرين بمودة وثقة، **ويُقبل** على الحياة بأمل وسرور،**ويتميز** بالاتزان الانفعالي، **ويتعلق** بالأمل عند تخطيطه للمستقبل،**ويواجه** المشكلات بمرونة ويعمل على حلها،**ويوظف** إرادته لمواجهة ما يصعب عليه من الأمور والمواقف،**ويبتعد** عن استعادة ما يؤلمه من ذكريات سابقة،**ويشارك** بفعالية في المجالات التي تخدم المجتمع (سيد صبحي، ١٩٨٤)،**ونادرًا** ما يفاجأ بوقوعه في مشكلة،**ودائمًا** ما يبحث عن حلول جزئية لأجزاء المشكلة بهدف الوصول إلى حل المشكلة الكلية،**ولديه** اعتقاد راسخ بأن كل فرد يمتلك القدرة على التحكم في مستقبله،**ويميل** إلى التجديد في حياته والبُعد عن الروتين،**ولا يسمح** للأفكار السلبية بأن تسيطر على تفكيره،**ويميل** إلى تعزيز قدرته على التفكير والامتنان لمن حوله، **ويستخدم** خياله لتوليد أفكار ناجحة، **ويتسم** سلوكه بالمرح حتى وإن بدا له أن تحقيق السعادة أمر مستبعد،**ويعتقد** أنه

يمتلك قوة عالية على تحقيق النجاح،**ويبحث** عن مصادر مختلفة للحب في حياته، **ويحب** أن يكون مصدر نشر الأخبار الجيدة، **ويميل** إلى تقبل ما لا يمكنه تغييره (شعاع الجاسر، ١٤٢٩هـ) ،**ويبحث** دائمًا عن المعلومات بهدف زيادة المعرفة، **ويستخدم** أساليب مواجهة فعالة، **ويعزو** الأحداث إلى أسبابٍ إيجابية، **ويبحث** عن الفائدة، **ويتسم** بحس الدعابة ،**ويتقبل** الآخرين من حوله (سوزان عبد العزيز بسيوني، ٢٠١١م).

خصال الأشخاص المتشائمين: تُوجد عدة خصال يتسم بها الشخص المتشائم، هي: **ينتظر** حدوث الأسوأ من الأمور ،**ويتوقع** الشر، والفشل، وخيبة الأمل،**وتصعب** عليه مواجهة المشكلات،**ويفضل** الحزن والكآبة،**ويشك** في الآخرين ولا يثق بهم ويخاف منهم ولا يتعامل معهم،**ويعجز** عن تكوين علاقات اجتماعية،**ويميل** إلى تضخيم توافه الأمور ،**وينظر** إلى المستقبل على أنه مظلم، **ويسترجع** دائمًا ما يؤلمه من ذكريات وأحداث (سوزان عبد العزيز بسيوني،٢٠١١م).

الأطر النظرية المفسرة للتفاؤل والتشاؤم:

١- نظرية التوقع والقيمة Expectancy , Value Theory :

تشير النظرية إلى أن سلوك الشخص يسعي دائمًا إلى تحقيق هدف له قيمة ، وبدون هذا الهدف فلن يكون هناك ما يدعو للقيام بهذا السلوك . والتوقع هو ثقة الفرد أو شكه حول ما إذا كان يمكن تحقيق الهدف، فإذا انخفضت أوانعدمت الثقة ، فلن يصبح هناك سلوك، فوجود قدر مرتفع من الثقة، هو ما يجعل الفرد يواصل مجهوده للحصول على الأهداف ذات القيمة، وهو ما ينطبق على التفاؤل والتشاؤم ، حين يواجه الأفراد نوعًا من المشكلات والتي تمثل نوعًا من التحدي، فإن المتفائلين منهم

يواصلون مثابرتهم حتى إن كان التقدم نحو الهدف صعبًا، أو بطيئًا، أما المتشائمون فهم أكثر تردًا وشكًا ، وهو ما ينطبق أيضًا عند مواجهة الشدائد ، إذ يعتقد المتفائلون أن الشدائد على صعوبتها يمكن تجاوزها بنجاح ، بينما يتوقع المتشائمون الكوارث، والأحداث السلبية (ممدوحة سلامة، ٢٠٠٩م ؛ شيماء عزت مصطفى، ٢٠١٠م).

٢- نظرية العجز المكتسب Learned Helplessness Theory :

قدم سليجمان Seligman مفهوم أسلوب التفسير التفاؤلي Optimistic Explanatory، وأسلوب التفسير التشاؤمي Pessimistic Explanatory ، حيث يؤدي أسلوب التفسير التشاؤمي إلى خطورة الوقوع في العجز، والاكتئاب عندما يواجه الفرد أحداثًا لا يستطيع التحكم فيها ؛ فيضخم الحالات النفسية ، ويزداد لديه خطر المرض والوفاة المبكرة. وهو ما أكدته البحوث من ارتباط أسلوب التفسير التشاؤمي بالأمراض الجسمية المختلفة، وانخفاض مستوى الأداء الأكاديمي والمهني لدى الراشدين .(Peterson, C.,Seligman.M.,& Vaillant,G., 1988) ؛ فالتفاؤل يمكن اكتسابه وتعلمه ، وينظر المتفائل إلى المشكلات والمعوقات المحبطة على أنها تحدٍ ويجب التغلب عليها عكس الشخص المتشائم، كما يستخدم الشخص المتفائل أسلوب إعادة البناء المعرفي Cognitive Restructuring الذي يتضمن تحديد الأفكار اللاعقلانية، والمعتقدات السلبية لديه، وتعديلها وفقًا لمنطقيتها ، والرغبة في استبدالها بأخرى تفاؤلية ومنطقية تساعده على تغيير حالته المزاجية السلبية إلى إيجابية (أحمد السيد محمد إسماعيل، ٢٠٠١م).

٣- نظرية التعلم الاجتماعي Social Learning Theory :

توضح النظرية أن بناء شخصية الفرد يتكون من التوقعات، والأهداف، والطموحات، وفعالية الذات ، وتعمل هذه الأبنية بشكل تفاعلي عن طريق التعلم بالملاحظة ، في ضوء المنبه، والاستجابة ، والتدعيم، والانطفاء، لذلك فاستمرارية سلوك الفرد المرغوب يرتبط بالتدعيم ، وبالتالي قد ينجح بعض الأفراد في أداء بعض المهام في بعض المواقف، مما يترتب عليه أن تتكون لديهم توقعات سلبية تجاه بعض المواقف ، وتغلب عليهم سمة التشاؤم . وفي ضوء هذين المعيارين يختلف الأفراد في توقعاتهم النجاح أو الفشل في توقعاتهم المستقبلية (عويد سلطان المشعان، ٢٠٠٢م).

ثانيًا: مفهوم كفاءة إدارة الوقت: Time Management Efficiency

إدارة الوقت تعنى إدارة الذات. والشخص الفعال هو من يبدأ بالنظر إلى وقته قبل الشروع في مهامه ، فالوقت من أهم الموارد ، فإذا لم تتم إدارته بكفاءة فلن يستطيع إدارة أي شيء آخر ، كما أن الوقت يتسم بالجمود فلا يمكن ادخاره أو تعويضه ، أو تأجيله ، ويُنظر إلى إدارة الوقت على أنه الاستخدام الجيد والفعال للوقت المحدد ، والمسموح به لتحقيق هدف ما (ربحي مصطفى عليان، ٢٠٠٥م).

تعريف إدارة الوقت:

هي علم وفن الاستخدام الرشيد للوقت، وهي علم استثمار الزمن بشكل فعال، وهي عملية قائمة على التخطيط، والتنظيم، والمتابعة، والتنسيق، والتحفيز، والاتصال، وهي إدارة لأندر عنصر متاح ، فإذا لم يُحسن الشخص إدارته ، فإنه لن يستطيع إدارة أي شيء، لذا لايختلف اثنان على أهمية إدارة الوقت في حياتنا العلمية، والعملية ، فالوقت قابل للاستثمار بدون حدود أو قيود، وهو كأصل ثمين

كان سببًا في تقدم غيرنا، باكتسابهم مهارات كيفية إدارة الوقت بكفاءة (راشد القصي، ٢٠٠٣م).

التعريف الإجرائي لمفهوم كفاءة إدارة الوقت: هو الدرجة التي يحصل عليها المشاركون على مقياس كفاءة إدارة الوقت المستخدم في البحث الحالى.

مما لا شك فيه أن إدارة الوقت تتضمن إدارة الفرد لذاته ، وتنظيم جميع أموره في إطارعامل الوقت، والفرد لا يستطيع التحكم في كم الوقت الذي لديه ، وإنما يستطيع فقط التحكم فيه وحسن استثمارهذا الوقت ، بمعنى أن عدد ساعات اليوم (٢٤ ساعة) لا نستطيع زيادتها بل نستطيع استثمارها ،لإنجاز الكثير من الأعمال. وتتضح أهمية الوقت في أنه المورد الذي يتعين إنفاقه فوروصوله وتلقيه ، وحتى في إنفاقه يجب إنفاقه بمعدل ثابت ، وبدون الوقت لا يمكن تحقيق أيسر الأهداف؛ فالربط بين إدارة الوقت والنجاح في الوصول إلى تحقيق الأهداف يقدم الدليل الواضح على أن الإدارة الجيدة للوقت تثمرنتائج خصبة وغنية (ابتسام محمود علي شتات، ٢٠٠٨م).

كفاءة إدارة الوقت والصحة النفسية والجسمية:

وفقًا لنظرية الأنماط التي ترى أن كل فرد لديه سمات شخصية ثابتة نسبيًا تؤثر في طريقة تعامله مع المواقف الضاغطة التي تختلف باختلاف الأفراد، وصنف الباحثون الأفراد من حيث مدى تأثرهم بالضغوط إلى نمط السلوك (أ) ، ونمط السلوك (ب)، وإن كانت هناك دراسات قد صنفت الأفراد إلى ثلاثة أنماط . ويتسم صاحب النمط (أ) بأنه متنافس، وعدواني، وسريع الحديث، ويشعر بضغط الوقت مما يعرضه لمستويات مرتفعة من الضغوط ،ويُعد أكثر تعرضًا للإثارة والسلبية للضغوط ، ويؤثر سلبيًا في الجوانب الاجتماعية، والصحية، والنفسية، ويدفعون ثمنًا

غاليًا متمثلًا في صورة مشقة نفسية ، وضغوط مهنية، وأمراض جسمية ، إذا ما فشلوا في القيام بأدوارهم المهنية ، على الرغم من وجود أساليب خاصة لتجنب الوصول إلى هذه المعاناة منها : مواجهة المشكلات، والتخطيط الجيد، وكفاءة إدارة الوقت .على النقيض يكون صاحب النمط (ب) ، فهو شخص متروٍ، ولا يشعربضغط الوقت، وغير متنافس، وينتقي لنفسه أساليب حياة سهلة (محمد يوسف المسيليم، ١٩٩٨م).

أسس كفاءة إدارة الوقت :

١. **معرفة كيفية قضاء الوقت:** وتتم بإحدى الطرق الثلاث التالية : (تحليل أنشطة الوقت، وهي الطريقة الأكثر عمقًا ومنهجيةً- تدوين الأنشطة اليومية والاحتفاظ بها وتُعد أيسر الطرق- دراسة عينة من الوقت)، حيث يجب تحليل الوقت للتعرف على كيفية إنفاقه، فمثلما يكتشف المحلل المالى للنظام النقدي أسباب عجز الموازنة المالية ، يمكن للفرد كذلك اكتشاف أسباب عجز موازنته الوقتية من خلال تحليل أنشطته ، والوقوف على مهدرات ومفترسات وقته ،والتي تساعد الفرد على تحديد كيف ينفق وقته في الأنشطة المختلفة يوميًا، وأسبوعيًا، وشهريًا ، وهذه الوسيلة تمكن الفرد من تسجيل أدق وأيسر الأنشطة التي يمارسها في حياته اليومية ؛ لأنه يقوم بتسجيل لحظة بداية كل نشاط ونهايته عبر اليوم طوال فترة معينة، وخاصة حين يكون الفرد متحمسًا للقيام بتلك العملية، و مستفيدًا منها كذلك (Bolger, N ,2003) ; Davis ,A & Rafaeli , E ،، فقد يكتشف مثلًا أنه يقضي معظم وقته في أشياء أقل أهمية مما يثير ناقوس التحذير لديه، وعليه أن

يتذكر أنه لن يمكنه إدارة وقته بحكمة مادام لا يعرف – أو لا يعي – كيف ينفقه (Meanly,2006) .

٢. **التعرف على سبب قضاء وقت في مجال معين:** يجب أن يتعامل الفرد مع الوقت كأنه رأس ماله الشخصي ، ويجب استثماره في أنشطة تعطى مردودًا سخيًا.

٣. **ترشيد وقت الالتزامات:** فالأذكياء يقصرون أنشطتهم على ما يتلاءم مع أهدافهم وبرنامجهم اليومي، يري "بيتمان " Pitman : أن الوقت المنظم جيدًا علامة مؤكدة على عقل منظم جيدًا (Wallace ,H, Masters, 2001, 243).

٤. **فرز المتطلبات وتحديدها وترتيبها** التي يجب إنجازها أولاً ، ووضع نظام لأولوية المهام والأنشطة. قاعدة البريتو ٢٠- ٨٠، يجب أن يكون الشخص منظمًا ، ويجعل من ذلك عادة لديه وحقيقة في كل يوم ، فالتنظيم مفتاح النجاح (إليك ماكنزي ، ٢٠٠٠، ٣١٧).

٥. **خفض الأنشطة التي تبدد الوقت:** يقوم الأفراد بتبديد وقتٍ أكثرَ في ملاحقة الأمور التافهة ومتابعتها أكثر مما يتم استثماره في الأمور المفيدة ، كالمكالمات التليفونية، والزائرين المفاجئين، والأحاديث الشخصية الممتدة ، والإطالة فيما يمكن إيجازه، وعدم تنظيم الأشياء الشخصية مما يحتاج المزيد من الوقت للعثور عليها، واستغراق اللقاءات الخاصة أو المهنية وقتًا أكثر مما تتطلبه بالفعل (طريف شوقي محمد فرج، ٢٠٠٩م).

٦. **عدم التهاون في الأمور التي تهدر الوقت:** يجب على الفرد عدم التهاون في المواقف والأشخاص الذين يتطفلون على وقته الخاص، ويعني ذلك أنه

لن يكون أكثر الناس شعبية ، أو تحقيق النجاح في علاقات اجتماعية يصعب السيطرة عليها .

٧. **حدد معلوماتك بسرعة :** أظهرت البحوث أن تقصي المعلومات ومعالجتها يستغرق عشرين في المائة من وقتك.

٨. **وضع خطة للسيطرة على الوقت:** بحيث تلائم عمل الفرد وشخصيته ، وتقوم على معرفة كيفية تأثير الوقت على حياته، ويجب عليه الإبقاء على أهدافه أمام ناظريه والعمل من أجلها ليل نهار ،ويسيطر الإنسان على عمله عندما يقوم بما يجب أن يقوم به ، وكما يجب أن يقوم به، وفي الوقت الذي يجب أن يقوم به (مارسيل كوتيه،٢٠٠٢، ٧).

٩. **كسر عادة التسويف :** تأجيل تنفيذ المهام إغراء خبيث ووباء يصيب غالبية الأشخاص، فيجب التعرف على أسباب التأجيل، وكيفية تقييم العوائق أمام إغراءاته.

١٠. **استخدام أوقات الآخرين من أجل تحقيق الأهداف:** كلما كانت مسئولياتك أكبر كلما استحال عليك القيام بها بشخصك، يجب أن تحصل على مساعدة الآخرين لك عن طيب خاطر ، وتفوضهم في بعض المهام لإنجاز عملك .

١١. **الإبداع في استثمارالوقت:** يكون الأفراد مبدعين في البيئات التي تشجع على ذلك، وعلى العكس فمن غير المحتمل وجود مبدعين في بيئات لا تشجع ذلك، فيجب توجيه التجديد، والإبداع نحو توفير الوقت ؛ لأنهما لن يزدهرا إلا بالرعاية الدقيقة والمتضمنة وقتًا للتفكير المبدع، والتركيز على الأهداف المتعلقة بالوقت ، ومعرفة كيفية توليد الأفكار، وتقديم الاقتراحات لخلق أفكار بسرعة أكبر عبر " بنيامين فرانكلين " في معرض حديثه عن

أهمية التفكير الإبداعي بقوله:" أن تتوقف عن التفكير الإبداعي لا يختلف كثيرًا عن التوقف عن الحياة "(Lippitt,2002,37).

١٢. **استثمار الوقت بالعمل ببراعة وليس بالعمل الشاق:** يجب على الأشخاص استخدام التكنولوجيا الحديثة، بما فيها الهواتف الذكية، والبريد الإلكتروني، والفاكس.....إلخ جميعها في متناول أيديهم لمساعدتهم على إنجاز الكثيرمن المهام وبوقت أقل (ليستر آر. بيتل ، ١٩٩٩م).

مهارات كفاءة إدارة الوقت:

يتفق الباحث مع آمال باظة (٢٠٠٨م) في أن إدارة الوقت تُعد إدارة ذاتية لعلاقة الفرد بذاته، وعمله، ومهامه جميعها في مهارة شاملة ، حيث تشتمل على المهارات الفرعية التالية:

١. **مهارة التخطيط:** تشمل تحليل المهام المطلوبة من الفرد، وتوفير البيانات اللازمة حول كيفية استخدام الوقت المتاح للانتهاء من المهام أو حل المشكلات، بمعنى تحديد الأهداف، وزمن أدائها من خلال السجلات اليومية ، والأسبوعية، والشهرية (آمال عبد السميع باظة، ٢٠٠٨م).

٢. **مهارة التنظيم** : تعني التحديد الدقيق للأهداف المطلوبة وترتيب المهام والأولويات بدقة، ويتم وضع جداول زمنية بتنظيم المهام. ويجب تقسيم المهام إلى ثلاثة كالتالى:

- مهمة جدًا ، يجب تنفيذها على وجه السرعة.
- مهمة إلى حد ما ، يمكن أن تنتظر حتى تنجز.
- غير مهمة ، يمكن إنجازها حين يكون هناك متسع من الوقت)

(Belker & Topchick,2005 ، أي : ضرورة ترتيب المهام ترتيبًا

تنازليًا تبعًا لأهميتها، والبدء بأكثرها أهمية ؛ ومن ثم سيسهل الانتهاء منها بشكل أسرع ، وأدق أيضًا ، نظرًا للتركيزالمرتفع عليها .

٣. **مهارة التنفيذ:** هي تنفيذ ما تم تخطيطه وتنظيمه سابقًا .

٤. **مهارة المراقبة والمتابعة** : يُقصد بها متابعة التنفيذ، وتطبيق المعايير المحددة سلفًا ، ومدى الالتزام أو الانحراف عن الخطة والتقييم المستمر من تحليل، وتخطيط، ومتابعة، وقياس مدى التقدم في تنفيذ المهام ، والأهداف (آمال عبد السميع باظة، ٢٠٠٨م).

ثالثاً: مفهوم الصحة النفسية:

هناك تعاريف كثيرة للصحة النفسية ، ويتعامل كل تعريف مع جانب أو جوانب معينة من سلوك الفرد،ونظرًا لتعدد جوانب هذا السلوك تعددت وتشعبت تعاريف الصحة النفسية ، وأول من استخدم مصطلح الصحة النفسية العالم " أدولف ماير A. Mayer واستخدم هذا المصطلح للدلالة على نمو السلوك الشخصي، والاجتماعي نحو السواء ، وعلى الوقاية من الاضطرابات النفسية (حسام أحمد محمد أبو سيف، وأحمد محمد الناشري، ٢٠٠٩م).

وحدد انجلش وانجلش English& English, 1985 مفهوم الصحة النفسية في مصطلحين هما Mental Hygiene أي علم وفن الصحة النفسية، Mental Health أى حالة الصحة النفسية؛ فالصحة النفسية Mental Hygiene هي علم وفن المحافظة على الصحة النفسية وإنمائها إلى المستوى الأمثل . ويتضمن مفهوم الصحة النفسية هنا كل الإجراءات التي تهدف إلى الوقاية من الاضطرابات النفسية أو العقلية وإلى تحسين التوافق النفسي عند الأفراد وقدراتهم على إقامة علاقات منسجمة في المجتمع.وتعني الصحة النفسية Mental Health حالة ثابتة نسبياً

يتصف بها الفرد بالتوافق السليم ، ويتمتع بالشعور بمسرات الحياة ، ويكون محرزاً لتحقيق الذات. والصحة النفسية بذلك حالة إيجابية وليست مجرد الخلو من الاضطرابات النفسية أو العقلية (English& English, 1985) .

وعرف الباحثون الصحة النفسية على أنها " حالة عقلية انفعالية مركبة ، دائمة نسبياً يشعر فيها الانسان بالسعادة مع ذاته ، ومع الآخرين ، والشعوربالرضا والارتياح وسلامة العقل والإقبال على الحياة مع الشعور بالنشاط والحيوية (أحمد عبد الخالق، ١٩٩٣م؛ كمال إبراهيم مرسي، ١٩٩٥م).

عَرفت منظمة الصحة العالمية الصحة النفسية بأنها حالة من الرفاهية ، أو الهناء الجسمي ، والنفسي، والاجتماعي التام وليست مجرد غياب المرض أو العجز ، أو الضعف . وعُرفت أيضاً بأنها حالة من الإحساس الذاتي، والموضوعي لشخص ما تكون هذه الحالة موجودة عندما تكون مجالات النمو الجسدي والنفسي والاجتماعي للشخص متناسبة مع امكاناته، وقدراته، وأهدافه التي وضعها لنفسه (حسن عبد الفتاح الفنجري، ٢٠٠٦م).

كماعَرف العلماء الصحة النفسية بأنها الهناء، أو الرفاهية، أو السعادة النفسية ، أو التوافق الملائم ، وبخاصة إذا حقق التوافق في حد ذاته مستويات العلاقات الإنسانية المقبولة في المجتمع . ومن خصائص الصحة النفسية ما يلي: الاستقلالية المعقولة ، والاعتماد على النفس ، والتوجه الذاتي، والقدرة على القيام بعمل واتخاذ مهنة ، والقدرة على تحمل المسئولية، وبذل الجهد المطلوب، وإمكانية الاعتماد على الفرد، والإصرار، والقدرة على التعامل مع الآخرين والعمل معهم، والقدرة على العمل في ظل السلطة، والقوانين، والصعوبات، والقدرة على إظهار المودة والحب، والقدرة على العطاء والأخذ، والتسامح مع الآخرين، وتحمل الإحباط، والإحساس بالدعابة،

وتكريس الفرد جانباً من طاقاته لغيره، والقدرة على التوصل إلى ترويح عن النفس كما في الهوايات (أحمد عبد الخالق، وصلاح مراد، ٢٠٠١م).

كما يمكن النظر إلى الصحة النفسية على أنها حالة من التوافق النفسي والاجتماعي ، ويتضمن ذلك المعنى الإيجابي للصحة النفسية عدداً من المؤشرات، وهي: **الشعور بالراحة** النفسية والسعادة،**والخلو النسبي** من مظاهر الاضطراب السلوكي ، كالقلق، والاكتئاب، ومشاعر الضيق، **والكفاءة** في القيام بالأدوار الاجتماعية المختلفة، **وتقبل الذات** والآخرين، والقدرة على تكوين علاقات ملائمة مع الآخرين، **واتخاذ أهداف** واضحة سعياً لتحقيق الذات، والاستقلال المعرفي، والوجداني (عزة مبروك، ٢٠٠١؛ بسنت محمد مصطفى، ٢٠١٣ ؛ لمياء بكري أحمد ، ٢٠١٧: ٣٥).

ويُعرف **الشخص السوي نفسياً** بأنه الشخص المتوافق مع نفسه وبيئته، ويساير المطالب والأدوار الثقافية في مجتمعه. وقد تكون لديه إعاقات أو أمراض جسمية ، وإن كان ذلك لا يعوق طاقاته العقلية ، فضلًا عن استدلالاته ، وأحكامه، وقدراته على إقامة تكيف شخصي واجتماعي جيد وفعال ، فإنه يمكن أن يُعد سويًا من الناحية النفسية (Matthews& Cook,2008)

إن **الفرد المتمتع** بالصحة النفسية هو الذي **يشعر** بالرضا في معظم الظروف والمواقف ، **ولا يجعل** الضغوط تسيطر عليه ويستسلم لها، **ويتحمل** الإحباط ، **ويبحث عن** أفضل أساليب مواجهة الإحباطات، **ويبحث** دائمًا عن **الحلول** الجديدة والمبتكرة ليواجه بها مشاكله، **ويرحب** بمساعدة الآخرين، **وواثقًا** من نفسه ، **يتمتع** بالمرونة، **قادرًا على الاستمتاع** بالأشياء فى حياته ، **طموحًا** حتى في ظل العقبات والعوائق،

ودائمًا يرى الجوانب **الإيجابية** من الأشياء حتى في أصعب المواقف (آمنة سعيد حمدان، ٢٠٠١م : ٢).

أهمية الصحة النفسية : تتضمن ثلاث مستويات كالتالي :

١. **المستوى الفردي** : تساعد الفرد على : مواجهة احباطات ومشكلات الحياة ، والتعلم الجيد، واكتساب الخبرات، والتكيف والتوافق الاجتماعي ،وتدعيم علاقاته بالآخرين،وضبط انفعالاته، والنجاح في العمل، والتمتع بصحة جسمية جيدة، وشعوره بالسعادة والطمأنينة، كما تزيد من توافقه ونجاحه المهني، وزيادة كفاية الفرد وزيادة إنتاجيته (حسام أحمد محمد أبو سيف، وأحمد محمد الناشري، ٢٠٠٩م؛ وليد يوسف سرحان ، ٢٠١٣م).

٢. **المستوى المجتمعي** : نجد أن المجتمع يجني ثمار تمتع أفراده بالصحة النفسية كالتالى: تماسك المجتمع ، وزيادة التعاون والتكافل بين أفراده ، وزيادة الإنتاج وكفايته، وقلة المنحرفين والخارجين عن نظام المجتمع وقيمه وتقاليده، واختفاء الظواهر السلوكية والمرضية الشاذة (حسام أحمد محمد ، أحمد محمد الناشري، ٢٠٠٩ : ٤٤).

٣. **المستوى القومي** : كالتالي:

أ- تؤثر الصحة النفسية في نوعية حياة الفرد بشكل عام؛ فالفرد السوي نفسيا ، يكون متوافقاً في عمله، وبالتالي يؤثر في معدلات إنجازه في العمل، مما يؤثر إيجاباً على معدلات التنمية والدخل القومي للدولة (أشرف محمد علي شلبي، ٢٠١٢).

ب- تلعب الصحة النفسية دورًا مركزيًا ومهمًا في تطوير المجتمع ،واستقراره؛ وذلك لأن الأسر المستقرة السوية نفسيًا لديها أفضل الإمكانات لتدريب

الأبناء وضبط سلوكياتهم، وهؤلاء هم الذين يصبحون أعضاء فاعلين وقادة المجتمع في المستقبل؛ أي أنه يجب الحد من ارتفاع عدد حالات المضطربين نفسيًا (Ortese, P. T., & Tor-Anyiin, S. A.,2008).

ت- ارتفاع مستوى التحصيل الدراسي لأبناء الأسر التي تتمتع بمستويات مرتفعة من الصحة النفسية، وانخراطهم في أنشطة سلوكية سوية وإيجابية، وأخلاقية ؛ فضلًا عن ارتفاع مهاراتهم الاجتماعية ، مما يؤثِّر ايجابًا على الأمن القومي للبلاد (أشرف محمد علي شلبي، ٢٠١٢).

مؤشرات الصحة النفسية: هناك علامات تدل على الصحة النفسية ، ومؤشرات تشير إلى مظاهر سلوكية محددة ، إذا وجدت لدى الفرد يمكن وصفه بأنه يتمتع بدرجة مرتفعة من الصحة النفسية، وفيما يلي أهم هذه المظاهر: **الشعور** بالسعادة مع النفس والآخرين، **والتوافق** النفسي والاجتماعي، **والقدرة** على مواجهة الإحباطات،ومطالب الحياة، **والإقبال** على الحياة بوجه عام ، **والمرونة** والاستفادة من الخبرات السابقة ، و**تقبل** الفرد لحدود إمكانياته، **والقدرة** على العمل والإنتاج، **وتحمل** المسئولية، **وإشباعه** لدوافعه وحاجاته ، و**ثبات** اتجاهاته، **وإحترام** ثقافة المجتمع، **وقدرته** على تحقيق مطالب الجماعات التي يتعامل معها، **وحسن** الخلق، **والخلو** النسبي من الاضطرابات النفسية، كالوساوس، والمخاوف، والأرق الدائم، والحزن ، والتشاؤم، والأمراض العقلية (سهير كامل أحمد، ١٩٩٣م؛ مصطفى فهمي، ١٩٩٥م؛ مصطفى محمد الصفطي، ٢٠٠٠م).

البحوث والدراسات السابقة:

في حدود ما اطلع عليه الباحث أمكن التوصل لعدد من البحوث والدراسات المتعلقة بمتغيرات البحث كالتالي:

أشارت نتائج بعض البحوث والدراسات عن علاقة التفاؤل بالصحة النفسية والجسمية للأفراد منها : بحث أحمد عبد الخالق (١٩٩٨م – أ) على عينة من المراهقين مكونة من (١٤٧) من طلاب جامعة الكويت (١٣ ذكور ، و ١٣٤ إناث) إلى ارتباط موجب بين التفاؤل والصحة الجسمية العامة ، وارتباط سالب بين التفاؤل وكل من التشاؤم، والأعراض والشكوي الجسمية ، وكشف التحليل العاملي وجود تجمعين ارتباطين يجمعهما عامل واحد ثنائي القطب ، الأول : يتضمن التفاؤل والصحة، بينما يضم التجمع الثاني كل من : التشاؤم والأعراض الجسمية ، وقابل بين هذين التجمعين في عامل مستخرج واحد ثنائي القطب : التفاؤل والصحة، فى مقابل التشاؤم والأعراض الجسمية.وأظهرت نتائج بحث أحمد عبد الخالق (١٩٩٨م – ب) عن التفاؤل والتشاؤم وقلق الموت لدى عينة من المراهقين (١٢٥ طالباً، ١٤٥ طالبة) من طلاب جامعة الكويت أن التفاؤل يرتبط سلبياً مع كل من التشاؤم وقلق الموت لدى جميع أفراد العينة. وأجرى حسن عبد اللطيف ، ولولوة حمادة (١٩٩٨م) دراسة حول التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالإنبساط والعصابية على عينة من المراهقين (٢٢٠) طالباً وطالبة من طلاب جامعة الكويت، وكشفت النتائج عن وجود فروق دالة بين الجنسين في التفاؤل في اتجاه ارتفاعها نحو الذكور، بينما كانت الإناث أكثر تشاؤمًا . ووجود معامل ارتباط ايجابي بين التفاؤل والإنبساط ، وبين التشاؤم والعصابية ، كما ظهر ارتباط سلبي بين التفاؤل والعصابية ، وبين التشاؤم والإنبساط .كما قامت مايسة محمد شكري (١٩٩٩م) بدراسة حول التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بأساليب مواجهة المشقة لدى عينة من المراهقين بلغت (٢١٠) من طلاب الجامعة من الذكور (٨٥) ، والإناث (١٤٢). وأشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في التفاؤل والتشاؤم ، وكانت الإناث أكثر تشاؤمًا، والذكور أكثر

تفاؤلاً. كما أبرزت النتائج أن هناك علاقة ارتباط ايجابي بين التفاؤل وبعض أنماط المواجهة التي تركز على المشكلة، وبين التشاؤم وأنماط التجنب وبعض أساليب التركيز على الانفعالات.وهدفت دراسة عثمان محمود خضر(١٩٩٩م) إلى معرفة العلاقة بين التفاؤل والتشاؤم والأداء الوظيفي، ومدي تأثرها بالمتغيرات التالية: السن ، والنوع، والحالة الاجتماعية، والتعليمية على عينة من الراشدين تكونت من (١٥٠) من الذكور والإناث العاملين بشركة نفط الكويت ، بلغ متوسط أعمارهم (٢٩,٤) سنة . وأشارت النتائج إلى وجود علاقة طردية بين التفاؤل وكل من الدراية بالعمل ، وجودة العمل، ومعدل الإنتاج، والإنضباط بحصافة الرأي ، والتوجيه، والأداء بشكل عام، كما أبرزت النتائج أيضًا ارتباط التشاؤم عكسيا بكل متغيرات الأداء . وعدم وجود فروق بين الجنسين في التفاؤل والتشاؤم ، وعدم وجود فروق بين المتزوجين، ولا المستويات التعليمية في التفاؤل والتشاؤم ، إلا أن المتزوجين حصلوا على متوسطات أعلى في الدراية بالعمل ، وجودة العمل.وهدف بحث عويد سلطان المشعان (٢٠٠٠) إلى بحث العلاقة بين التفاؤل والتشاؤم والاضطرابات النفسية الجسمية وضغوط أحداث الحياة لدى المراهقين من طلبة الجامعة ، وتكونت عينة البحث من (٣١٩) طالبًا وطالبة (١٦٠ ذكور، و١٥٩ إناث) ، متوسط العمر (٢١,١٤ سنة) وانحراف معياري (١,٥٥)، وأظهرت النتائج وجود فروق بين الذكور والإناث في التفاؤل ، والإضطرابات النفسية الجسمية، كما اشارت النتائج إلى أن الذكور كانوا أكثر تفاؤلاً من الإناث، بينما الإناث أكثر اضطرابًا نفسيًا وجسميًا من الذكور، وعدم وجود فروق جوهرية بين الذكور والإناث في التشاؤم ، وضغوط الحياة، كذلك وجود ارتباط سلبي بين التفاؤل والتشاؤم ،ولا يوجد ارتباط سلبي جوهري بين التفاؤل والاضطرابات النفسية الجسمية وضغوط أحداث الحياة وعدم وجود

ارتباط موجب جوهري بين التشاؤم والإضطرابات النفسية الجسمية، وضغوط أحداث الحياة.وأظهرت نتائج بحث أحمد السيد إسماعيل (٢٠٠١) على عينة من المراهقين والراشدين تراوحت أعمارهم بين (١٩ – ٢٨ سنة) وجود علاقة ارتباط سالبة دالة بين التفاؤل وكل من : الشعور بالوحدة ، وقلق الموت، ومصدر الضبط الخارجي، ووجود علاقة ارتباطية موجبة دالة بين التشاؤم وكل من الشعور بالوحدة وقلق الموت ، ومصدر الضبط الخارجي، عدم وجود علاقة ارتباطية دالة بين التفاؤل والتشاؤم تعزى للوضع الاجتماعي والاقتصادي، وجود فروق دالة بين الذكور والإناث في التفاؤل لصالح الذكور، وعدم وجود فروق في التشاؤم ، وعدم وجود فروق في التفاؤل والتشاؤم نتيجة التفاعل بين العمر والجنس، كانت أكثر المتغيرات تنبؤًا بالتفاؤل هي على التوالي الشعور بالوحدة ، ووجهة الضبط ثم قلق الموت، أخيرًا الوضع الاجتماعي والاقتصادي.وقام فريح العنزي (٢٠٠١) بدراسة هدفت الكشف عن العلاقة بين التفاؤل، والرضا عن الحياة، والثقة بالنفس، والتوازن الوجداني، لدى عينة من المراهقين من طلاب جامعة الكويت بلغ قوامها (٤١٠) طالب وطالبة، وأشارت أهم النتائج إلى عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في التفاؤل . كما أشارت إلى وجود علاقة ارتباطية إيجابية بين التفاؤل، والرضا عن الحياة، والثقة بالنفس.أجري كل من : (Brissete ; Scheier &Carver,2002) بحثاً عن دورالتفاؤل في إقامة الشبكات الاجتماعية لدى عينة من المراهقين من طلاب الجامعة، وأوضحت النتائج ارتباط التفاؤل والتشاؤم بشبكة العلاقات الاجتماعية، والتوافق النفسي للفرد، حيث يسهم التمتع بالتفاؤل في زيادة إقامة شبكات اجتماعية لدى الأفراد، ووصولهم إلى مستويات من التوافق النفسي أعلى من الأفراد المتشائمين.كما أجرت نجوى اليحفوفي (٢٠٠٢م) بحثًا حول التفاؤل والتشاؤم وعلاقته ببعض المتغيرات

الاجتماعية الديموغرافية لدى عينة من المراهقين، والراشدين تراوحت أعمارهم بين (١٧ – ٢٥ سنة)، أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق جوهرية في التفاؤل والتشاؤم بين المسلمين والمسيحيين، والذكور، والإناث، وعدم وجود فروق بين الطلاب الحضريين والريفيين، وعدم وجود فروق بين مختلف الطبقات الاجتماعية في التشاؤم. وجود فروق جوهرية في التفاؤل بين أبناء الطبقة العليا، والوسطي، والعليا والفقيرة لصالح الطبقة العليا .وقام كل من: نجوى اليحفوفي، وبدر الأنصاري (٢٠٠٥م) بإجراء بحثٍ حول التفاؤل والتشاؤم: دراسة ثقافية مقارنة بين اللبنانيين والكويتين من المراهقين والراشدين ، تراوحت أعمارهم بين (١٧ – ٢٥ سنة). أوضحت النتائج وجود فروق جوهرية بين اللبنانيين والكويتيين ، تبين أن الكويتيين أكثر تفاؤلاً وتشاؤمًا من اللبنانيين ، وكشفت عن وجود فروق جوهرية بين النوع ، حيث تبين أن الذكور اللبنانيين أكثر تشاؤمًا من الإناث اللبنانييات ، في حين لم تظهر فروق جوهرية في التفاؤل. وجود فروق في العينة الكويتية حيث كان الذكور أعلى من الإناث في التفاؤل ، بينما لم تظهر فروق جوهرية بينهما في التشاؤم.وهدف بحث " باتربسون وزملاؤه (Peterson ,C;Ruch,W., Beermann,U.,Park.N.,& Seligman,M., 2007) إلى الكشف عن العلاقة بين جوانب التفكير الايجابي في الشخصية وكل من : السعادة والرضا عن الحياة، على عينة من المراهقين الأمريكيين (٢٤٣٩)،وعينة أخري من المراهقين السويسريين (٤٤٥)، وتوصلت النتائج إلى وجود ارتباط دال وموجب بين استراتيجيات التفكير الايجابي مثل القدرة على الحب،والأمل،وحب الاستطلاع،والتدفق، بكل من : السعادة والرضا عن الحياة؛ فضلاً كما أشارت النتائج أيضاً أن الامتنان يُعد جانبًا من جوانب التفكير الايجابي ارتبط بالرضا عن الحياة لدى العينة الأمريكية ، في حين

ارتبط الرضا عن الحياة لدى العينة السويسرية بالمثابرة كأحد جوانب التفكير الايجابي في الشخصية. كما تشابهت العينتان في التفاؤل، والتقبل الايجابي للآخرين، والبحث عن معنى للحياة كجوانب للتفكير الايجابي في الشخصية تؤدي للسعادة والرضا في الحياة. كما قامت شيماء عزت مصطفى (٢٠١٠م) بإجراء دراسة حول عزو الأسباب، التفاؤل و التشاؤم: متغيرات معدلة في العلاقة بين الضغوط والرضا الزواجي لدى عينة من الراشدين الذكور والإناث، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية: لا توجد فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في كل من التفاؤل، وانخفاض الرضا الزواجي ، وإدراك الضغوط. كما أشارت إلى وجود علاقة سالبة بين التفاؤل وانخفاض الرضا الزواجي لدى الذكور والإناث، ووجود قدرة تنبئية لإدراك الضغوط والعزو السلبي للأسباب بانخفاض الرضا الزواجي لدى الذكور، بينما توجد قدرة تنبئية للعزو السلبي للأسباب والتشاؤم بانخفاض الرضا الزواجي لدى الإناث. أجرى عبد الهادي محمد القحطاني (٢٠١٣م) بحثًا حول الضغوط النفسية وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم وبعض المتغيرات المدرسية لدى عينة من المراهقين من تلاميذ المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية، وتكونت عينة البحث من (٥٠٢ مشاركًا). وأشارت النتائج إلى وجود علاقة سلبية بين الضغوط النفسية والتفاؤل ،ووجود علاقة إيجابية بين الضغوط النفسية والتشاؤم .

وأظهرت البحوث والدراسات أن التفاؤل والمزاج الإيجابي ضروريان للصحة الجسمية، والنفسية ، وأن التفاؤل ، والمزاج الإيجابي يؤثران تأثيرًا إيجابيًا على الحالة الصحية للجسم ، ويسرعان بالشفاء في حال المرض. بينما وُجد أن التشاؤم المرتبط بكل من الغضب والعدائية ، يتسبب في مشكلات صحية كثيرة ، منها : ارتفاع ضغط الدم ، ومرض الشريان التاجي، والسرطان، كما يُنبئ التشاؤم بانخفاض كل من مستوى

الصحة ، والعمر المتوقع ، وارتفاع معدل الوفاة، وبطء الشفاء بعد اجراء العملية الجراحية ، كما أثبت الباحثون أن كفاءة جهاز المناعة تقوم بدور مهم كعامل وقائي ينشط عندما يواجه الفرد صعوبات الحياة للمرض (Segerstrom, Suzanne.C; Taylor, Shelley , E., ; Kemeny, Margaret, E; Fahey, John, L., 1998) . وأجرى جروه ويوربانكك Groh &Urbancic, 2015 بحثاً على عينة من السيدات الراشدات عن التأثير الخاص بتغيير نظام أسلوب الحياة على الصحة النفسية للسيدات البدينات الأمريكيات من أصل أفريقي، وهدف البحث إلى معرفة ما إذا كان نظام أسلوب الحياة المتضمن ممارسة تمارين رياضية، وإتباع نظام غذائي ، وارشادات تعليمية ، وقراءات معينة سوف تساعد هؤلاء السيدات ويؤثر بشكل إيجابي على الصحة النفسية لهن واستغرق النظام (٢٤ أسبوعًا) . من الأسبوع الأول إلى الأسبوع الثاني عشر كان يتم مقابلة المشاركات اللاتى بلغ عددهن (٥٥ سيدة) مرتين خلال الأسبوع بإجمالى (٤ ساعات) ، وتقوم خلالها المشاركات بممارسة التمارين الرياضية، وإتباع إرشادات تعليمية وقراءات معينة . ومن الأسبوع الثالث عشر إلى الأسبوع الرابع والعشرين تم ترك السيدات المشاركات بمفردهن ، ولكن تم تشجيعهن على ممارسة التمارين الرياضية ، وتناول الطعام الصحي. وأشارت النتائج إلى تحسن الصحة النفسية لديهن.

تعقيب عام على البحوث والدراسات السابقة:

من خلال العرض السابق للبحوث والدراسات السابقة نستطيع القول بـ :

- ❖ عدم وجود أي بحوث عربية تناولت متغيرات بحثنا – في حدود علم الباحث– سوى بعض البحوث التي تناولت متغيرات فرعية، ولم تتناول المشكلة تناولًا شاملًا ومنها بحث (أحمد عبد الخالق ، ١٩٩٨، أ – ب)، و(حسن عبد

اللطيف، ولولوة حمادة ، ١٩٩٨)، و(مايسة محمد شكري ، ١٩٩٩م)، و(عثمان محمود خضر،١٩٩٩م)، و(عويد سلطان المشعان ، ٢٠٠٠)، و(أحمد السيد إسماعيل ،٢٠٠١)، و(فريح العنزي، ٢٠٠١م)، (نجوى اليحفوفي ، ٢٠٠٢م) ، و (Brissete ; Scheier &Carver,2002) ، (نجوى اليحفوفي، وبدر الأنصاري ،٢٠٠٥م)، (عبد الهادي محمد القحطاني ٢٠١٣م).

- ❖ وأظهرت البحوث والدراسات أن التفاؤل والمزاج الإيجابي ضروريان للصحة الجسمية، والنفسية ، وأن التفاؤل والمزاج الإيجابي يؤثران تأثيرًا إيجابيًا على الحالة الصحية للجسم ، ويسرعان بالشفاء في حال المرض، بينما وُجد أن التشاؤم المرتبط بكل من الغضب والعدائية ، يتسبب في مشكلات صحية كثيرة ، منها : ارتفاع ضغط الدم ، ومرض الشريان التاجي، والسرطان، كما يُنبئ التشاؤم بانخفاض كل من مستوى الصحة ، والعمر المتوقع ، وارتفاع معدل الوفاة، وبطء الشفاء بعد اجراء العملية الجراحية ، كما أثبت الباحثون أن كفاءة جهاز المناعة تقوم بدور مهم كعامل وقائي ينشط عندما يواجه الفرد صعوبات الحياة للمرض (Segerstrom, Suzanne.C; Taylor, Shelley , E., ; Kemeny, Margaret, E; Fahey, John, L., 1998).
- ❖ تضاربت النتائج الخاصة بوجود فروق بين الذكور والإناث في التفاؤل والتشاؤم، حيث أشارت بعض نتائج البحوث إلى وجود فروق جوهرية في التفاؤل لصالح الذكور. بينما لم يصل التشاؤم إلى حد الدلالة كما في دراسات (حسن عبد اللطيف ، ولولوة حمادة (١٩٩٨م)، (أحمد اسماعيل، ٢٠٠١م).

- ❖ أظهرت نتائج بعض البحوث عدم وجود فروق في النوع في : التفاؤل والتشاؤم،(عثمان محمود خضر،١٩٩٩م)، (فريح العنزي، ٢٠٠١م)، و(شيماء عزت مصطفى،٢٠١٠م)
- ❖ أظهرت نتائج بعض البحوث وجود فروق في النوع في التفاؤل والتشاؤم كما في دراسة كل من : (مايسة محمد شكري ،١٩٩٩م)، (نجوى اليحفوفي، ٢٠٠٢م)، (نجوى اليحفوفي، وبدر الأنصاري ،٢٠٠٥م).
- ❖ يوجد تعارض في نتائج بعض البحوث التي اهتمت بوجود فروق بين الجنسين في التفاؤل والتشاؤم الأمر الذي يستدعي مزيدًا من البحوث لحسم هذا التضارب، وهذا ما سيحاول البحث الحالى الكشف عنه، ويعكس أيضاً أهمية إجراء هذا البحث سواء بالنسبة للمتغيرات، أو مرحلتى عينة البحث.

فروض البحث:من خلال استعراض مشكلة البحث ، والمفاهيم والأطر النظرية المفسرة لها، والبحوث والدراسات السابقة ، **وجد الباحث تعارض في نتائج البحوث مما دفع الباحث لصياغة بعض الفروض الصفرية للبحث** على الوجه التالي:

١. لا توجد فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات البحث (التفاؤل والتشاؤم- كفاءة إدارة الوقت – الصحة النفسية).
٢. لا توجد فروق دالة في التفاؤل والتشاؤم، وكفاءة إدارة الوقت ، والصحة النفسية بين الذكور، والإناث.
٣. يُمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من المراهقين والراشدين.
٤. يُمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من الذكور والإناث.

منهج البحث:

أولاً: التصميم المنهجي للبحث: يتبع البحث الحالى المنهج الارتباطي الوصفي والمقارن، حيث يقارن البحث بين مجموعتين من المراهقين ، والراشدين ، والذكور والإناث في متغيرات البحث.

ثانياً: العينة: تكونت العينة الكلية للبحث من: (٣٠٠) من المراهقين والراشدين ، كما الجدول التإلى:

جدول (١) نتائج المقارنة بين المراهقين والراشدين في العمر

متغيرات البحث	المراهقون ن (١٠٠)		الراشدون ن(٢٠٠)		قيمة ت	الدلالة
	م١	ع١	م٢	ع٢		
العمر	١٩,٨	١,٣	٣٣	٩,٧	-١٣,٤	٠,٠٠١**

جدول (٢) نتائج المقارنة بين الذكور والإناث في العمر

متغيرات البحث	الذكور ن (١٢٨)		الإناث ن(١٧٢)		قيمة ت	الدلالة
	م١	ع١	م٢	ع٢		
العمر	٣١,٦	١١,٢	٢٦,٣	٨,٦	٤,٦٢	أقل من ٠,٠٠١أ**

ثالثاً: الأدوات المستخدمة في البحث:

اعتمد الباحث على مجموعة المقاييس المتاحة ، والتي تلائم المتغيرات موضع البحث، وطبيعة العينة، وهي كالتإلى:

❖ المقياس العربي للصحة النفسية (إعداد : أحمد محمد عبد الخالق، ٢٠١٦م).

❖ مقياس التفاؤل والتشاؤم:

(إعداد: ديمبر، ومارتن ، وهامر Martin; Hummer, 1989 ; Dember . تعريب: مجدي محمد الدسوقي، ٢٠٠٢م)

❖ مقياس كفاءة إدارة الوقت (إعداد : آمال عبد السميع باظة ، ٢٠٠٨م).

١- **المقياس العربي للصحة النفسية (إعداد : أحمد محمد عبد الخالق، ٢٠١٦م).**

وصف المقياس وطريقة تصحيحه : تكون المقياس في صورته النهائية من (٤٠ بنداً) تشمل ستة أبعاد كالتالى : (الرضا، والثقة بالنفس، والتفاؤل، والفرح، والحياة ذات المعنى، والاستقرار)، وتُعد جميعها مؤشرات إيجابية للصحة النفسية، وتم صياغة كل البنود بصيغة الإثبات وليس النفي، لأنه لوحظ أن عدداً كبيراً من المبحوثين ، يواجهون مشكلات في فهم النفي المزدوج ، ويذكر " كارفر، وشاير " Carver& Scheier, 2000, 47)) " أن البنود المصاغة سلبياً ، تصبح عادة أصعب في فهمها ، أو تعد معقدة عند الإجابة عنها، أكثر من البنود المصاغة إيجابيًا وتتم الاستجابة على بنود المقياس من خلال مقياس خماسي للشدة يمتد من بين بدائل الاستجابات المتمثلة في : (لا – قليلاً– بدرجة متوسطة – كثيرًا– كثيرًا جدًا) من (١) : لا، إلى(٥) كثيرًا جدًا. وتتراوح الدرجة الكلية التي ربما يحصل عليها المبحوث بين (٤٠، و٢٠٠) ، وتشير الدرجة المرتفعة إلى صحة نفسية جيدة.وتُستخدم الدرجة الكلية بوصفها مقياسًا شاملًا للصحة النفسية (أحمد محمد عبد الخالق، ٢٠١٦).

الخصائص السيكومترية للمقياس :

ثبات المقياس: قام معد المقياس بحساب ثباته (عينة ثبات الاتساق تكونت من ٩٥٠ مشاركًا من : تلاميذ وتلميذات الثانوى، وطلاب وطالبات الجامعة ، وموظفون وموظفات، ومرضي ومريضات قلق واكتئاب) بطريقتي " ألفا كرونباخ " ، لفحص الإتساق الداخلى للمقياس، وإعادة التطبيق بهدف بيان استقرار المقياس عبر الزمن .

أ- **الاتساق الداخلي:** تراوحت معاملات ألفا كرونباخ بين (٠,٩٤، و ٠,٩٨)، وتشير إلى اتساق داخلى مرتفع للمقياس .

ب-**إعادة التطبيق** : تراوحت معاملات ارتباط بين (٠,٨٤، و ٠,٩٤)،وتدل على استقرار مرتفع عبر الزمن، وأن المقياس العربي للصحة النفسية، يقيس سمة وليس حالة.

صدق المقياس: تم حساب صدق المقياس بثلاث طرق:

أ- *الصدق الاتفاقي Convergent Validity :* يقصد به تقدير إلى أي مدى يرتبط المقياس، بمقاييس أخرى تقيس مفاهيم مشابهة (أنظر Aiken& Groth-Marnat,2006,p.102; Weiner& Greene,2008,p.55) تم حساب الارتباط بين المقياس العربي للصحة النفسية، والاستخبارات التي تقع في مجال علم النفس الإيجابي، وهي ستة كالتالى: استخبار أكسفورد للسعادة (Hills&Argyle,2002)، ومقياس الرضا عن الحياة (Diener,Emmons,Larsen&Griffin,1985)، ومقياس " سنايدر" للأمل (Abdel- khalek&Snyder,2007) ، والمقياس العربي للتفاؤل (أحمد عبد الخالق، ١٩٩٦)، ومقياس حب الحياة Abdel-

(khalek,2007)، ومقيـــاس تحقيـــق الـــذات (Jones&Crandall,1986). وتـم تطبيـق المقـاييس السـبعة علـى (١٢٥ مشـاركاً مـن طـلاب وطالبـات الجامعـة . جميـع معـاملات الارتبـاط بـين المقياس الحالى ومقاييس علم النفس الإيجابي الستة جميعها دالة أحصائيًا وموجبـة، وتراوحـت بـين (٠,٤٦ مقيـاس تحقيـق الـذات) ، (٠,٨٣ مقيـاس التفـاؤل)، واسـتخرج عامـل عـام ، ُسمى: الصـحة النفسـية والسـعادة، وكـان تشبع المقياس العربي بهذا العامل مرتفعاً (٠,٩٤) مما يشير إلى الصدق الاتفاقي المرتفع لهذا المقياس.

ب-*الصدق الاختلافي Divergent Validity:* يفترض الصدق الاختلافي أن المقياس العربي يرتبط ارتباطًا دالًا إحصائيًا وسالبًا بالمقاييس التي تقيس مفـاهيم مضـادة . وللتحقـق مـن ذلـك تـم حسـاب معـاملات الارتبـاط بـين المقيـاس الحـالى وبعـض المقـاييس وهـي: مقيـاس جامعـة الكويـت للقلـق، والمقياس العاملي العربي للعصابية، وقائمة الأعراض والشكاوي الجسمية، والمقياس العربي للقلق. واتضح أن جميع معاملات الارتباط بين المقياس العربي للصحة النفسية ، وبقية المقاييس دالة إحصائيًا وسالبة، وتراوحت بـين (-٠,٤٣ ، و-٠,٦٦)، وتشـير للصـدق الاختلافـي للمقيـاس العربـي للصـحة النفسـية، واسـتخرج عامـل ثنـائي القطـب سـمي الاضـطراب النفسـي مقابل الصـحة النفسية، وتشبع مقيـاس الصـحة النفسية بهذا العامل تشبعًا مرتفعًا (-٠,٧٦)، مما يشير إلى صدق هذا المقياس (أحمد عبد الخالق، ٢٠١٦م).

ت-*الصدق التمييزي Discriminant Validity :* يعتمد الصدق التمييزي على افتراض مفاده أن الدرجات على مقياس ما، تختلف اختلافاً دالاً إحصائياً بين المجموعات المحكمية Criterion Group ، كالأسوياء والمرضي، وتم اختبار هذا الافتراض ، تم تطبيق المقياس العربي للصحة النفسية على مجموعة الأسوياء، ومجموعة أخرى من المضطربين نفسيًا المتقدمين إلى عيادات الطب النفسي،طلبًا للعلاج، وكان تشخيصهم: القلق والاكتئاب. وكانت المجموعتين متقاربتين في السن، والتعليم، والحالة الاجتماعية. اتضح أن الفروق بين الأسوياء والمرضي النفسيين دالاً إحصائيًا بمستوى مرتفع (٠,٠٠٠١) ، ويدل ذلك على الصدق التمييزي المرتفع للمقياس الحالى (أحمد محمد عبد الخالق، ٢٠١٦م).

الخصائص السيكومترية للمقياس في البحث الحالى:

تقدير ثبات المقياس في البحث الحالى: قام الباحث بحساب ثبات المقياس بطريقتين هما: معامل ألفا كرونباخ ، القسمة النصفية على العينة الكلية واعتمد الباحث على معامل سبيرمان براون نظراً لتساوى نصفي الاختبار.

جدول (٣) معاملات ثبات ألفا كرونباخ والقسمة النصفية

معامل الثبات	ألفا كرونباخ	القسمة النصفية
المقياس العربي للصحة النفسية	٠,٩٤	٠,٩٠

من خلال الجدول السابق الذي يشير إلى ارتفاع معامل الثبات مما يوضح أن المقياس يتسم بدرجة كبيرة من الثبات.

تقدير الاتساق الداخلي: قام الباحث بحساب الاتساق الداخلي على العينة الكلية عن طريق الارتباط بين درجة كل بند ودرجة البعد، والارتباط بين درجة البعد والدرجة الكلية للمقياس كالتالى:

جدول (٤) معاملات الارتباط بين بنود الاختبار مع درجة كل بعد

البنود	الرضا		البنود	الثقة بالنفس		البنود	الحياة ذات المعنى	
	الارتباط	الدلالة – أقل من ٠,٠٠١		الارتباط	الدلالة أقل من ٠,٠٠١		الارتباط	الدلالة أقل من ٠,٠٠١
١	٠,٥٩	**	٢	٠,٦٧	**	٢٨	٠,٦٨	**
٢	٠,٦٥		١٢	٠,٦٣	**	٢٩	٠,٦٦	**
٣	٠,٦٩	**	١٦	٠,٦٩	**	٣٣	٠,٧٦	**
٤	٠,٦٦	**	١٩	٠,٦٤	**	٣٤	٠,٧٠	**
٧	٠,٦٢	**	٣٥	٠,٦٤	**	٤٦	٠,٦٩	**
٨	٠,٦٧	**	٤١	٠,٦٣	**	الاستقرار		
١٥	٠,٦٣	**	٤٤	٠,٦٦	**	١٢	٠,٥٧	**
١٦	٠,٦٨	**	٤٧	٠,٦١	**	١٥	٠,٦٣	**
	التفاؤل			الفرح		١٧	٠,٦٦	**
٥	٠,٧٥	**	٧	٠,٦٧	**	٢٣	٠,٦١	**
٩	٠,٧٨	**	٨	٠,٦٦	**	٣٩	٠,٦٤	**
٢٠	٠,٧٠	**	١١	٠,٧٠	**	٤٠	٠,٦٠	**
٢٥	٠,٧٧	**	١٤	٠,٥٣	**	٤٢	٠,٥٨	**
٣٦	٠,٧٢	**	٢٦	٠,٧٢	**			

٣٧	٠,٦٣	**	٢٧	٠,٩٣	**			
			٤٨	٠,٥٩	**			

(*) دالة عند مستوى ٠,٠٥ (**) دالة عند مستوى ٠,٠١

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن معاملات ارتباط البنود الفرعية بالأبعاد مرتفعة مما يشير إلى اتساق داخلي مرتفع للمقياس.

جدول (٥) معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية للمقياس

الابعاد / معامل الارتباط	الرضا	الثقة بالنفس	التفاؤل	الفرح	الحياة ذات المعنى	الاستقرار
معامل الارتباط	٠,٨٩**	٠,٨٤**	٠,٨١**	٠,٨٦**	٠,٧٨**	٠,٨٦**

من خلال الجدول السابق نستطيع القول بأن هناك اتساق داخلي كبير بين درجة كل بعد مع الدرجة الكلية للمقياس العربي للصحة النفسية.

٢- **مقياس التفاؤل والتشاؤم :**

(إعداد: ديمبر، ومارتن ، وهامر Dember ; Martin; Hummer, 1989 .

تعريب : مجدي محمد الدسوقي، ٢٠٠٢م) :

أ- وصف المقياس:

أعد المقياس ديمبر، ومارتن ، وهامر(Martin; Hummer, 1989 ; Dember)، لقياس التفاؤل والتشاؤم، ويتكون المقياس من (٥٦) ست

وخمسين عبارة ، تتضمن : (١٨) عبارة لقياس التفاؤل، و(١٨) لقياس التشاؤم ، بالإضافة إلى (٢٠) عبارة مكررة بصيغ أخري لكي تخفي الغرض من المقياس ، ويجيب المشارك على كل عبارة بإجابة واحدة من بين أربعة اختيارات (أوافق تمامًا، أوافق، لا أوافق ، لا أوافق مطلقًا).

قام بتعريب المقياس مجدي محمد الدسوقي على عينة من تلاميذ وتلميذات المرحلة الثانوية ، وطلاب وطالبات الجامعة ، والراشدون والراشدات.

ب-**طريقة التصحيح:** وضعت أوزان متدرجة كالآتي: أوافق تمامًا (٤) ، أوافق (٣)، لا أوافق (٢)، لا أوافق مطلقاً (١)، ويستخدم الجمع الجبري في حساب الدرجة الكلية التي يحصل عليها المفحوص على كل مقياس فرعي على حده ، وحيث أن عبارات كل مقياس (١٨) ، والاختيارات هي أربعة ، فتكون الدرجة الدنيا (١٨)، والدرجة العليا (٧٢).

ت-**الخصائص السيكومترية للمقياس:**

عينة التقنين: تم تطبيق المقياس على عينة قوامها (١٠٠٠) فردًا من الجنسين ، وقد شملت العينة ثلاث مستويات عمرية، **الأولى:** (٣٠٠) طالب امتدت أعمارها الزمنية من (١٥- ١٧ سنة) وتمثل المرحلة الثانوية وهي مرحلة المراهقة المتوسطة، **والثانية:** (٤٠٠) طالب وطالبة تراوحت أعمارهم من (١٨- ٢١ سنة) من طلاب وطالبات الجامعة، وتمثل مرحلة المراهقة المتأخرة، والثالثة: (٣٠٠) وتراوحت أعمارهم من (٢٣ – ٥٥ عاما)، وتمثل عينة الراشدين والراشدات.

صـدق المقيـاس: تـم اسـتخدام ثـلاث أنـواع مـن الصـدق، هـي: الصـدق التلازمي، والصدق البنائي أو التكويني، والصدق التقاربي، ونوضح ذلك فيما يلي:

- **الصـدق التلازمـي:** تـم حسـاب معـاملات الارتبـاط بـين درجـات أفـراد عينـة التقنين على المقياس الحالى، ودرجاتهم على القائمة العربية للتفاؤل والتشاؤم إعداد أحمد عبد الخالق، واتضح أن معاملات الارتباط الناتجة موجبة ودالة إحصـائيًا عنـد مسـتوى (٠,٠١) ، ممـا يشـير إلـى صـدق تلازمـي مرتفـع للمقياس.
- **الصـدق البنـائي أو التكـويني:** تـم حسـاب ارتبـاط درجـة كـل بنـد مـن بنـود المقيـاس بالدرجـة الكليـة علـى بقيـة البنـود بعـد اسـتبعاد قيمـة هـذا البنـد مـن الدرجـة الكليـة (مـرة للمقيـاس الفرعـي للتفاؤل، ومـرة أخـري للمقيـاس الفرعـي للتشاؤم). واتضح أن جميع معاملات الارتباط دالة إحصائيًا عند مستوى (٠,٠١)، مما يشير إلى اتساق المقياس ، وصدق محتواه (بنوده) في قياس ما وضع لقياسه، مما يعنى أن المقياس يتسم باتساق داخلى مرتفع.

الصدق التقاربي: يُقصد بالصدق التقاربي أن المقياس يرتبط بدرجة عالية بغيره من المتغيرات التي يجب أن يرتبط بها نظريًا (Anastasi, 1988,156).وبناءً على ذلك تم حساب معاملات الارتباط بين درجات أفراد عينة التقنين على المقياس الحالى، وبين درجاتهم على المقياس العربي للوسواس القهري إعداد: أحمد عبد الخالق(١٩٩٢م)، ومقياس الاستحسان الاجتماعي إعداد:علاء الدين كفافي (١٩٨٤م)، ومقياس الثقة بالنفس إعداد: عادل عبد الله محمد (١٩٩٧م) ، ومقياس القلق المتضمن في

استخبار وصف الشخصية إعداد : مصري حنورة (١٩٩٧م). اتضح وجود ارتباط سلبي بين التفاؤل وكل من: الوسواس القهري، والقلق، وبين التشاؤم وكل من: الاستحسان الاجتماعي، والثقة بالنفس، ووجود ارتباط إيجابي بين التفاؤل وكل من: الاستحسان الاجتماعي، والثقة بالنفس، وبين التشاؤم وكل من: الوسواس القهري، والقلق، لدى جميع أفراد عينة التقنين. وتبرهن هذه النتائج على الصدق التقاربي لمقياس التفاؤل والتشاؤم(مجدي محمد الدسوقي ، ٢٠٠٢م).

ثبات المقياس: تم حساب الثبات بطريقتين هما:

- *طريقة إعادة الاختبار* (كانت معاملات الارتباط الناتجة موجبة ودالة عند مستوى ٠,٠١) مما يشير لتوفر شرط الثبات للمقياس.
- *طريقة ألفا كرونباخ* (اتضح أن جميع معاملات الارتباط مرتفعة ودالة عند مستوى دلالة ٠,٠١)، مما يشير لتمتع المقياس بقدر طيب من الثبات (مجدي محمد الدسوقي، ٢٠٠٢م).

الخصائص السيكومترية للمقياس في البحث الحالي:

تقدير ثبات المقياس: قام الباحث بحساب ثبات المقياس بطريقتين هما: معامل ألفا كرونباخ ، القسمة النصفية على العينة الكلية واعتمد الباحث على معامل ارتباط سبيرمان براون نظرًا لتساوى نصفي الاختبار.

جدول (٦) معاملات ثبات ألفا كرونباخ والقسمة النصفية

معامل الثبات	التفاؤل	التشاؤم
ألفا كرونباخ	٠,٧٢	٠,٧٤
القسمة النصفية	٠,٧٢	٠,٧١

نلاحظ من خلال الجدول السابق الذي يشير إلى ارتفاع معامل الثبات مما يوضح أن المقياس يتسم بدرجة كبيرة من الثبات.

تقدير الاتساق الداخلي: قام الباحث بحساب الاتساق الداخلي على العينة الكلية عن طريق الارتباط بين درجة كل بند والدرجة الكلية للُبعد ، كالتالي:

جدول (٧) معاملات الارتباط بين بنود المقياس الفرعي للتفاؤل، والمقياس الفرعي للتشاؤم مع الدرجة الكلية على بقية البنود

البنود	التفاؤل		البنود	التشاؤم	
	معامل الارتباط	الدلالة		معامل الارتباط	الدلالة
٧	٠,٢٩**	أقل من ٠,٠٠١	٢	٠,٢٩**	أقل من ٠,٠٠١
١١	٠,٢٥**	أقل من ٠,٠٠١	٤	٠,٤١**	أقل من ٠,٠٠١
١٢	٠,٢٣**	أقل من ٠,٠٠١	٥	٠,٤٩**	أقل من ٠,٠٠١
١٥	٠,٠٧	٠,١٩	٨	٠,٦٢**	أقل من ٠,٠٠١
١٧	٠,١٧**	٠,٠٠٣	١٠	٠,٤٠**	أقل من ٠,٠٠١
١٩	٠,٢٩**	أقل من ٠,٠٠١	١٤	٠,٦٠**	أقل من ٠,٠٠١
٢١	٠,١٠	٠,٠٥	٢٠	٠,٥٢**	أقل من ٠,٠٠١
٢٣	٠,١٢*	٠,٠٢	٢٤	٠,٤٣**	أقل من ٠,٠٠١
٢٨	٠,١١*	٠,٠٤	٢٦	٠,٥٥**	أقل من ٠,٠٠١
٢٩	٠,٢٧**	أقل من ٠,٠٠١	٣١	٠,٢٩**	٠,٠٠٢
٣٣	٠,٢٤**	أقل من ٠,٠٠١	٣٤	٠,٥٩**	أقل من ٠,٠٠١
٣٧	٠,٢٠**	أقل من ٠,٠٠١	٣٦	٠,٢٧**	أقل من ٠,٠٠١
٣٨	٠,١٨**	٠,٠٠١	٣٩	٠,٣٥**	أقل من ٠,٠٠١
٤٣	٠,١٦**	٠,٠٠٤	٤٢	٠,٤٩**	أقل من ٠,٠٠١

٤٦	٠,٠٠٧	٠,٩٠	٤٤	**٠,٤٩	أقل من ٠,٠٠١
٤٧	**٠,١٦	٠,٠٠٤	٤٩	**٠,٣٢	أقل من ٠,٠٠١
٥٢	**٠,٣٥	أقل من ٠,٠٠١	٥١	**٠,٤٣	أقل من ٠,٠٠١
٥٦	*٠,١٣	٠,٠١	٥٤	**٠,٣٨	أقل من ٠,٠٠١

(*) دالة عند مستوى ٠,٠٥ (**) دالة عند مستوى ٠,٠١

٣- **مقياس كفاءة إدارة الوقت (إعداد : آمال عبد السميع باظة ، ٢٠٠٨م).**

وصف المقياس: يتكون من (٦٤) بندًا مقسمة إلى أربع أبعاد تمثل مهارات الوقت الفرعية التي تُمثل في مجموعها كفاءة إدارة الوقت كالتالي: مهارة التخطيط (١٦) بندًا، ومهارة التنظيم (١٦) بندًا، ومهارة التنفيذ (١٦) بندًا ، ومهارة المتابعة والمراقبة (١٦) بندًا.

طريقة التصحيح: تقع الاستجابات على الاختبارات في اختيارات أربعة (إطلاقًا- نادرًا- أحيانًا- دائمًا) (صفر - ١- ٢- ٣)، وبذلك يتم تحديد ثلاثة مستويات للإجابة بالدرجات كالتالي: (صفر - ٧٣) مستوى منخفض، و(٧٤- ١٤٧) مستوى متوسط، و(١٤٨- ٢٢٢) مستوى مرتفع، وذلك بالنسبة للدرجة الكلية.

وبالنسبة لتقدير المستويات الثلاثة لكل بعد كالتالي:

- ❖ بُعد مهارة التخطيط : (صفر- ٢١) مستوى منخفض، (٢٢-٤٣) مستوى متوسط ، و(٤٤-٦٦) مستوى مرتفع.
- ❖ بُعد مهارة التنظيم : (صفر- ١٤) مستوى منخفض، (١٥-٢٩) مستوى متوسط ، و(٣٠-٤٥) مستوى مرتفع.
- ❖ بُعد مهارة التنفيذ : (صفر- ٢٢) مستوى منخفض، (٢٣-٤٥) مستوى متوسط ، و(٤٦-٦٩) مستوى مرتفع.

❖ بُعد مهارة المتابعة : (صفر- ١٤) مستوى منخفض، (١٥-٢٩) مستوى متوسط ، و(٣٠-٤٥) مستوى مرتفع.

أ- **ثبات الاختبار:** قامت معدة الاختبار بحساب الثبات بإعادة تطبيقه ووصل معامل الثبات (٠,٨١) في الدرجة الكلية للاختبار والأبعاد الفرعية كالتالي: التخطيط (٠,٧٧)، والتنظيم (٠,٨٣)، والتنفيذ (٠,٧٦)، والمتابعة (٠,٨٢).

ب-**الاتساق الداخلي:** وهي حساب ارتباط درجة البُعد الفرعي بالدرجة الكلية للاختبار كالتالي : التخطيط (٠,٨١)، والتنظيم (٠,٧٩)، والتنفيذ (٠,٧٣)، والمتابعة (٠,٧٦).

ت-**صدق الاختبار:** تم حساب الصدق بطريقتين : صدق المحكمين: تم عرض الاختبار على عدد من الأساتذة المتخصصين عددهم (٨) للحكم على صلاحية البنود لقياس كل مهارة على حده، ثم صلاحية المهارات الفرعية لقياس كفاءة إدارة الوقت ثم مناسبتها .

ث-**صدق المحك:** تم حساب معامل الارتباط مع اختبار مهارات إدارة الوقت اعداد فوقية محمد راضي ووصل معامل الارتباط بين الاختبارين في الدرجة الكلية (٠,٨١).

الخصائص السيكومترية للاختبار في البحث الحالي:

تقدير ثبات الاختبار: قام الباحث بحساب ثبات الاختبار بطريقتين هما: معامل ألفا كرونباخ ، القسمة النصفية على العينة الكلية واعتمد على معامل ارتباط سبيرمان براون نظرًا لتساوى نصفي الاختبار.

جدول (٨) معاملات ثبات ألفا كرونباخ والقسمة النصفية

الابعاد / معامل	التخطيط	التنظيم	التنفيذ	المتابعة

الثبات				
ألفا كرونباخ	٠,٧٧	٠,٨٣	٠,٧٨	٠,٨٣
القسمة النصفية	٠,٧٢	٠,٨١	٠,٧١	٠,٨٠

نلاحظ من خلال الجدول السابق الذي يشير إلى ارتفاع معامل الثبات مما يوضح أن الاختبار يتسم بدرجة كبيرة من الثبات.

تقدير الاتساق الداخلي: قام الباحث بحساب الاتساق الداخلي على العينة الكلية عن طريق الارتباط بين البند ودرجة البعد ، والارتباط بين درجة البعد والدرجة الكلية للاختباركالتالي:

جدول (٩) معاملات الارتباط بين بنود الاختبار مع درجة كل بعد

البنود	التخطيط		البنود	التنظيم		البنود	التنفيذ		البنود	المتابعة	
	الارتباط	الدلالة – اقل من ٠,٠٠١		الارتباط	الدلالة اقل من ٠,٠٠١		الارتباط	الدلالة اقل من ٠,٠٠١		الارتباط	الدلالة اقل من ٠,٠٠١
١	٠,٣٨	**	١٧	٠,٥١	**	٣٣	٠,٦٠	**	٤٩	٠,٦٢	**
٢	٠,٥٦		١٨	٠,٥٧	**	٣٤	٠,٥٤	**	٥٠	٠,٣٣	**
٣	٠,٤٨	**	١٩	٠,٥٠	**	٣٥	٠,٤٢	**	٥١	٠,٥٧	**
٤	٠,٤٥	**	٢٠	٠,٣٢	**	٣٦	٠,٤٩	**	٥٢	٠,٥٩	**
٥	٠,٥٧	**	٢١	٠,٥٠	**	٣٧	٠,٥٩	**	٥٣	٠,٦٢	**
٦	٠,٥٤	**	٢٢	٠,٤٩	**	٣٨	٠,٥٩	**	٥٤	٠,٤٣	**
٧	٠,٤٥	**	٢٣	٠,٥٩	**	٣٩	٠,٣٩	**	٥٥	٠,٥٣	**
٨	٠,٤٥	**	٢٤	٠,٦٤	**	٤٠	٠,٣٢	**	٥٦	٠,٣٨	**
٩	٠,٤١	**	٢٥	٠,٥٣	**	٤١	٠,٥٢	**	٥٧	٠,٥٩	**
١٠	٠,٥٤	**	٢٦	٠,٥٩	**	٤٢	٠,٥٥	**	٥٨	٠,٥٤	**

١١	٠,٦٣	**	٢٧	٠,٥٨	**	٤٣	٠,٥٨	**	٥٩	٠,٤٦	**
١٢	٠,٤٩	**	٢٨	٠,٥٧	**	٤٤	٠,٥٢	**	٦٠	٠,٦٦	**
١٣	٠,٤٣	**	٢٩	٠,٥٧	**	٤٥	٠,٥١	**	٦١	٠,٦٢	**
١٤	٠,٣٣	**	٣٠	٠,٥٥	**	٤٦	٠,٤٧	**	٦٢	٠,٦٥	**
١٥	٠,٤٤	**	٣١	٠,٦٢	**	٤٧	٠,٤٥	**	٦٣	٠,٥٢	**
١٦	٠,٤٨	**	٣٢	٠,٤٧	**	٤٨	٠,٢٥	**	٦٤	٠,٤٦	**

(*) دالة عند مستوى ٠,٠٥ (**) دالة عند مستوى ٠,٠١

من خلال الجدول السابق نستطيع القول بأن هناك اتساق داخلى كبير بين البنود الفرعية مع كل بعد

جدول (١٠) معاملات الارتباط بين الأبعاد الفرعية والدرجة الكلية للاختبار

الابعاد / الارتباط	التخطيط	التنظيم	التنفيذ	المتابعة
معامل الارتباط	**٠,٧٨	**٠,٨٩	**٠,٨٢	**٠,٨٤

من خلال الجدول السابق نستطيع القول بأن هناك اتساق داخلى كبير بين درجة كل بُعد مع الدرجة الكلية للاختبار.

نتائج البحث:

أولاً: نتائج الفرض الأول : الذي يشير إلى أنه " لا توجد فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات البحث (التفاؤل والتشاؤم- كفاءة إدارة الوقت – الصحة النفسية).

جدول (١١) نتائج المقارنة بين المراهقين والراشدين في متغيرات البحث

متغيرات البحث	المراهقون ن (١٠٠)	الراشدون ن(٢٠٠)	قيمة ت	الدلالة

	م١	ع١	م٢	ع٢		
التفاؤل	٢١,١٤	٥	٢١,١٩	٤,٩	-٠,٠٨٢	٠,٩٣
التشاؤم	٤٣	٧,٦	٤٢,٤	٦,٣	٠,٧٦	٠,٤٤
التخطيط	٢٤,٤	٦,٦	٢٥,٣	٨	-٠,٩٨	٠,٣٢
التنظيم	٢٧,٨	٧,٤	٣٠	٨,٤	-٢,٢١	*٠,٠٢
التنفيذ	٢٩	٦,٧	٣٠,٨	٦,٩	-٢,٠٧	*٠,٠٣
المتابعة	٢٧	٧,٨	٢٨,٧	٨	-١,٧	٠,٠٧
الدرجة الكلية للوقت	١٠٨,٤٦	٢٤,٢	١١٥,٠٦	٢٦,٣	-٢,١٠	*٠,٠٣
الرضا	٢٧,٦	٥,٥	٢٨,٤	٥,٥	-١,١١	٠,٢٦
الثقة بالنفس	٢٨,٧	٥,٧	٢٩,٨	٥,٤	-١,٧	٠,٠٩
التفاؤل	٢١,١٤	٥	٢١,١٩	٤,٩	-٠,٠٨	٠,٩٣
الفرح	٢٣,٩	٥	٢٤,٣	٤,٨	-٠,٧٣	٠,٤٦
الحياة ذات المعنى	١٧,٢	٣,٧	١٨,٢	٤	-١,٩	*٠,٠٥
الاستقرار	٢٢,٤	٤,٧	٢٣,٣	٤,٧	-١,٤	٠,١٥
الدرجة ك للصحة النفسية	١٤١,٢١	٢٥,٢	١٤٥,٣٩	٢٥,١	-١,٣٥	٠,١٧

(*) دالة عند مستوى ٠,٠٥ (**) دالة عند مستوى ٠,٠١

من خلال الجدول السابق نستطيع القول أنه :

- توجد فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات : مهارة التنظيم، ومهارة التنفيذ ، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت،والحياة ذات المعنى عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في اتجاه ارتفاعها نحو الراشدين.
- على الرغم من وجود فروق في متغيرات: التفاؤل، والتشاؤم، والتخطيط، والمتابعة ، والرضا، والثقة بالنفس، والتفاؤل، والفرح، والاستقرار والدرجة

الكلية للصحة النفسية، في اتجاه ارتفاعها نحو الراشدين إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الدلالة الإحصائية، وبذلك يكون الفرض قد تحقق بشكل جزئي.

ثانياً: نتائج الفرض الثاني : الذي يشير إلى أنه " لا توجد فروق دالة في التفاؤل و التشاؤم، وكفاءة إدارة الوقت، والصحة النفسية بين الذكور، والإناث ".

جدول (١٢) نتائج المقارنة بين الذكور والإناث في متغيرات البحث

متغيرات البحث	الذكور ن (١٢٨)		الإناث ن(١٧٢)		قيمة ت	الدلالة
	م١	ع١	م٢	ع٢		
التفاؤل	٢١,٥	٥	٢٠,٨	٤,٨	١,١٩	٠,٢٣
التشاؤم	٤١,٧	٦,٢	٤٣,٢	٧,١	-١,٩٧	*٠,٠٤
التخطيط	٢٥,٢	٧,٧	٢٤,٩	٧,٤	٠,٣٧	٠,٧٠
التنظيم	٣٠	٧,٩	٢٨,٧	٨,٣	١,٣٦	٠,١٧
التنفيذ	٣٠,٣٩	٧,١	٣٠,١٤	٦,٨	٠,٣٠	٠,٧٦
المتابعة	٢٨,٨	٧,٦	٢٧,٦	٨,١	١,٢٨	٠,١٩
الدرجة الكلية للوقت	١١٤,٦٢	٢٥,٥	١١١,٥٥	٢٥,٩	١,٠٢	٠,٣٠
الرضا	٢٨,٦	٥,٥	٢٧,٨	٥,٥	١,٢٥	٠,٢١
الثقة بالنفس	٣٠,٢	٥,٧	٢٨,٩	٥,٢	٢,١٧	*٠,٠٣
التفاؤل	٢١,٥	٥	٢٠,٨	٤,٨	١,١٩	٠,٢٣
الفرح	٢٤,٢٠٣	٤,٧	٢٤,٢٤٤	٥	-٠,٠٧	٠,٩٤
الحياة ذات المعنى	١٨,١	٣,٨	١٧,٧	٤,١	٠,٩٣	٠,٣٥
الاستقرار	٢٣,٤	٤,٧	٢٢,٧	٤,٧	١,٢٩	٠,١٩
الدرجة ك للصحة النفسية	١٤٦,٣٠	٢٤,٨	١٤٢,٢٨	٢٥,٣	١,٣٦	٠,١٧

(*) دالة عند مستوى ٠,٠٥ (**) دالة عند مستوى ٠,٠١

من خلال الجدول السابق نستطيع القول أنه:

- توجد فروق دالة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين الذكور والإناث في متغير التشاؤم في اتجاه ارتفاعها نحو الإناث، وتوجد فروق دالة بينهما في متغير الثقة بالنفس عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في اتجاه ارتفاعها نحو الذكور.
- على الرغم من وجود فروق في متغيرات التفاؤل، والتخطيط، والتنظيم، والتنفيذ، والمتابعة، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت ، والتفاؤل كأحد متغيرات الصحة النفسية، والحياة ذات المعنى، والاستقرار، والدرجة الكلية للصحة النفسية في اتجاه ارتفاعها نحو الذكور إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الدلالة الإحصائية.
- على الرغم من وجود فروق في متغيرالفرح في اتجاه ارتفاعها نحو الإناث إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الدلالة الإحصائية .

ثالثاً: نتائج الفرض الثالث : الذي يشير إلى أنه " يمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من المراهقين والراشدين" .

تم استخدام تحليل الانحدار التدريجي[١]، والذي يسمى أحياناً (خطوة خطوة)، وذلك للتحكم فى عدد المتغيرات التي تدخل فى معادلة الانحدار، ويهدف الانحدار التدريجى أساساً إلى إيجاد علاقة بين المتغير التابع والمتغيرات المستقلة الأكثر ارتباطاً به ويتم ذلك تدريجياً على النحو التالى:

جدول (١٣) المصفوفة الارتباطية لمتغيرات البحث

متغيرات البحث	التفاؤل	التشاؤم	التخطيط	التنظيم	التنفيذ	المتابعة	كفاءة إدارة للوقت	الصحة النفسية

[١] Stepwise Rgression

التفاؤل	١	-٠,٣٩**	٠,٢٠**	٠,٢٣***	٠,٢٨**	٠,٣٢**	٠,٣١**	٠,٨٢**
التشاؤم		١	-٠,٢٧**	-٠,٢٢**	-٠,٣٠**	-٠,٣٢**	-٠,٣٣**	-٠,٤٠**
التخطيط			١	٠,٦٢**	٠,٤٦**	٠,٤٩**	٠,٧٦**	٠,٢٢**
التنظيم				١	٠,٧٠**	٠,٦٨**	٠,٩٠**	٠,٢٧**
التنفيذ					١	٠,٦٨**	٠,٨٣**	٠,٣٤**
المتابعة						١	٠,٨٥**	٠,٣٦**
كفاءة إدارة للوقت							١	٠,٣٦**
الصحة النفسية								١

(*) دالة عند مستوى ٠,٠٥ (**) دالة عند مستوى ٠,٠١

نلاحظ من الجدول السابق ما يلي :

- وجود علاقة ارتباطية موجبة بين التفاؤل وكل من: التخطيط ، والتنظيم، والتنفيذ، والمتابعة، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت، والدرجة الكلية للصحة النفسية وجميعها كانت دالة عند مستوى (٠,٠٠١) لدى عينة المراهقين والراشدين.
- وجود علاقة ارتباطية سالبة بين التشاؤم وكل من التفاؤل، والتخطيط ، والتنظيم، والتنفيذ، والمتابعة، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت، والدرجة الكلية للصحة النفسية وجميعها كانت دالة عند مستوى (٠,٠٠١) لدى عينة المراهقين والراشدين.
- وجود علاقة ارتباطية موجبة بين أبعاد كفاءة إدارة الوقت والدرجة الكلية وكل من: التفاؤل،والدرجة الكلية للصحة النفسية وجميعها كانت دالة عند مستوى (٠,٠١). في حين كانت العلاقة بينهما وبين التشاؤم سلبية عند مستوى دلالة (٠,٠١) لدى عينة المراهقين والراشدين.

نوضح فيما يلي أكثر المتغيرات، التي تكون لديها قدرة تنبئية أعلى من باقي المتغيرات الأخري في التنبؤ بالصحة النفسية لدى العينة الكلية (المراهقين ، والراشدين)، نستخدم معاملات الانحدار البسيط كالتالي:

جدول (١٤) تحليل الانحدار التدريجي للعينة الكلية (المراهقين والراشدين)

المتغيرات المُنبئة	المتغير التابع	الارتباط المتعدد (ر)	مربع الارتباط المتعدد (ر٢)*	الإسهام فى مربع الارتباط المتعدد	دلالة معادلة الانحدار		معامل الانحدار	دلالة معاملات الانحدار		القيمة الثابتة
					قيمة (ف)	دلالة (ف)		قيمة (ت)	دلالة (ت)	
التفاؤل	الصحة النفسية	٠,٨١٣	٠,٦٦٠	٠,٦٦٠	٥٨٧,٨	أقل من ٠,٠٠١	٤,١٣٣	٢٤,٠٦	أقل من ٠,٠٠١	٥٦,٤
التفاؤل + التنفيذ		٠,٨٢٤	٠,٦٨٠	٠,٦٦٠	٣١٤,٩	أقل من ٠,٠٠١	**٣,٩٢**	٢٢,٤٦	أقل من ٠,٠٠١	**٤٥,٠٥**
				٠,٢٠			٠,٥٢	٤,٢٤	أقل من ٠,٠٠١	

من خلال استقراء الجدول السابق نلاحظ أن أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة البحث الكلية هي متغيرين فقط مرتبة كالتالى: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منها قدرة تنبؤية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.

نوضح فيما يلي أكثر المتغيرات، التي تكون لديها قدرة تنبئية أعلى من باقي المتغيرات الأخري في التنبؤ بالصحة النفسية لدى عينة المراهقين، ونستخدم معاملات الانحدار البسيط كالتالي:

جدول (١٥) تحليل الانحدار التدريجي للمراهقين

المتغيرات المُنبئة	المتغير التابع	الارتباط المتعدد (ر)	مربع الارتباط المتعدد (ر٢)*	الإسهام فى مربع الارتباط المتعدد	دلالة معادلة الانحدار		معامل الانحدار	دلالة معاملات الانحدار		القيمة الثابتة
					قيمة (ف)	دلالة (ف)		قيمة (ت)	دلالة (ت)	
التفاؤل	الصحة النفسية	٠,٨١٠	٠,٦٥٦	٠,٦٥٦	١٨٦,٩	أقل من ٠,٠٠١	٤,٠٤	١٣,٦	أقل من ٠,٠٠١	٥٤,٨
التفاؤل + التنفيذ		٠,٨١٨	٠,٦٧٠	٠,٦٥٦	٩٨,٢	أقل من ٠,٠٠١		١٢,٥	أقل من ٠,٠٠١	٤٥,٦
				٠,١٤			٣,٨٩		أقل من ٠,٠٠١	
							٠,٤٥	١,٩٩	أقل من ٠,٠٠١	

من خلال استقراء الجدول السابق نلاحظ أن أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة المراهقين هي متغيرين فقط مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منها قدرة تنبئية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.

نوضح فيما يلي أكثر المتغيرات، التي تكون لديها قدرة تنبئية أعلى من باقي المتغيرات الأخري في التنبؤ بالصحة النفسية لدى عينة الراشدين ، ونستخدم معاملات الانحدار البسيط كالتالي:

جدول (١٦) تحليل الانحدار التدريجي للراشدين

المتغيرات المُنبئة	المتغير التابع	الارتباط المتعدد (ر)	مربع الارتباط المتعدد ($ر^2$)*	الإسهام فى مربع الارتباط المتعدد	دلالة معادلة الانحدار		معامل الانحدار	دلالة معاملات الانحدار		القيمة الثابتة
					قيمة (ف)	دلالة (ف)		قيمة (ت)	دلالة (ت)	
التفاؤل	الصحة النفسية	٠,٨١٧	٠,٦٦٨	٠,٦٦٨	٣٩٧,٥,٩	أقل من ٠,٠٠١	٤,١٥	١٩,٩	أقل من ٠,٠٠١	٥٧,٣
التفاؤل + التنفيذ		٠,٨٢٩	٠,٦٨٧	٠,٦٦٨	٢١٦,٠٤	أقل من ٠,٠٠١	**٣,٩٥**		أقل من ٠,٠٠١	**٤٥,٦**
				٠,١٥				١٨,٧	أقل من ٠,٠٠١	
							٠,٥٢	٣,٤	أقل من ٠,٠٠١	

من خلال استقراء الجدول السابق نلاحظ أن أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة الراشدين هي متغيرين فقط مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منها قدرة تنبئية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.

رابعاً: نتائج الفرض الرابع : الذي يشير إلى أنه " يمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من الذكور والإناث ".

نوضح فيما يلي أكثر المتغيرات، التي تكون لديها قدرة تنبئية أعلى من باقي المتغيرات الأخري في التنبؤ بالصحة النفسية لدى عينة الذكور، ونستخدم معاملات الانحدار البسيط كالتالي:

جدول (١٧) تحليل الانحدار التدريجي لعينة الذكور

المتغيرات المُنبئة	المتغير التابع	الارتباط المتعدد (ر)	مربع الارتباط المتعدد ($ر^2$)*	الإسهام فى مربع الارتباط المتعدد	دلالة معادلة الانحدار		معامل الانحدار	دلالة معاملات الانحدار		القيمة الثابتة
					قيمة (ف)	دلالة (ف)		قيمة (ت)	دلالة (ت)	
التفاؤل	الصحة النفسية	٠,٧٩٧	٠,٦٣٥	٠,٦٣٥	٢١٩,٥	أقل من ٠,٠٠١	٣,٩	١٤,٨	أقل من ٠,٠٠١	٦١,٧
التفاؤل +التنفيذ		٠,٨١٤	٠,٦٦٢	٠,٦٣٥ ٠,١٧	١٢٢,٣	أقل من ٠,٠٠١	٣,٦ ٠,٥٩	١٣,٧ ٣,١٣	أقل من ٠,٠٠١	٤٩,١٠
التفاؤل+ التنفيذ+ التخطيط		٠,٨٢٢	٠,٦٧٦	٠,٦٣٥ ٠,١٧ ٠,١٤	٨٦,٣	أقل من ٠,٠٠١	٣,٧ ٠,٧٩ ٠,٠٤-	١٤,١٤ ٣,٨ ٢,٣٤-	أقل من ٠,٠٠١	٥٢,٢٧
التفاؤل + التنفيذ +التخطيط +التنظيم		٠,٨٣٠	٠,٦٨٨	٠,٦٣٥ ٠,١٧ ٠,١٤ ٠,١٢	٦٧,٨	أقل من ٠,٠٠١	٣,٧ ٠,٤ ٠,٦- ٠,٥	١٤,٣٢ ١,٩٨ ٣,١٨- ٢,١٧	أقل من ٠,٠٠١	٥١,١٦

من خلال استقراء الجدول السابق نلاحظ أن أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة الذكورهي أربع متغيرات مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ، والتخطيط، والتنظيم ، حيث كان لكل منها قدرة تنبؤية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبؤية دالة بالصحة النفسية.

نوضح فيما يلي أكثر المتغيرات، التي تكون لديها قدرة تنبئية أعلى من باقي المتغيرات الأخري في التنبؤ بالصحة النفسية لدى عينة الإناث، ونستخدم معاملات الانحدار البسيط كالتالي:

جدول (١٨) تحليل الانحدار التدريجي لعينة الإناث

المتغيرات المُنبئة	المتغير التابع	الارتباط المتعدد (ر)	مربع الارتباط المتعدد ($ر^2$)*	الإسهام فى مربع الارتباط المتعدد	دلالة معادلة الانحدار		معامل الانحدار	دلالة معاملات الانحدار		القيمة الثابتة
					قيمة (ف)	دلالة (ف)		قيمة (ت)	دلالة (ت)	
التفاؤل	الصحة النفسية	٠,٨٢٣	٠,٦٧٧	٠,٦٧٧	٣٥٧,٠٢	أقل من ٠,٠٠١	٤,٢٩	١٨,٨	أقل من ٠,٠٠١	٥٢,٦
التفاؤل+ التنفيذ		٠,٨٣٢	٠,٦٩٣	٠,٦٧٧	١٩٠,٣٥	أقل من ٠,٠٠١	٤,١٠	١٧,٧	أقل من ٠,٠٠١	٤٢,٢
				٠,١٦			٠,٤٧	٢,٨		

من خلال استقراء الجدول السابق نلاحظ أن أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة الإناث هي متغيرين فقط مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منها قدرة تنبؤية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.

مناقشة النتائج :

مناقشة نتائج الفرض الأول : الذي يشير إلى أنه " لا توجد فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات البحث (التفاؤل والتشاؤم- كفاءة إدارة الوقت – الصحة النفسية)". أشارت النتائج إلى: وجود فروق دالة بين المراهقين والراشدين في متغيرات : مهارة التنظيم، ومهارة التنفيذ ، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت،والحياة ذات المعنى عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في اتجاه ارتفاعها نحو الراشدين. كما أشارت إلى أنه على الرغم من وجود فروق في متغيرات: التفاؤل، والتشاؤم،

والتخطيط، والمتابعة، والرضا، والثقة بالنفس، وبُعد التفاؤل، والفرح، والاستقرار والدرجة الكلية للصحة النفسية، في اتجاه ارتفاعها نحو الراشدين إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الدلالة الإحصائية، وبذلك يكون الفرض قد تحقق بشكل جزئي.

أشار الباحثون إلى أن الشخص يسعي دائمًا إلى تحقيق هدف له قيمة وأهمية ، وبدون هذا الهدف لن يكون هناك ما يدعو للقيام بهذا السلوك، حين يواجه الأشخاص نوعًا من المشكلات ،والتي تمثل نوعًا من التحدي، فإن المتفائلين منهم يواصلون مثابرتهم نحو الهدف ، أما المتشائمون فهم أكثر تردداً وشكاً عند مواجهة الشدائد، وهو ما ينطبق على المراهقين، والراشدين بدرجة أعلى قليلاً منهم، حيث يعتقد المتفائلون أن الشدائد على صعوبتها يمكن تجاوزها بنجاح، بينما يتوقع المتشائمين الكوارث والأحداث السلبية (ممدوحة سلامة، ٢٠٠٩م ؛ شيماء عزت مصطفى، ٢٠١٠م) ، ويتضح ذلك في مرحلة الرشد حيث تتوسع لدى الفرد الخبرات العقلية المعرفية ، واختيار شريك الحياة، وتكوين أسرة وتحقيق التوافق الأسري، وتربية الأبناء، وممارسة المهنة وتحقيق التوافق المهني، وممارسة الحقوق المدنية، وتحمل المسئولية، والروابط الاجتماعية (حامد عبد السلام زهران، ٢٠٠٥) ، مما يجعل لدى الراشد قدرًا مرتفعًا من مهارتى التنظيم، والتنفيذ، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت، والحياة ذات المعنى كبُعد من أبعاد الصحة النفسية . **ويبحث** دائمًا عن المعلومات بهدف زيادة المعرفة، **ويستخدم** أساليب مواجهة فعالة، **ويعزو** الأحداث لأسباب إيجابية، **ويبحث** عن الفائدة، **ويتسم** بحس الدعابة ،**ويتقبل** الآخرين من حوله (سوزان عبد العزيز بسيوني، ٢٠١١م).وأشار الباحثون إلى ارتباط التفكير السلبي التشاؤمي بتدهور المستوى الصحي، وازدياد الحالات المرضية كالكآبة، والاضطراب النفسي،وغير ذلك من المشكلات،بالإضافة إلى أن الاضطراب النفسي

والعقلي ليس ناشئًا من المواقف الصعبة التي تحيط بالفرد بقدر ما هو ناجم عن حالة اليأس التي تنتابه تجاه تلك المواقف، وتُوحي إليه بالعجز والفشل تجاهها، وهذا ما يعبر عنه بالتفكير السلبي،والذي يجعل الفرد يَنظر إلى حياته و الحياة من حوله بمنظار مظلم قاتم ، ويجعله أكثر تعاسة وتشاؤمًا في نهج تفكيره (Kenneth& Jbeard,2003 ؛Frank, 2004 ؛Kenneth,2004 ؛ Whyte,2004) Bhatnagar,2003;

مناقشة نتائج الفرض الثاني : الذي يشير إلى أنه " لا توجد فروق دالة في التفاؤل والتشاؤم، وكفاءة إدارة الوقت، والصحة النفسية بين الذكور، والإناث " . أسفرت نتائج البحث عن : وجود فروق دالة عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين الذكور والإناث في متغير التشاؤم في اتجاه ارتفاعها نحو الإناث.، ووجود فروق دالة بينهما في متغير الثقة بالنفس عند مستوى دلالة (٠,٠٥) في اتجاه ارتفاعها نحو الذكور، كما أشارت النتائج إلى أنه على الرغم من وجود فروق في متغيرات التفاؤل، والتخطيط، والتنظيم، والتنفيذ، والمتابعة، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت، والتفاؤل كأحد متغيرات الصحة النفسية، والحياة ذات المعنى، والاستقرار، والدرجة الكلية للصحة النفسية في اتجاه ارتفاعها نحو الذكور إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الدلالة الإحصائية.كذلك على الرغم من وجود فروق في متغيرالفرح في اتجاه ارتفاعها نحو الإناث إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الدلالة الإحصائية . وبذلك تحقق الفرض بشكل جزئي.

أشارت بعض نتائج البحوث إلى وجود فروق جوهرية في التفاؤل لصالح الذكور، بينما لم يصل التشاؤم إلى حد الدلالة كما في دراسات (حسن عبد اللطيف ، ولولوة حمادة (١٩٩٨م)، (أحمد اسماعيل، ٢٠٠١م)، **وتتعارض نتائج بحثنا الحالي** مع

ما أشارت إليه نتائج بعض البحوث من عدم وجود فروق في النوع في التفاؤل والتشاؤم،(عثمان محمود خضر ،١٩٩٩م)، (فريح العنزي، ٢٠٠١م). (نجوى اليحفوفي ، ٢٠٠٢م)، و(شيماء عزت مصطفى، ٢٠١٠م)، ويمكن تفسير ذلك وفقاً لما ذكره عبد المريد قاسم (٢٠٠٩م) من أن هناك إجماعًا بين الدارسين على أن الجوانب الإيجابية في الشخصية ليست خصوصية لثقافة أو دين، أوعرق، أو جنس، فكل الديانات والفلسفات ، تُوصي بضرورة تبني الأفراد للأفكار الإيجابية ، كما يري أن أبعاد التفكير الايجابي تعد سمات مكتسبة تراعي الأسر تواجدها في الذكور ،والإناث، على حد سواء ، فتأصل هذه الأفكار الإيجابية في البناء المعرفي للفرد منذ الطفولة. **واتفقت نتائج بحثنا الحالي** مع ما أظهرته نتائج بعض البحوث من وجود فروق في النوع في التفاؤل والتشاؤم كما في دراسة كل من (مايسة محمد شكري ،١٩٩٩م)، (نجوى اليحفوفي، ٢٠٠٢م)، (نجوى اليحفوفي، وبدر الأنصاري ،٢٠٠٥م)، و(أحمد السيد إسماعيل ،٢٠٠١)، و(عويد سلطان المشعان،٢٠٠٠م)، حيث وُجد أن الذكور كانوا أكثر تفاؤلاً من الإناث، بينما الإناث أكثر اضطرابًا نفسيًا، وجسميًا من الذكور، كذلك عدم وجود فروق جوهرية بين الذكور والإناث في التشاؤم، وضغوط الحياة، بالإضافة إلى وجود ارتباط سلبي بين التفاؤل والتشاؤم.

ويتفق الباحث مع ما أشارت إليه البحوث من أن التفاؤل، والمزاج الإيجابي ضروريان للصحة الجسمية، والنفسية، وأن التفاؤل، والمزاج الإيجابي يؤثران تأثيرًا إيجابيًا على الحالة الصحية للجسم ، ويسرعان بالشفاء في حال المرض، بينما وُجد أن التشاؤم المرتبط بكل من الغضب، والعدائية ، يتسبب في مشكلات صحية كثيرة، منها ارتفاع ضغط الدم، ومرض الشريان التاجي، والسرطان، كما يُنبئ التشاؤم بانخفاض كل من مستوى الصحة ، والعمر المتوقع ، وارتفاع معدل الوفاة، وبطء

الشفاء بعد اجراء العملية الجراحية ، كما أثبت الباحثون أن كفاءة جهاز المناعة تقوم بدور مهم كعامل وقائي ينشط عندما يواجه الفرد صعوبات الحياة كالمرض (Segerstrom, Suzanne.C; Taylor, Shelley , E., ; Kemeny, Margaret, E; Fahey, John, L., 1998) ،.

ويعزو الباحث السبب في ذلك ان الضغوط التي تتعرض لها الإناث في مجتمعنا العربي يؤثر على حالتهن النفسية ،واتضح ذلك من خلال وجود علاقة إيجابية بين الضغوط النفسية والتشاؤم (عبد الهادي محمد القحطاني ،٢٠١٣م). وأن الذكور أعلى من الإناث في التفاؤل(نجوى اليحفوفي، وبدر الأنصاري ،٢٠٠٥م). كما أشارت البحوث إلى أن العلاقات الإيجابية المرضية ذات المدي الطويل تعمل كوقاية إلى حد ما من تأثير الأحداث الضاغطة على الزوجين (Conger, R., Rueter, M., & Elder,G.,1999) . بينما ترتبط العلاقات الزوجية المضطربة بزيادة الآثار السلبية لضغوط الحياة ، فيرتبط القلق، وسوء التوافق الشخصي، والإعتماد على العقاقير لدى الذكور، والاكتئاب لدى الإناث بتدهور العلاقات الزوجية ، كما أن المشكلات الزوجية ، والصراعات تسبق ظهور المشكلات النفسية كأعراض الاكتئاب وتناول الكحوليات، بل تسبق ظهور كثير من المشكلات الصحية بما في ذلك التأثير سلبيًا على جهاز المناعة ، بينما يزيد الزواج السعيد من الصحة الجسمية، والنفسية للأفراد (Whisman, M., Ubelacker,L.,& Weinstock,L, 2004) . كما أن التغيرات الانفعالية في المزاج،والشعور بالاكتئاب هو في حقيقة الأمر نتيجة لأخطاء في التفكير، وتبني أسلوب متشائم، ونظرة انهزامية للموقف (Burns,1992).

مناقشة نتائج الفرض الثالث : الذي يشير إلى أنه " يمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من المراهقين والراشدين ". حيث أسفرت نتائج البحث عن: وجود علاقة ارتباطية موجبة بين التفاؤل وكل من: التخطيط ، والتنظيم، والتنفيذ، والمتابعة، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت، والدرجة الكلية للصحة النفسية وجميعها كانت دالة عند مستوى (٠,٠٠١) لدى عينة المراهقين والراشدين، كما اشارت إلى وجود علاقة ارتباطية سالبة بين التشاؤم وكل من: التفاؤل، والتخطيط ، والتنظيم، والتنفيذ، والمتابعة، والدرجة الكلية لكفاءة إدارة الوقت، والدرجة الكلية للصحة النفسية وجميعها كانت دالة عند مستوى (٠,٠٠١) لدى عينة المراهقين والراشدين،ووجود علاقة ارتباطية موجبة بين أبعاد كفاءة إدارة الوقت والدرجة الكلية وكل من التفاؤل،والدرجة الكلية للصحة النفسية وجميعها كانت دالة عند مستوى (٠,٠١). في حين كانت العلاقة بينهما وبين التشاؤم سلبية عند مستوى دلالة (٠,٠١) لدى عينة المراهقين والراشدين.كما أشارت إلى أن أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة البحث الكلية ، وعينة المراهقين، وعينة الراشدين هي متغيرين فقط مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منها قدرة تنبؤية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية.وأشارت البحوث إلى أن التفاؤل والثقة بالنفس أمران ضروريان للنجاح في جميع جوانب الحياة، وأن الإيجابية يمكن أن تكون أمرًا جيدًا، قد تتجاوز مستويات التفاؤل (Von Bergen& Martin S. Bressler, 2011)، كما أن الشخص الذي يستطيع تعديل طرق تفكيره وإدراكه يكتسب كثيرًا من الجوانب الإيجابية والصحية؛ **فيصبح:** أكثر نشاطًا وقدرة على بذل الطاقة وتوجيهها بشكل إيجابي،وأكثر قدرة على تحقيق النجاح والتفوق،وأكثر إبداعًا ومرونة، وحرية في

التفكير ، والسلوك،وأكثر قدرة على الإنجاز والعمل،وأكثر مهارة في معالجة ضغوط الحياة بطرق خلاقة ومبتكرة،وأكثر قدرة على التعايش مع الآخرين والتفاعل معهم بإيجابية،وأكثر صحة من الناحية البدنية والعضوية بما في ذلك الشهية المفتوحة،والتحكم في الوزن،والنوم الهادئ،والشفاء السريع عند الإصابة بمرض (عبد الستار إبراهيم، ٢٠١١م). كما أبرزت البحوث أن ما يصيب الشخص من اضطراب في حياته النفسية،أو العقلية، أو الاجتماعية، سواء كان هذا الاضطراب مؤقتًا أو دائمًا إنما هو إنعكاس مباشر لأساليبه في التفكير وتوقعاته، وتبين أن ما يميز الاضطرابات النفسية، والصحة النفسية فيما بينها تحكمه ما يبنيه الفرد عن أمور الحياة من توقعات، سواء التفاؤل أو التشاؤم؛ فالشخص قد يجد نفسه مدفوعًا للشعور بالقلق والجزع بسبب توقعاته السلبية مما قد يحدث من تهديد أو خطر في المستقبل. والمكتئب تدفعه توقعاته بحدوث الفشل؛ فيصاب بالتراخي والهمود (أشرف محمد علي شلبي ، ٢٠١٢). كما توجد علاقة قوية بين الثقة بالنفس وبين مهارات التفكير الايجابي، والذي يُعد التفاؤل والتوقعات الإيجابية أحد أبعاده ، والعكس صحيح؛ فكلما زادت ثقة الإنسان بنفسه وبقدراته كلما كانت شخصيته ايجابية وأفكاره وأساليب تفكيره ايجابية (عبد السلام مصطفى عبد السلام ، ٢٠٠٤).

مناقشة نتائج الفرض الرابع : الذي يشير إلى أنه " يمكن التنبؤ بالصحة النفسية من التفاؤل والتشاؤم ، وكفاءة إدارة الوقت لكل من الذكور والإناث" . أسفرت النتائج عن أن :أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية لدى عينة الذكور هي أربع متغيرات مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ، والتخطيط، والتنظيم ، حيث كان لكل منها قدرة تنبئية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية. وأشارت أيضًا إلى أن أكثر المتغيرات المنبئة بالصحة النفسية

لدى عينة الإناث هي متغيرين فقط مرتبة كالتالي: التفاؤل، والتنفيذ ، حيث كان لكل منها قدرة تنبئية عند مستوى دلالة أقل من (٠,٠٠١)، وأن باقي المتغيرات ليس لها قدرة تنبئية دالة بالصحة النفسية. أشار " أرون بيك " Beck,Aaron إلى أن التوقعات الإيجابية السارة ،ترفع مزاج الفرد وعزيمته لأداء أنشطة مختلفة؛ بينما تثبطه التوقعات السيئة ؛ فتجعله فاقدًا للعطاء والنشاط (Beck,Aaron,2000,P.36).ويُعرف **علم النفس الايجابي** بأنه المجال الذي يهتم بالمستوى الذاتي ، والذي يرتبط بالخبرة التي لها قيمة مثل : السعادة ، والرضا والارتياح (للزمن الماضي)، والخبرة الذاتية ، والسعادة الانفعالية الحالية (للزمن الحاضر)، والأمل والتفاؤل (في المستقبل)؛ فعلى المستوى الفردي، يهتم علم النفس الايجابي بالسمات الايجابية كالقدرة على الحب سواء للآخرين، والحيوان، والنبات، والشجاعة، والموهبة، والحكمة.أما على المستوى الجماعي(المجتمعي) يهتم علم النفس الإيجابي بالسمات المحببة التي يهدف المجتمع إلى اكتسابها وتنميتها (أنتونيلا دولفافي، ٢٠١١).

كما يُعرف التفكير الايجابي بأنه مفهوم من ستة أبعاد يتميز صاحبه بالشجاعة، والحكمة، والإنسانية،والاعتدال، والعدل، والسمو وهي أبعاد ذات متضمنات إستراتيجية ، من شأنها أن تجعل الفرد أكثر سعادة) Seligman&Csikzenthmihalyi,2000) . إن ما يميز الإنسان عن باقي الكائنات نزعته القوية إلى التفكير الإيجابي؛ فملكات العقل تعد وسائل للتفكير الايجابي (Carr,2004:77).كما أوضح بعض الباحثين إلى أن وجود الذكاء العاطفي / الوجداني اللازم للتوافق الزواجي أو الحياة بشكل عام، يُعد إحدى مهارات التفكير الايجابي الفرعية،وبصورة عامة،يشير الذكاء العاطفي Emotional

Intelligence إلى مجموعة من القدرات غير المعرفية والتي تؤثر على قدرة الإنسان على النجاح في الحياة، والعمل.ويعمل الذكاء العاطفي بالتآزر مع الذكاء لتعزيز الأداء البشري، وحدد الباحثون أن الأشخاص ذوي الذكاء العاطفي المرتفع لديهم مهارات في المجالات غير المعرفية التالية:تحديد،واستخدام،وفهم،وتنظيم العواطف (Ortese, Peter T; Tor-Anyiin, S, A,2008:112).وخلص "ماير وسالوفي" (Mayer and Salovey ,1999) إلى أن الذكاء العاطفي هو القدرة على إدراك العواطف واستيعاب العاطفة ذات الصلة بالمشاعر وفهم المعلومات من تلك المشاعر ،وإدارتها منذ نشأتها من ناحية أخرى،ويشير إليه " أكنبوى" (Akinboye,2003) على أنه القدرة على الشعور والفهم والتطبيق الفعال للطاقة، وفطنة العواطف كمصدر للإبداع الإنساني والابتكار والمعلومات والطاقة، والاتصال،والحدس والتأثير.كما أبرز " أكنبوى" (Akinboye ,2002) نجاح استخدام عناصر الذكاء العاطفي نحو التوافق في الحياة الزوجية،وتشمل:السيطرة على الانفعالات،والتعاطف،والثقة،وحسن الخلق، وغيرها. هذه الكفاءات تتطلب فهم مشاعر الشريكين،مع الاهتمام بمشاعر الشريك الآخر ،و كيفية التصرف في الحياة والزواج والعمل. وأيد ذلك " عثمان "(Usman ,2006) أنه في كثير من الأحيان،يكون هناك مشكلات لدى الزوجين بسبب عدم القدرة على إدارة العواطف ،ونقص التعاطف الذي يكون حساسًا لمشاعر الآخرين واهتماماتهم.

ويعزو الباحث ارتفاع مستوى المهارات المنبئة بالصحة النفسية لدى الذكور عنها لدى الإناث، والتي تميزهم بإدراك الحاجة إلى تحديد الأولويات ،والقدرة على تناول المشكلات والنظر إليها من زوايا متعددة،ووجود مستوى مرتفع من التنظيم في معالجة الأمور، ودرجة عالية من الحسم عند اتخاذ القرارات، والتعامل مع المشكلات

بواقعية ملموسة مما يجعلهم ينظرون إلى الحياة كأمر واقع يمكن التعايش معه عن طريق التوافق مما يحقق نوع من الاستقرار والاطمئنان النفسي.

الرؤية المستقبلية:

من خلال نتائج بحثنا يوصي الباحث بضرورة إجراء المزيد من البحوث والدراسات المستقبلية، ومنها:

١. تدريب المراهقين، والراشدين على برامج التفاؤل والإيجابية.
٢. ممارسة الراشدين للتدريب على إدارة وقتهم بكفاءة سيصقل شخصيتهم، وينمي مهارتهم، ويجعلهم أكثر صلابة نفسيًا، وأكثر قدرة على المواجهة، وأكثر توكيدًا ومهارة اجتماعية، مما يساعدهم على وضع ضوابط للعلاقات الاجتماعية للوقاية من الوقوع في الانحرافات السلوكية، والاضطرابات النفسية، وارتفاع معدلات سوء التوافق النفسي، والاجتماعي، والحد من ارتفاع معدلات الطلاق.
٣. إجراء المزيد من البحوث والدراسات الاجتماعية والنفسية بهدف التعمق في مشكلة الصحة النفسية، والاضطرابات النفسية بكل جوانبها وتفسيرها.
٤. ضرورة تضامن مؤسسات المجتمع المدني من أجل وضع استراتيجية لبرامج التفاؤل والإيجابية في الأحياء ، والمدن، والمؤسسات.

المراجع

ابتسام محمود علي شتات(٢٠٠٨). العلاقة بين إدارة الوقت وأساليب مواجهة الضغوط ودافعية الإنجاز لدى طلاب المرحلة الثانوية . رسالة دكتوراه.

جامعة عين شمس ، معهد الدراسات العليا للطفولة ، قسم الدراسات النفسية والاجتماعية.

ابن منظور(١٩٧٨) . لسان العرب المحيط ، المجلد (٢)، بيروت: لسان العرب

أحمد السيد محمد إسماعيل .(2001) .التفاؤل والتشاؤم وبعض المتغيرات النفسية لدى عينة

عينة من طلاب جامعة أم القرى ، المجلة التربوية ، الكويت : مجلس النشر العلمي لجامعة الكويت، المجلد (١٥)، ع (٦٠)، ص ص ٥١- ٨١.

أحمد محمد عبد الخالق(١٩٩٣م). أصول الصحة النفسية، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية.

أحمد محمد عبد الخالق(٢٠٠٠م). التفاؤل والتشاؤم – عرض لدراسات عربية – مجلة علم النفس . العدد (٥٦) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ص ص ٦- ٢٧.

أحمد محمد عبد الخالق، وصلاح مراد (٢٠٠١). التقدير الذاتي للصحة النفسية دراسة لأهم منبئاته، مجلة دراسات نفسية ،م.(١١)، ع، ٤، ٦٢٣- ٦٣٥.

أحمد محمد عبد الخالق (١٩٩٨م أ). التفاؤل والصحة للجسم ، دراسة عاملية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد (٢٦) ، العدد(٢) ، ص ص ٥٦- ٦٢.

أحمد محمد عبد الخالق (١٩٩٨م ب). التفاؤل والتشاؤم وقلق الموت ، دراسة عاملية ، مجلة دراسات نفسية ، مجلد (٨) ، العدد(٣) يوليو ، ص ص ٣٦١- ٣٧٤.

أحمد محمد عبد الخالق (٢٠١٦م). دليل تعليمات المقياس العربي للصحة النفسية . القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

أشرف محمد علي شلبي (٢٠١٢م). مهارات التفكير الإيجابي المنبئة بالتوافق الزواجي.مجلة كلية الآداب جامعة بني سويف، عدد ٢٣ (ابريل – يونيو). ص ص (١٢١- ٢٠٨).

آمال عبد السميع باظة (٢٠٠٨م). مقياس كفاءة إدارة الوقت. القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.

آمنة سعيد حمدان (٢٠١١م). برنامج إرشادى لتحسين مستوى الصحة النفسية لدى بعض الطالبات اللاتي يعانين من سوء التوافق في دولة الإمارات العربية المتحدة. رسالة دكتوراه (غير منشورة)، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة.

أميرة محمد العدل (٢٠٠٦م).إدارة الوقت وعلاقتها بالفعالية الذاتية والضغوط لدى المرأة القيادية ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة.

أنتونيلا دولفافي (٢٠١١) علم النفس الايجابي للجميع . تعريب مرعي سلامة يونس، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

بدر محمد الأنصاري (٢٠٠٣م) التفاؤل والتشاؤم : قياسهما وعلاقتهما ببعض المتغيرات الشخصية لدى طلاب جامعة الكويت ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الحولية (١٩٢)، الكويت : مجلس النشر العلمى لجامعة الكويت.

بسنت محمد مصطفى (٢٠١٣م). أبعاد السلوك الصحي المنبئة ببعض مؤشرات الصحة النفسية والبدنية لدى المسنين. رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، القاهرة.

حسام أحمد محمد أبو سيف ، وأحمد محمد الناشري(٢٠٠٩م). الصحة النفسية . القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر.

حسن عبد الفتاح الفنجري(٢٠٠٦م). السعادة بين علم النفس الإيجابي والصحة النفسية. مؤسسة الإخلاص للطباعة والنشر، بنها. مصر.

حسن عبد اللطيف، ولولوة حمادة (١٩٩٨م). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما ببعدي الشخصية : الانبساط والعصابية، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد (٢٦)، العدد(١) ، ص ص ٨٤- ١٠٤.

راشد القصي (٢٠٠٣م).إدارة الوقت في التعليم الجامعي مدخل لزيادة فعاليته(دراسة حالة)، مجلة البحث في التربية وعلم النفس ع (١). جامعة المنيا.

ربحي مصطفى عليان (٢٠٠٥م).إدارة الوقت (النظرية والتطبيق). عمان، الأردن: دار جرير للنشر والتوزيع.

رجب على شعبان محمد (٢٠٠١م). التحصيل الدراسي وعلاقته بالتفاؤل والتشاؤم والدافعية وأساليب مواجهة المشكلات لدى طالبات الجامعة : دراسة تنبؤية . مجلة دراسات نفسية ، (١١)، ٣٢، ١٦٥ – ٢٠٣.

سهير كامل أحمد (١٩٩٣م). الصحة النفسية والتوافق، القاهرة: الأنجلو المصرية.

سوزان بنت صدقة بن عبد العزيز بسيوني(٢٠١١ م). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالإنجاز الأكاديمي والرضا عن الحياة لدى عينة من الطالبات الجامعيات بمكة المكرمة. مجلة الإرشاد النفسي. مركز الإرشاد النفسي، العدد (٢٨) إبريل.

سيد صبحي (١٩٨٤م). التفاؤل والتشاؤم ، القاهرة، المركز النموذجي لرعاية وتوجيه المكفوفين.

شعاع عبد الرحمن الجاسر (١٤٢٩ هـ). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بتقدير الذات وأحداث الحياة الضاغطة لدى عينة من طالبات كلية التربية للبنات (الأقسام الأدبية والعلمية) بمكة ، دراسة ماجستير غير منشورة. كلية التربية للبنات جامعة أم القرى.

شيماء عزت مصطفى(٢٠١٠ م). عزو الأسباب، التفاؤل- التشاؤم: متغيرات معدلة في العلاقة بين الضغوط والرضا الزواجي. رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة حلوان.

طارق سويدان، ومحمد أكرم العدلوني(٢٠٠٤م). فن إدارة الوقت . ط ٢ ، السعودية، الرياض: قرطبة للنشر والتوزيع

طريف شوقي محمد فرج (٢٠٠٩م). تنمية مهارات إدارة الوقت . جامعة الملك سعود ، عمادة تطوير مهارات أعضاء هيئة التدريس ، مشروع تنمية الإبداع والتميز.

عبد الستار إبراهيم (٢٠١١) عين العقل: دليل المعالج النفسي للعلاج المعرفي الإيجابي. مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة.

عبد السلام مصطفى عبد السلام (2004) دور مناهج العلوم والمعلمين في مساعدة أطفالنا ليصبحوا مفكرين ومتعلمين فعّالين في العلوم عن الشبكة العالمية للمعلومات (الانترنت) : http://www.tcabha

عبد المريد قاسم (٢٠٠٩م). أبعاد التفكير الإيجابي في مصر دراسة عاملية، مجلة دراسات نفسية ، القاهرة، رابطة الأخصائيين النفسيين المصرية ، المجلد (١٩)، ع (٤) ، ص ص ٦٩١- ٧٢٣.

عبد الهادي محمد القحطاني (٢٠١٣). الضغوط النفسية وعلاقتها بالتفاؤل والتشاؤم وبعض المتغيرات المدرسية لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمحافظة الخبر بالمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية . رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب ، جامعة البحرين.

عثمان محمود خضر (١٩٩٩ م). التفاؤل التشاؤم والأداء الوظيفي .المجلة العربية للعلوم الانسانية، الكويت : مجلس النشر العلمي لجامعة الكويت، المجلد (١٧) ، ع (٦٧) ، ص.ص :٢١٤- ٢٤٢.

عزة مبروك (٢٠٠١م). استخدام المساندة النفسية الاجتماعية لتحسين التوافق النفسي والاجتماعي والصحى لدى المسنين، دراسة تجريبية ، رسالة دكتوراه (غير منشوره) كلية الآداب جامعة القاهرة.

علي أحمد علي (١٩٨٠م). الصحة النفسية، مشكلاتها ووسائل تحقيقها، القاهرة: مكتبة عين شمس.

عويد المشعان (٢٠٠٢م). العلاقة بين الرضا الوظيفي وكل من التفاؤل والتشاؤم والاضطرابات النفسية والجسمية لدى الموظفين في القطاع الحكومى بدولة الكويت، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية ، الكويت : مجلس النشر العلمي لجامعة الكويت ، المجلد (١٨)، العدد(١) ، ص ص ١- ٣٨.

عويد سلطان المشعان (٢٠٠٠م). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالاضطرابات النفسية والجسمية وضغوط أحداث الحياة لدى طلاب الجامعة ، مجلة دراسات نفسية ، (١٠) ، ٣ ، ٥٠٥- ٥٣٢.

فريح عويد العنزي (٢٠٠١م). الشعور بالسعادة وعلاقته ببعض السمات الشخصية دراسة ارتباطيه مقارنة بين الذكور والإناث. مجلة دراسات نفسية ، (١١)، ٣، ٣٥١- ٣٧٧.

كمال إبراهيم مرسي(١٩٩٥م). الإسلام والعلوم الإنسانية : المدخل إلى علم الصحة النفسية ،ط٢، الكويت : دار القلم.

لمياء بكري أحمد محمد (٢٠١٧). دور أسلوب الحياة والضغوط الأسرية في التنبؤ ببعض مؤشرات الصحة النفسية لدى عينة من أمهات الأطفال ذوى اضطراب قصور الانتباه / فرط الحركة. رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة.

ليستر آر. بيتل (١٩٩٩م). إدارة الوقت- المرشد الكامل للمديرين الذين يعانون من ضغط الوقت. ترجمة: محمد نجار، الأردن، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

مارسيل كوتيه (٢٠٠٢) الطريقة المثلي للتحكم في الوقت، ترجمة: مصطفى الرقة، وبسام الكردي، بيروت: منشورات القارتين.

مايسة محمد شكري(١٩٩٩م). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بأساليب مواجهة المشقة . مجلة دراسات نفسية ، م (٩)، ع (٣)، ص ص ٣٨٨- ٤١٢.

مجدي محمد الدسوقي (٢٠٠٢م). مقياس التفاؤل والتشاؤم. القاهرة: مطبعة الشمس شبين الكوم

محمد يوسف المسيليم (١٩٩٨م).التدريب على الأساليب الحديثة في إدارة الوقت، الكويت : جامعة الكويت

مصطفى فهمي (١٩٩٥م). الصحة النفسية، دراسات في سيكولوجية التكيف، القاهرة: مكتبة الخانجي.

مصطفى محمد الصفطي (٢٠٠٠م). الصحة النفسية وعلم النفس الاجتماعي والتربية الصحية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

مفرح عبد الله بالبيد (٢٠٠٩م). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بالرضا الوظيفي لدى عينة من المرشدين المدرسين بمراحل التعليم العام بمحافظة القنفذة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية – جامعة أم القرى.

ممدوحة سلامة (٢٠٠٩م). مقدمة في علم النفس، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

نجوى اليحفوفي (٢٠٠٢). التفاؤل والتشاؤم وعلاقته ببعض المتغيرات الاجتماعية الديموغرافية لدى طلبة الجامعة . مجلة علم النفس ،ع (٦٢)، ص ص ١٣٢- ١٤٩.

نجوى اليحفوفي، وبدر الأنصاري (٢٠٠٥). التفاؤل والتشاؤم دراسة ثقافية مقارنة بين اللبنانيين والكويتين. مجلة العلوم الاجتماعية ، م (٣٣)، ع (٢)، ص. ص ٢١٣-٣٣٥.

هدى جعفر حسن(٢٠٠٦م). التفاؤل والتشاؤم وعلاقتهما بضغوط العمل والرضا عن العمل، مجلة دراسات نفسية ، المجلد (١٦)، عدد (١)، ص ص ٨٣- ١١١.

وليد يوسف سرحان (٢٠١٣). الصحة النفسية. القاهرة: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.

إليك ماكينزي (٢٠٠٠) مصيدة الوقت " ط٣"، الرياض: مكتبة جرير.

Akinboye, J. O. (2002). Emotional Intelligence, human Integrity, fairness and dignity. In J. O. Akinboye (ed) Psychological Principles for success in life and workplace.. Ibadan, Stirling- Horden Publishers Ltd.

Akinkoye, J. O. (2003). Creativity, Innovation and Success Ibadan. Stirling Horden Publisher.

Aiken,L.R.,& Groth- Marnat, G.(2006). Psychological Testing and Assessment (12th ed .).Boston: Allyn& Bacon,Pearson.

Anastasi, A.(1988). Psychological Testing (6th ed.). New York: Macmillan.

Atienza, A., Stephens,M., & Townsend, A., (2002). Dispositional Optimism Role Specific Stress and Well – Bing of adult Daughter Caregivers, Research on Aging, Vol, (24), No, 2, PP. 193- 217.

Beck, Aaron,(2000) Prisoners of Hate: The Cognitive basis of anger . hostility and violence . New York ,N.Y.: Perenail Harper Collins.

Belker , L.B. & Topchick ,G.J. (2005) The first time management (5th ed) ,New York: AMA CO.

Bhatnagar, Anil(2003) "An article on ways to replace negative Thoughts with positive thoughts :Mind your thoughts " . http://www.lifepositive.com/Mind/psycholoy/positive – thinking/thoughts.asp.

Bolger, N ; Davis ,A & Rafaeli , E (2003) Diary methods : capturing life as it is lived, Annual.Rev.Psychol.54.579-616.

Burns,D.D.(1992) Feeling good : The New MoodTherapy. NewYork: Avon Books.

Brissete,I ; Scheier,M &Carver, C.,(2002). The Role of Optimism in Social Network Development , Coping and

Psychological adjustment during a life transition. Journal of Personality and Social Psychological, Vol.82, No.1.

Carr,A.(2004) Positive Psychology: The Science of Happiness and Human Strengths .Hove and New York: Brunner-Rutledge.

Carver, C.S. ; Scheier, M.F. (2000). Perspectives on Personality . (4th ed.). Boston, MA: Allyn& Bacon.

Carver, C.S. ; Scheier, M.F. (2001). On the Self – Regulation of Behavior. New York : Cambridge University Press.

Chang, Edward; Sanna, Lawrence;Chang,Rita(2009) Optimism,Pessimism and Motivation : Relations to Adjustment.Social and Personality Psychology Compass, Vol 3, Issue4, P.P 494-506.

Colligan,R.C.,Offord,K.P.,Malinchoc,M.,Schulman,p&Seligmai n,K.E., (1994). Caving the Mmipi for an Optimism – Pessimism Scale, Journal of Clinical Psychology, 50- 71.

Conger, R., Rueter, M., & Elder,G.,(1999). Couples Resilience to Economic Pressure, Journal of Personality and Social Psychology, Vol. 76, No. 1 , pp. 54-71.

English,H.B.& English,A.C., (1985).A comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms, New York. Long Mans.

Ey S, Hadley W, Allen DN, Palmer S, Klosky J, Deptula D, Thomas J, Cohen R. (2005). A new measure of

children's optimism and pessimism: the youth life orientation test. J Child Psychol Psychiatry. 2005 May;46(5):548-58.

Frank , A (2004) " Differences between optimists and pessimists" . http://www.selfgrowth. com/articles/3.html

Groh, C., &Urbancic, J. (2015)The Impact of a Life Style Change Program on the Mental Health of Obese Under Served African American Woman. Archives of Psychiatric Nursing , 29(2), 76- 82.

Jbeard , J (2003)" What is negative thinking ?" . http://smalley gospelcom.net/artman/publish/printer-198.shtml

Kenneth , H & Kenneth , C (2004) " Positive confession possibility thinkers with positive mental attitude" . http://www.rapidnet.com/~jbeard/bdm/Psychology/p-Osit.htm

Lee, Y.T, & Seligman,(1997). Are American more Optimistic than Chinese? . Personality and Social Psychology Bulletin, 23, 32-40.

Lippitt ,M.B (2002) The leadership spectrum, California: Davis-Black pub

Lobel,M., Devincent,C., Kaminar., A.,& Meyer,B.,(2000). The Impact of Prenatal Maternal Stress and Optimistic Disposition on Birth Out Comes Medically High- Risk Woman, Health Psychology , Vol.(19), No. 6, PP.544-553.

Marshal, G., Wortman,C., Kusulas., J., Herring, l.,& Vickers, R. (1992) Distinguishing Optimism From Pessimism: Relations to Fundamental Dimensions of Mood and Personality and Social Psychology. Vol.62, No. 2 , PP. 1067- 1074.

Matthews,E.E ; Cook, P.F.(2008) Relationships among Optimism, Well- being, Self – stranscendence, Coping and Social support in Woman During Treatment for Breast Cancer, American Journal of Preventive Medicine. 10: 338- 345.

Mayer, J. O. & Salovey, D. (1999). Emotional Intelligence. Meets traditional standards for intelligence, Intelligence 27, 267-298.

Meanly,E (2006) IT's about time ,Scholastic scope,55,8, 18-20.

Mulikana ,& Hailey, (2001). The Role of Optimsim in Health Behavior. A.M.J. Health Vehavior , 25, PP. 388- 395.

Ortese, P. T., & Tor-Anyiin, S. A. (2008). Effects of emotional intelligence on marital adjustment of couples in Nigeria. Ife PsychologIA, 16(2), 111.

Peterson ,C;Ruch,W., Beermann,U.,Park.N.,& Seligman,M.,(2007) Strengths of character , Orientations to Happiness, and Life Satisfaction. Journal of Positive Psychology , 2 (3), 149-156.

Peterson, C., (2000). The future of optimism, American Psychologist 55, 1, 44-55.

Peterson, C.,Seligman.M.,& Vaillant,G.,(1988). Pessimistic Explanatory Style is a risk factor for Physical illness: A thirty Five Year longitudinal study , Journal of Personality and Social Psychology, Vol. 55, No.1, pp. 44-55.

Scheier, M.F, & Carver, C.S., (1985). Optimism, coping, and health: Assessment and implications of generalized outcome expectancies, Health Psychology, 4, 219-247.

Segerstrom, S.C., Taylor, S.E., Kemeny, M.E.,& Fahey, J.L. (1998). Optimism is Associated with Mood, Coping, and

Immune Change in Response to Stress. Journal of Personality & Social Psychology, 74, 1646- 1655.

Seligman,M.&Csikszentmihalyi,M.(2000) Positive Psychology: An introduction .American Psychologist,55,1.

Smith, M.B., (1983). Hope and despair: Keys to socio-psychodynamics of youth, American Journal of Psychiatry, 53, 388-399.

Taylor,S., Keneny,M., Aspinwall,L., Schneider,S., Rodriguez, R., & Herbert,M.(1992). Optimsim , Coping , Psychological Distress, and High- Risk Sexual Behavior Among Men at Risk For Acquired Immune Deficiency Syndrome (AIDS), Journal of Personality and Social Psychology , Vol. 63, No. 3 , PP. 460- 473.

Tucker,p(2007) How an expert on time spends his days ,The futurist,Mar,41,2,60-62.

Usman, A. H. (2006). The dynamics of marital Instability in Nigeria. This Day, 5th May. Tawo, R. E. Okon, M.O; Bassey, P. U; & Eze, P. U. (2006). Marital adjustment as an index of family stability. The Counsellor 22 pp. 120-126.

Von Bergen& Martin S. Bressler,(2011) Too Much Positive Thinking Hinders Entrepreneur Success. Journal of Business and Entrepreneurship, Vol. 23, No. 1, March .

Wallace ,H, Masters ,L,A(2001) Personal development for life and Work. (2ed) , cincinati : south - western educational pub.

Weiner, I.B.,& Greene,R.L.(2008).Handbook of Personality Assessment. New jersey: John Wiley.

Whisman, M., Ubelacker,L.,& Weinstock,L,(2004). Psychopathology and Marital Satisfaction: the importance

of Evaluating Both Partners. Journal of Consulting and Clinical Psychology. Vol. 72, No. 5, 830- 838.

Ylostalo, P.V., ; Laitinen .j., Knuuttila, E.L ,(2003). Health Status Among Urban African American Woman : Associations Among Well – Being , Perceived Stress, and Demographic Factors . journal of Behavioral Medicine. Feb, (27), 1 . PP. 63- 76

وحدة نسق القِصَصِ في سورة القَصَصِ

إعداد

دكتورة/ أماني كمال غريب

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد كلية الآداب – جامعة طنطا

يناير ٢٠١٥

وحدة نسق القِصَصِ في سورة القَصَصِ

دكتورة/ أماني كمال غريب

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد كلية الآداب – جامعة طنطا

المقدمـة:

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، وصلى اللهم على سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم إلى يوم الدين ... وبعد،

فينعقد هذا البحث لإبراز صورة من صور وحدة النسق فى السورة الواحدة من القرآن الكريم، والنموذج الذى اخترته هو "وحدة النسق للقِصَصِ فى سورة القَصَصِ". هذا وتُعد وحدة النسق* فى السور القرآنية من أبرز خصائص أسلوب القرآن الكريم. وقد آثرت قبل الولوج إلى قِصَصِ السورة والكشف عن وحدة نسقها أن أعرض فى عجالة لمفهوم وحدة النسق، ولماذا قِصَصُ سورة القَصَصِ؟ يقول الدكتور الحمداوى: "إن وحدة النسق نعنى بها تماسك بناء السورة القرآنية، واتساق معانيها المتشعبة التى تتضمنها ضمن غرض محورى واحد دون تنافر أو تفكك، أو التحام موضوعات السورة القرآنية وتماسك بنائها واتساق معانيها لخدمة مقصود واحد، كما إنه أدل على التكامل والتناسب من الناحيتين المعنوية والبيانية، وأشمل لأجزاء السورة"(١). هذا عن وحدة النسق.

أما عن القصة فى القرآن الكريم فهى إنما تساق للاعتبار بها، ولكل قصة دلالاتها واعتباراتها، وقد أشار البقاعى لهذا قديماً بقوله: "ولأجل اختلاف مقاصد السور، تتغير نظوم القصص وألفاظها، بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك

المقصد"[٢]. هذا، وقد أدرك بعض المفسرين المعاصرين ما أُشير إليه من تكرار بعض قِصَصِ القرآن الكريم وأن هذا قد يكون مغمزاً للطعن فى بلاغة التنزيل العزيز ورميه بالاضطراب، وعدم التلاؤم، ولهذا نجدهم وقد استثمروا وحدة نسق السورة فى توجيه تلك القصص على النحو الذى ينسجم مع روحها[٣]. وممن تعرض لهذا الأمر بالدراسة المفصلة سيد قطب وابن عاشور وسعيد حوَّى.

يقول ابن عاشور: "قد نجد ذكراً لبعض القصة فى موضع وتجد ذكراً لبعض آخر منها فى موضع آخر لأن فيما يذكر منها مناسبة للسياق الذى سيقت له، فإنها تارة تساق للمشركين وتارة لأهل الكتاب وتارة للمؤمنين وتارة إلى كليهما"[٤]. ويقول سعيد حوَّى فى حديثه عن سورة القصص بعينها: "فتجد القصة بجانب التقرير، بجانب الموعظة، بجانب الإنكار يربطه رباط جامع هو سياق السورة الخاص ضمن محورها فى السياق القرآنى العام. وقد رأينا فى هذه السورة نموذجاً لذلك[٥].

هذا، وتتمثل مشكلة الدراسة فى أن سورة القَصَصِ تتألف من عدة قِصَصِ واضحة للعيان، وهذه القِصَصُ تبدو للوهلة الأولى مختلفة الموضوعات، لا صلة مباشرة بينها. ومن هنا يأتى التساؤل عن تلك الصلة المباشرة بين قصة موسى (عليه السلام) وفرعون وملئه، ومحمد (ﷺ) وكفار قريش، وقارون وقومه؟. هذا هو التساؤل المحوريّ الذى تحاول دراستنا هذه الإجابة عليه.

وقد آثرت استخدام كلمة (النسق) فى عنوان البحث؛ لأنه بإدراك وحدة نسق السورة القرآنية، والكشف عن محورها الذى تدور عليه جُل موضوعاتها، وإبراز ما يربط بينها من روابط هو أهم ما يساعد على فهم القصد من معانيها، واستجلاء ما فى طواياها من دلالات مكنونة[٦]. بخلاف كلمات أخرى كان يمكن استعمالها بديلاً

عن كلمة "النسق" هذه، أبرزها كلمة "السياق". وذلك لأن هذه الأخيرة يراد بها فقط سوابق الآية ولواحقها. كما آثرت أن أعنون "بوحدة النسق" لدفع ما قد يُتَوهم من أن السورة ذات موضوع واحد فحسب، فى حين أنها متعددة الموضوعات فى قصصها، متحدة فى هدف واحد لا تتجه إلا إليه(٧).

كما وأن السورة من خلال القصة والعرض تعطينا الكثير من القيم، والآداب. وفى سياقها الرئيسى تبين لنا ظاهرة الرسالة وخصائصها، وتذكر لنا أخلاق المرشحين لها قبلها، وقد جاء ذلك من خلال التعرض لأكبر رسالتين فى التاريخ: رسالة موسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام)(٨).

هذا، وقد حاولت أن أتوصل لوحدة نسق القِصَصِ فى السورة، وإبراز ما بها من روابط بما يعين على استجلاءَ ما كان خافياً فيها، آملة أن أكون قد أستوفيتها، لعلها تشكل إسهاماً فى خدمة كتاب الله – عز وجل – وأرجو أن يكون – العلى القدير – قد مَنَّ علىَّ بالتوفيق، وإن لم يكن فلا ألومن إلا نفسى.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

- **المقدمة:** وتشمل التعريف بالموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث.
- **التمهيد:** ويشمل على:
- تعريف عام بالسورة.

أولاً: تاريخ السورة.

ثانياً: عنوان السورة.

ثالثاً: مقصد السورة وأغراضها.

رابعاً: مناسبة مقاطع السورة لمحورها.

۞ المبحث الأول: القِصَصُ فى سورة القَصَصِ

أولاً: قصة موسى (عليه السلام).

ثانياً: محمد (ﷺ) وصدق رسالته بالحجة والبرهان.

ثالثاً: قصة قارون وبغيه على قومه.

رابعاً: وعد للنبى (ﷺ) وتقرير لوحدانية الله – سبحانه وتعالى.

۞ المبحث الثاني: وحدة النسق بين قِصَصِ السورة

أولاً: نهاية العلو والإفساد والبغى واحدة.

ثانياً: وحدة الحكمة من بعثة موسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام).

ثالثاً: لا مظاهرة ولا مولاة للكفار.

رابعاً: الوعد بالعودة.

خامساً: العدل فى الثواب والعقاب.

سادساً: الله – عز وجل – يهدى من يشاء.

الخاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث.

التمهيد: تعريف عام بالسورة.

أولاً: تاريخ السورة.

سورة القصص مكية كلها باتفاق، إلا ما ذهب إليه "مقاتل" من أن الآيات من قوله تعالى **[الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ]** [القصص: ٥٢] إلى قوله تعالى: **[سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ]** [القصص: ٥٥] مدنية، وما ذهب إليه ابن عباس وقتادة "رضى الله عنهما" إلى أن قوله تعالى: **[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ...]** القصص ٨٥ نزلت بين مكة والمدينة، ويقال: بالجحفة وقت الهجرة إلى المدينة[٩]. وسورة القصص هى السورة "الثامنة والأربعون من حيث النزول، الثامنة والعشرون بحسب الرسم العثمانى، وهى إحدى السور المثانى، وثالثة ثلاثة فى زمرة الطاسينات، وتعد آخر سورة فى قسمها فينتهى بها قسم المئين، ويقال: نزلت بعد سورتى الشعراء والنمل،، وقبل سورة الإسراء، أيها ثمان وثمانون فى جميع العدد، متفقة الإجمال، مختلفة الفواصل"[١٠]. هذا بينما يقول الرازى: "هى سبع أو ثمان وثمانون"[١١] ويعلل الزرقانى سبب هذا الاختلاف بقوله: "إن النبى (ﷺ) كان يقف على رؤوس الآى، تعليماً لأصحابه أنها رؤوس آى، حتى إذا علموا ذلك وصل النبى (ﷺ) الآية بما بعدها، طلباً لتمام المعنى، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبى (ﷺ) ليس فاصلة فيصلها بما يعدها معتبراً أن الجميع آية واحدة، والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها. وقد علمت أن الخطب فى ذلك سهل، لأنه لا يترتب عليه فى القرآن زيادة ولا نقص"[١٢]. ومن ثم فالقائل إنها سبع وثمانون آية ذهب إلى أن الحروف المقطعة فى أول السورة لا تعد آية، والقائل إنها ثمان وثمانون آية ذهب إلى أن (طسم) آية[١٣].

ثانياً: عنوان السورة:

من أبرز خصائص السورة وأهم مميزاتها اسمها أو عنوانها، ولما كانت أسماء السور يُراعى فيها ما تعود العرب عليه من أن التسمية تكون من نادر أو مستغرب فى الشىء، أو من خُلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائى للمسمى(١٤). سميت سورة (القصص) بهذا الاسم، ولا يُعرف لها اسم آخر، وكان يمكن أن تسمى باسم موسى "عليه السلام" لبسط قصته فيها، ولكن اسم القصص أليق وألصق بها(١٥). ووجه التسمية بذلك وقوع لفظ القصص فيها عند قوله تعالى: **[فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ...]** القصص: ٢٥ فالقَصَص التى أضيفت إليه السورة هو قَصَصُ موسى الذى قَصَهُ على شعيب "عليهما السلام" فلما حكى فى السورة ما قَصَهُ موسى كانت هاته السورة ذات قَصَصٍ لحكاية قِصَص، فكان القَصَصُ متوغلاً فيها"(١٦).

هذا ويقول علماء اللغة: قَصَّ أثره: تتبعه، وقَصَّ الحديث: رواه على وجهه، وقَصَّ عليه الخبر قَصَصاً، والاسم القَصَصُ، والقِصَصُ بالكسر جمع القصة التى تكتب، والقِصَةُ والقَصَصُ هى الأخبار المتتابعة"(١٧). والظاهر من سبب تسميتها بسورة القَصَص تناولها لأكثر من قِصَةٍ كَقَصَصِ موسى (عليه السلام) مع فرعون، ومع الرجلين، والوحى إليه، وكفر قومه به، ثم قِصَةُ النبى (ﷺ) مع كفار قريش وتكذيبهم له (ﷺ)، ثم قِصَة قارون مع بنى اسرائيل، وكيف خُسِفَتْ بهم الأرض(١٨).

ثالثاً: مقصد السورة وأغراضها:

مقصد السورة: "التواضع لله المستلزم لرد الأمل كله إليه، الناشئ عن الإيمان بالآخرة، الناشئ عن الإيمان بنبوة محمد (ﷺ) الثابتة بإعجاز القرآن، المظهر للخفايا، على لسان من لم يتعلم علماً قط من أحد من الخلق، المنتج لعلو المتصف به"(١٩). كما نوهت السورة بشأن إعجاز القرآن، وعرضت لعجز بلغاء المشركين عن الإتيان بسورة مثله، وأكدت على أن عاقبة الظلم مُظْلِمة، وأن الصابرين إنما يوفون أجورهم، وأن العاقبة للحق وأهله، والعقاب للباطل ومن اتبعه، ففرعون واتباعه لم تنفعهم سلطة ولا طغيان، وقارون لم ينفعه ماله إنما صار عبرة لمن خلفه، وكان يتمنى مالاً مثلما تمنى(٢٠).

أما عن أغراض السورة فيقول الغرناطى: "التخويف والترهيب والإنذار والتهديد ما أنجر معه الإشعار بأنه "عليه السلام" سيملك مكة ويفتحها عليه، ويذل عتاة قريش ومتمرديهم، ويعز اتباع رسوله (عليه السلام) ومن استضعفته قريش من المؤمنين"(٢١). ويقول ابن عاشور: "اشتملت السورة على التنويه بشأن القرآن والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله ..، وأن سوق القصص فيها إنما للعبرة والغطة ليعلم المشركون سنة الله فى بعثه الرسل ومعاملته الأمم المكذبة لرسلها، وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك وإنذارهم إنذاراً بليغاً"(٢٢).

إذن فالسورة جاءت داعمة ومطمئنة للمسلمين، وجاءت لتظهر الصراع بين الخير والشر، حيث يتمثل الخير فيها فى موسى "عليه السلام" ومحمد (ﷺ) وإن كان الأول (عليه السلام) بشكل مباشر، والثانى (ﷺ) بشكل غير مباشر. أما الشر فيتمثل فى فرعون وقارون بشكل مباشر، وبشكل غير مباشر فى كفار قريش الذين كانوا

يؤذون النبى (ﷺ) وأصحابه، ومن ثم فالغرض الرئيسى للسورة لم يكن بشكل مباشر لعرض ذلك الصراع الدائم المحتدم بين الحق والباطل فى حد ذاته بقدر ما كان للعظة والاعتبار من جراء ذلك الصراع، والتأكيد للمؤمنين الصابرين أنهم أصحاب الفوز العظيم، وأن الظالمين المتجبرين إنما ينتظرهم هلاك عظيم.

رابعاً: مناسبة مقاطع السورة لمحورها:

تتناسب مقاطع سورة القصص مع محورها الرئيسى الذى سبق أن أشرت إليه آنفاً، ألا وهو الصراع الدائم المحتدم بين الحق والباطل، والعظة والاعتبار من بغية ذلك الصراع، وتوضيح جزاء أهل الظلم والطغيان، وعاقبة المؤمنين.

يقول سعيد حوَّى: "تبدأ السورة بقوله تعالى: **[طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]** القصص ١: ٣ التشابه بين بداية السورة وآية المحور **[تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ]** يقابلها فى السورة **[تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ] [نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ]** يقابلها **[نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ]** فلنلاحظ التشابه الكامل بين البداية وبين محور السورة ..... ثم يسير السياق مناقشاً الذين كفروا بآيات الله وبرسالة محمد (ﷺ) مقيماً الحجة تلو الحجة عليهم، وكل ذلك تفصيل لمحور السورة"[٢٣]. هذا ويمكننا تقسيم السورة إلى أربعة مقاطع تخدم الهدف الرئيسى لها، وتتفق مع محورها العام.

المقطع الأول من قوله تعالى **[طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ]** [١، ٢] إلى قوله تعالى **[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]** [٤٣]، ويدور حول مشاهد من قصة موسى

(عليه السلام) وفرعون بما يخدم قضية رسالة محمد (ﷺ).

والمقطع الثانى من قوله: **[وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنْ الشَّاهِدِينَ]** [٤٤] إلى قوله تعالى: **[وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ]** [٧٥] ويدور حول مواقف أهل الكتاب الصادقين من رسالة محمد (ﷺ)، وأن الحق – تبارك وتعالى – أقام الحجة على رسالة نبيه (ﷺ) وعلى الرغم من أن النبى (ﷺ) من المرسلين إلا أن مهمته تنحصر فى التبليغ، أما الهداية فللحق – تبارك وتعالى – وحده يهدى من يشاء، لأنه وحده – جل وعلا – هو العليم بمن يستحقها.

والمقطع الثالث من قوله تعالى: **[إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ]** [٧٦] إلى قوله تعالى: **[مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]** [٨٤] ويدور حول قصة قارون، وقومه وبغيه عليهم، والعظة من تلك القصة بأن ثواب الحق – تبارك وتعالى – خير من حسنة عباده، وأن الله – عز وجل – من كمال فضله على خَلقِه أنه يجزى السيئة بمثلها، ويجزى الحسنة بعشر أمثالها. أما المقطع الرابع والأخير فمن قوله تعالى: **[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ]** [٨٥] إلى قوله تعالى: **[وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]** [٨٨] ويدور حول تذكير النبى (ﷺ) بنعم الله – جل وعلا – عليه التى لا تحصى، ووجوب الشكر للعلى القدير مقابل النِعَم، وأن الدائم الباقى هو الحق –

سبحانه وتعالى – الحى القيوم الذى لا يموت[٢٤]. وعليه فكل ما عرضت له من مقاطع للسورة الكريمة يتناسب مع محورها، كما ينسجم سياق آياتها العام مع ذلك المحور، وكأن السورة بمحورها، ومقاطعها، وسياق آياتها تمثل موضوعاً واحداً متماسك الأطراف، يوضح أن الغى والشر يحملان فى ذاتهما أسباب هلاكهما، وأن قدرة الحق – تبارك وتعالى – تنصر المستضعفين المعتدى عليهم، وأن المؤمنين الصادقين هم الوارثون.

المبحث الأول: القِصَصُ فى سورة القَصَصِ

تطرب النفس البشرية، وتجد الإثارة والاستفادة من سماع القِصَص، ولهذا تعد القصة من أهم الأساليب المستخدمة فى توضيح الأشياء ورسمها فى الذهن والوجدان. ولما كان القرآن الكريم يخاطب الناس كافة فى كل زمان ومكان، كان من غير المنطقى أن ينأى عن ذلك الموروث الثقافى، لهذا اتخذ من أسلوب القصة منهجاً فى حديثه إليهم لما فيه من فائدة كبيرة فى التعلم والاعتبار والعظة. والقِصَصُ فى القرآن الكريم هى: "إخبار عن أحوال الأمم الماضية وتاريخها، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، ووقائع الماضى، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه"[٢٥]. كما سيقت القصة فى القرآن الكريم كذلك لتحقيق أغراض دينية بحتة مثل إثبات الوحى والرسالة، ووحدانية الله ومظاهر قدرته – جل وعلا –، والإنذار والتبشير، وعاقبة الخير والشر، والصبر والجزع، والشكر والبطر، وكثير غيرها من تلك الأغراض الدينية[٢٦].

والقصة القرآنية فى كل هذا جاءت فى أسلوب معجز، وهى على ما تمتاز به من دقة التصوير، وجمال التعبير، وقوة التأثير، فإنها لم تُقْصد لذاتها، ولم تفرد

بموضوع معين، إنما جاءت ضمن أسلوب القرآن الكريم، فى توضيحه للهدف المنشود، ومن ثم تتكرر القصة القرآنية فى موضع عدة، حينما تكون ذات دلالات واضحة على أكثر من مغزى وهدف، ولهذا يكون لها أعظم الأثر فى كل موضع وغرض تهدف إليه، مع ملاحظة عدم نزولها عن الدرجة العليا من الفصاحة والبلاغة. هذا ولم تخرج القصة القرآنية عن تصوير الواقع، ولم تلجأ إلى الخيال فى انتقاء شخصيات القصة وأدوارها بما قد يخرجها عن الحق والواقع، الذى نصت آيات القرآن الكريم فى مواقع متعددة على أنهما منهج القرآن الكريم فى حديثه للناس كافة[٢٧]. يقول الحق تبارك وتعالى: **[وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً]** [الإسراء: ١٠٥]، وقال تعالى: **[نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى]** [الكهف: ١٣]، وقال تعالى: **[نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]** [القصص: ٣].

ومن الملاحظ أن تكرار القصة الواحدة فى مواضع عدة من القرآن الكريم لا يتناول القصة كاملة فى مكان واحد، إنما يشير إلى بعض الحقائق التى تخدم ما ذكرت فيه من سياق. إذن القصة فى القرآن الكريم قد تعرض فى السورة من الزاوية التى تؤدى الغرض منها، ومن الناحية التى تتفق وإياه، ومن ثم قد تعرض إما من أولها، أو من وسطها أو من نهايتها هذا وتسد ما فى القصة من فجوات بخيال القارئ والسامع.

وقد تذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هى معه فلا يعد ذكرها مع غرضها تكراراً لها لأن سبق ذكرها إنما كان فى مناسبات أخرى. ومن أجل ذلك تجد ذكراً لبعض القصة فى موضع وتجد ذكر البعض آخر منها فى موضع آخر لأن فيما

يذكر منها مناسبة للسياق الذى سيقت له، فإنها تارة تساق للمشركين، وتارة إلى أهل الكتاب، وتارة للمؤمنين. ولهذا تتفاوت بالإطناب والإيجاز على حسب المقامات[٢٨]. فإذا ما عرضنا لسورة القَصَصُ وما جاء فيها من قِصَصِ لوجدنا أن تلك الأغراض وما يترتب عليها من آثار مرئية بوضوح وجلاء تام.

أولاً: قصة موسى (عليه السلام)

موسى (عليه السلام) هو: ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم[٢٩]. أما الفرعون فلم يرد بأى من النصوص اسم له، ولا يعرف على وجه الدقة من هو الفرعون التى تجرى حوادث القصة فى زمنه لأن العبرة والعظة تؤخذ من موقفه لا من اسمه[٣٠].

وتبدأ السورة بما قبل ميلاد موسى (عليه السلام)، من طغيان فرعون، واستعباده لبنى إسرائيل واستضاعفهم، ثم تتطرق لميلاد موسى (عليه السلام)، وطفولته، فمراحله العمرية والمعيشية ما بين الخوف والأمان، ثم خروجه من مصر إلى مدين وما حدث معه فيها، ثم خروجه منها وعودته. ثم تكليفه بالرسالة، وما حدث من مواجهة بينه وبين الفرعون، ولجوء الفرعون للمراوغة والخداع، ثم عقاب الحق – تبارك وتعالى – له ولكل الجبابرة الظالمين.

يقول سيد قطب: "ولقد كانت قصة موسى (عليه السلام) تبدأ غالباً فى السور الأخرى من حلقة الرسالة، لا من حلقة الميلاد حيث يقف الإيمان القوى فى وجه الطغيان الباغى ثم ينتصر الإيمان وينخذل الطغيان فى النهاية. ولكن ليس هذا هو المعنى المقصود هنا، إنما المقصود أن الشر حين يستشرى يحمل أسباب هلاكه فى ذاته، وحين يتمرد البغى لا يحتاج من البشر من يدفعه إنما لابد من تدخل يد الحق

– تبارك وتعالى – لتأخذ بيد المستضعفين المعتدى عليهم فتستنقذ عناصر الخير فيهم وتنقذهم، هذا هو المراد من قصة موسى (عليه السلام) فى هذه السورة، ولهذا عُرضت من الحلقة التى تؤدى هذا الغرض وتوضحه(٣١).

أ – فرعون وطغيانه، ووعد الحق – جلا وعلا – للمستضعفين، ووعيده للمفسدين.

قال تعالى: **[نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]** إلى قوله تعالى **[إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ]** [٢: ٤]، والقصة تحدث وسط أجواء مليئة بالكراهية والبغض لبنى إسرائيل بأمر من الفرعون نفسه، وبرعاية كهنته وسحرته، وهو ما جاء موجزاً فى بداية السورة وكان بنو إسرائيل أحسن أهل زمانهم، وابتلوا بتسلط ذلك الفرعون عليهم فاستعبدهم واستذلهم وسخرهم لأبخس الأعمال، وقتل أبناءهم من الذكور. قال تعالى: **[يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ]** يقصد بها تذبيحاً كثيراً؛ فيقل عدد الرجال، واستبقى على الإناث بما يؤدى لضعف قوتهم(٣٢).

وفى خضم محنة بنى إسرائيل مما تلقاه من الفرعون الطاغية، وبعد كل ما اتخذ من الاحتياطات، وكل ما أصدر من التعليمات الصارمة لذبح الذكور. إلا أن إرادة الله تعالى كانت على غير إرادته.

يقول ابن عاشور: "فإن إرادة الله الخير بالذين استضعفهم فرعون من تمام نبأ موسى وفرعون، وهو موقع عبرة عظيمة من عبر هذه القصة(٣٣). ويأتى وعد الحق – تبارك وتعالى – للمستضعفين فى الأرض بتمكينهم منها أضخم تمكين، وجعلهم أصحاب سلطان عليها، وينفذ أمرهم فيها بما يقضى على فرعون وملئه يقول تعالى: **[وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا**

يَحْذَرُونَ] [٥، ٦]. يقول البقاعى: "ولما ذكر التمكين، ذكر أنه مع مغالبة الجبابرة"(٣٤) وهو ما كانوا يخشونه وذبحوا بسببه ذكور بنى إسرائيل.

وفى هذا إعلان من الحق – تبارك وتعالى – عن قدرته الإلهية فى التدبر والتصرف وأنه هو الحكيم القدير الذى يَمُنّ على عباده بهباته كيفما شاء. ووسط تلك الأجواء من خوف وقلق واضطراب، يولد موسى (عليه السلام) لأم حائرة، خاشية وصول نبأ ميلاده للفرعون وأعوانه، حيث كانوا بالمرصاد لكل ذكر يولد.

ب – الميلاد، وتهيئة أسباب النجاة:

قال تعالى: **[وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ]** [٧] فإذا بوحى يأتى لأم موسى وُصف بأنه: "وحى إلهام لا وحى نبوة"(٣٥)، أو بأنه "وحى إعلام لا إلهام"(٣٦). والظاهر أن هذا الوحى إليها كان عند ولادته وأنها أمرت بأن تلقيه فى اليم عند الضرورة دفعاً للضر المحقق بالضر المشكوك فيه، ثم ألقى فى يقينها بأن لا بأس عليه(٣٧). ثم يقول الحق تبارك وتعالى: **[فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ * وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ]** [٨، ٩].

هكذا تسير أحداث القصة وفقاً لإرادة الحق – تبارك وتعالى–، وها هو الطفل وسط الماء فى أمان، لتلتقطه اليد التى أرادها المولى – عز وجل – لإنقاذه بدلاً من ذبحه، ويدخل الطفل بيت الفرعون بحمايته وبرعايته، بل يربيه الفرعون لتنفذ كلمة الحق – جلا وعلا – بنهايته على يديه، يقول سعيد حوَّى: "فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم"(٣٨). ويقول ابن كثير: "أراد فرعون بحوله

وقوته أن ينجو من موسى" (عليه السلام) فما نفعه ذلك مع قدرة الملك العظيم، الذى لا يخالف أمره القدرى ولا يُغلب، بل نفذ حكمه بأن يكون هلاك فرعون على يديه، ويكون الغلام الذى احترز من وجوده وقتل بسببه ألوفاً من الولدان، إنما منشؤه ومرباه فى دارك، وغذاؤه من طعامك، وحتفك وهلاكك هلاك ذويك على يديه، لتعلم أن رب السماوات، هو القوى العزيز، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"(٣٩).

وتسير الأمور وفق إرادة العلى القدير، فيعود موسى (عليه السلام) إلى دفء أمه وحنانها، ويطمئن فؤادها لتلك العودة.

قال تعالى: **[وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ * وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ]** [١٠: ١٣].

وكان العلى القدير قد حرم على موسى (عليه السلام) المراضع "تحريم منع لا تحريم شرع"(٤٠) تحريماً قدرياً حتى لا يرضع إلا ثدى أمه، وجعل ذلك سبباً لرجوعه إليها(٤١). هذا وبانتهاء المنع الإلهى والتقاط الطفل لثدى أمه، بعد رفضه لكثير غيره، يكون الغائب قد عاد "لأمه الملهوفة، معافى فى بدنه، مرموقاً فى مكانته، يحميه فرعون، وتراه امرأته، وتضطرب المخاوف من حوله، وهو آمن قرير"(٤٢).

إلى هنا تنتهى مقدمة القصة، بما فيها من أجواء مشحونة بالكراهية، مروراً بطفولة موسى (عليه السلام) ونجاته من بطش فرعون وملئه. وأن الحق – جلا وعلا – إذا أراد شيئاً هيأ له من الأسباب التى لا تخدم إلا مراده وحده سبحانه وتعالى.

جـ- قوة موسى (عليه السلام)، وقتله لعدوه، وخروجه من مصر.

قال تعالى: **[وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ]** [١٤] وتبدأ المرحلة التالية من حياة موسى (عليه السلام) وهى مرحلة الشباب، ويقول بعض المفسرين: ما بين الثلاثين والأربعين، ويلحظ فيها نمو البدن، واكتمال القوة والعقل. وكان الحق – تبارك وتعالى – قد منَّ على موسى (عليه السلام) بالأخلاق الحميدة، والحكمة، وتمام العقل، والعلم فى تلك المرحلة بما يؤهله للمراحل التالية إلى أن يصل للنبوة. وذلك لأن النبوة لم تكن حاصلة بالاكتساب؛ إنما – العلى القدير – يخلق للنبوة من أراده لها لخطر أمرها بخلاف غيرها مما يمكن اكتسابه(٤٣). قال تعالى: **[وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ]** القصص ١٥: ١٧

إذن فلما دخل موسى (عليه السلام) المدينة والناس قائلون* وجد رجلين يتنازعان، أحدهما ممن شايعه على دينه (بنى إسرائيل)، والآخر على دين فرعون، فانتصر وأغاث المظلوم من شيعته، ووكز الظالم بقبضته فلقى حتفه، وفيها دليل على قوة وفتوة موسى (عليه السلام)، وتلك الحادثة كانت فارقة فى حياة موسى (عليه السلام)، ندم عليها، وتاب إلى الله – جلا وعلا – وطلب مغفرته من زلته تلك، ثم عزم على الامتناع من عون أهل الظلم(٤٤). يقول سيد قطب: "يبدو من السياق أنه لم يكن يقصد قتل القبطى، ولم يعمد إلى القضاء عليه. فما كاد يراه جثة هامدة بين

يديه حتى استرجع وندم على فعلته، واتخذ على نفسه عهداً مطلقاً ألا يقف فى صف المجرمين ظهيراً ومعيناً"(٤٥).

قال تعالى: **[فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْمُصْلِحِينَ * وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ]** القصص ١٨: ٢١ هكذا تستمر القصة، ويترقب موسى (عليه السلام) انكشاف أمر قتله للقبطى، وإذا بالذى استنصره بالأمس يستغيثه اليوم، فيجد نفسه مضطراً لحماية المظلوم مرة ثانية. وإن كان موسى (عليه السلام) قد لام مستنصره، واتهمه أنه غَوى ضال عن الرشد. يقال: "غوى بعراكه هذا الذى لا ينتهى واشتباكاته التى لا تثمر، فلا قيمة لمثل هذه الاشتباكات التى تضر ولا تفيد"(٤٦). ورغم لوم موسى (عليه السلام) للإسرائيلى إلا أنه كان غاضباً كغَضْبَةِ الأمس الذى قَتَلَ فيها الفرعونى، وكان الإسرائيلى لما رآه تشمر للبطش ظن أنه يريده فأفشى عليه، بعد ما كان قتيل الأمس مكتوماً أمره لا يُعرف قاتله. وما كان من الفرعونى إلا أن أفلت؛ وأخبر الفرعون بأن القاتل هو موسى (عليه السلام)؛ فأمر الفرعون بقتل موسى (عليه السلام).

وهكذا تتدخل إرادة الله – سبحانه وتعالى – مرة أخرى حيث تُفرج الأمور بعد أن تضيق، ويُنْتَدَبُ شخص فى اللحظة المطلوبة، لتتم مشيئة السميع القدير. ونجد

موسى (عليه السلام) بعد فترة من الأمان، حائراً، مطارداً، مجرداً من كل قوى الأرض مرة ثانية. يبحث عنه فرعون وأعوانه لينالوا منه ما لم ينالوه فى صغره، إلا أن إرادة الله تعالى التى حمته ورعته فى صغره، تحميه وترعاه إلى الآن(٤٧). وها هو ذا موسى (عليه السلام) يخرج من أرض مصر.

ء – قصة صاحب مدين وابنتيه مع موسى (عليه السلام).

قال تعالى: **[وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ]** [٢٢: ٢٨].

تبدأ هنا مرحلة جديدة من مراحل حياة موسى (عليه السلام) بعد نجاته من فرعون وأتباعه، مرحلة توضح مكارم الأخلاق التى حباها الحق – تبارك وتعالى – لموسى (عليه السلام)* فى إشارة تحضيرية لنبوته، ولحملة الرسالة. فإذا به يرى مشهداً لا تستريح إليه النفس صاحبة المروءة، السليمة الفطرة، كنفسه (عليه السلام)،

وهو قادم من سفر طويل هائماً على وجهه، بلا زاد أو استعداد من خلفه أعداء لا يرحمون. إنما هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعى المروءة والنجدة، وإقرار الأمور الطبيعية التى تعرفها النفوس"(٤٨). وهنا تتدخل إرادة الله – السميع القدير – مرة ثالثة فيستجيب لدعاء موسى (عليه السلام) وتضرعه، فهيأ له أبا المرأتين، فيدعوه إلى بيته، ويأويه ويبشره بالنجاة من ظلم فروعون وأتباعه(٤٩).

وفى توالٍ لنعم العلى القدير على موسى (عليه السلام)، وفى صراحة لا تنقصها البساطة يعرض الشيخ الكبير عليه الزواج بإحدى ابنتيه، مع وعد له بأنه لن يشق عليه فيما يُطلب منه. ومن ثم مكث موسى (عليه السلام) فى بيت الشيخ، آمناً من بطش فرعون وأعوانه، ولحكمة لا يعلمها إلا من قدرها كان هذا الذى كان، ووافق موسى (عليه السلام) وجُعل الأمر بينهما على التراضى مع التأكيد على حق موسى (عليه السلام) دون تبعة عليه فى قضاء أى الأجلين(٥٠).

هـ – العودة إلى مصر والتكليف بالرسالة:

قال تعالى **[فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنْ الآمِنِينَ * اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي**

رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ] القصص من ٢٩: ٣٥

هكذا وبعد ما قضى موسى (عليه السلام) الأجل* الذى عقده بينه وبين صهره، قرر العودة إلى مصر برفقة زوجه، بعد ما استكملت نفسه (عليه السلام) تجاربها، وأكملت دربتها، ما بين حياة القصور وحياة رعاة الغنم، بكل ما فيهما من تضارب ما بين رغد العيش وشظفه، وكأن الحق – تبارك وتعالى – كان يعده لتلك المهمة الكبيرة التى تنتظره بما يناسبها. وتستمر الآيات فى عرضها لرحيل موسى (عليه السلام) وأنه ضل طريقه فى ليلة يصفها المفسرون بقولهم: "ليلة ملظمة، مطيرة، شديدة البرد"(٥١). وبينما الأمر كذلك إذ يبصر ناراً عن بعد فيأمر أهله بالانتظار لعله يأتيهم من تلك النار بما يستدفئون. ثم يبدأ نداء الحق – جل وعلا – لموسى (عليه السلام) فيتلقاه. يقول السيوطى: "موسى (عليه السلام) يريد أن يقتبس لأهله ناراً فأخرجه الله إلى ما هو خير من ذلك: كلمة الله تعالى(٥٢). ثم يبدأ الوحى، والتكليف بالرسالة. قال تعالى: **[... أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ]** [٣٠]، وتبدأ الإشارات فيريه الله – سبحانه وتعالى – آياته. قال تعالى **[وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنْ الآمِنِينَ]** يُقال "وكيف لا يأمن من تنقل يد القدرة خطاه، ومن تراه عين الله!"(٥٣).

وتتوالى الخوارق قال تعالى: **[اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ]** [٣٢] ففى قوله تعالى دلالة على أن الحق – جلا وعلا – آتاه آية أخرى، وفيه دليل على قدرة الله الفاعل(٥٤). وبعد ارتجاف موسى (عليه السلام) مما رآه من آيات

الله – سبحانه وتعالى – جاءه التكليف بالذهاب إلى فرعون وقومه لأنهم **[كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ]** [٣٢] الآن يتلقى موسى (عليه السلام) ما أعد له منذ طفولته، وما وُعِدَتْ به أمه فى قوله تعالى: **[إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ]**. ويتوالى حديث موسى (عليه السلام) راجياً المولى – عز وجل – وطالباً عونه ومساعدته على ما هو مقبل عليه. قال تعالى: **[قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ]** [٣٣: ٣٥].

ويستجيب الحق – جل وعلا – لموسى (عليه السلام) فى طلبه للمساندة فى المواجهة مع من قتل منهم نفساً، ويخشى أن يقتلوه. فيشد عضده بأخيه، يزيده طمأنةً؛ فلن يذهبا مجردين إلى فرعون وملئه، إنما سيذهبان مزودين بسياج من الحق – تبارك وتعالى – لا تنالهما معه يد طاغية، إنما الغلبة لله – سبحانه وتعالى – ولآياته لأنها وحدها هى السلاح(٥٥).

و – موسى (عليه السلام) فى مواجهة الفرعون وملئه:

قال تعالى: **[فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ * وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ * وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ**

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] القصص ٣٦: ٤٣

هكذا وفى حوار سريع متعاقب بين الحق والباطل، يشمل التكذيب، والافتراء، والاتهام. يبرز استكبار فرعون وملئه، فيَدَّعُونَ السحر على موسى (عليه السلام) دون ما حجة أو برهان. فما قدموا حجة ليناقشها، ولم يطلبوا دليلاً فيقدمه، إنما هم يمارون". ويستمر الفرعون فى غيه وطغيانه وخداعه لقومه*. قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا الْمَلأ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي]** [٣٨]. وفى حزم وحسم، وتعجيل بنتائج الاستكبار والطغيان فى الأرض، أنزل الحق – تبارك وتعالى – عليهم العقاب بنبذهم فى اليم. قال تعالى: **[فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ]** [٤٠] ففى قوله تعالى: **[نَبَذْنَاهُمْ]** احتقار لهم، فكانوا على كثرتهم وقوتهم كحصيات صغار قذفها الرامى الشديد الذراع من يده فى البحر، فغابوا فى الحال، وما آبوا. ذهبوا فى طرفة عين، كأن لم يكونوا، وغابوا عن العيون كأنهم قط لم يبينوا(٥٦). وفى قوله تعالى: **[وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ]** القصص: ٤٢. بيان لعقاب العصاة الظالمين من جنس أعمالهم، لعنة فى الدنيا، وهلاك فى الآخرة. وعلى كل طاغية تجبر واستكبر فى الأرض، وتطاول على الله – جلا وعلا – وعلى عباده أن يعلم أن تلك نهايته لا محالة. وفى قوله تعالى: **[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]** [٤٣]. بيان لنصيب موسى (عليه السلام) وعاقبته الكريمة. كتاب من الله – تبارك وتعالى –

يبصر الناس كأنه بصائرهم التى بها يهتدون، ويتذكرون كيف تتدخل يد القدرة بين الطغاة والمستضعفين، فتختم للطغاة بالهلاك، وللمظلومين بالخير، لعلهم يتعظون[٥٧]. إلى هنا تنتهى قصة موسى (عليه السلام) وفرعون وأعوانه بعدما جعل الحق – تبارك وتعالى – قصة ذلك الطاغية عبرة يتعظ بها الناس إلى أن تقوم الساعة.

ثانياً: محمد (ﷺ) وصدق رسالته بالحجة والبرهان:

لم تعرض السورة لمراحل حياة النبى (ﷺ) كما عرضت لمراحل حياة موسى (عليه السلام) ونشأته ونبوته. وهذا لأن النبى (ﷺ) كان موجوداً مع من أُنزلت عليهم رسالته (عليه الصلاة والسلام)، كان واقعاً عاصروه من مولده وإلى تكليفه بالدعوة لله – سبحانه وتعالى – ولهذا فالقرآن الكريم كله لم يعرض لحياة محمد (ﷺ) على سبيل القص أو السرد كسابقيه من الأنبياء الذين لم يُعَاصَروا بما تطلب ذكر سيرهم بتفصيلاتها.

وكان المولى – عز وجل – قد اصطفاه (ﷺ) بما لم يكن لغيره من الرسل والأنبياء، وقد عَرَضَ (ﷺ) لهذا كثيراً فى أحاديثه. فَرُوِى عنه (ﷺ) قوله: **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**"[٥٨]. **وروى أبو هريرة (رضي الله عنه) قوله (ﷺ): "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**"[٥٩]. إذن فهذه بعض المنح التى منحه إياها الحق – تبارك وتعالى – وتمضى السورة فى سياقها، وتقدم دلائلها على صدق دعوة محمد (ﷺ) بالحجة الدامغة؛ فهو يتلو

تفصيلات الأحداث فى قصة موسى (عليه السلام) وكأنه عايشها وقت حدوثها. يقول ابن عاشور: "إن طريق العلم بغير المشاهدة له مفقود منه ومن قومه، إذ لم يكونوا أهل معرفة بأخبار الرسل كما كان أهل الكتاب، فلما انتفى طريق العلم المتعارف لأمثاله تعين أن طريق علمه هو إخبار الله تعالى إياه بخبر موسى (عليه السلام)"(٦٠) إذن هو الوحى يأتيه من لدن خبير عليم.

أ – صدق دعوى الوحى لمحمد (ﷺ)

قال تعالى: **[**وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنْ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمْ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَلَوْلا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ * قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] القصص من ٤٤: ٥١

ويستمر سياق الآيات على ذات النحو، فى تأكيد على أنه (ﷺ) أُخبر بالغيوب الماضية*. قال تعالى **[وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ]** [٤٥] وأنه (ﷺ) ما كان مقيماً فى أهل مدين ليعرف تفاصيل ما

حدث فيقصه بدقة، إنما أُوحى إليه وأخبر بكل التفصيلات لينذر من لم يأتهم نذير*.

قال تعالى: **[وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]** [٤٦] إذن هى رحمة الله بالقوم، وهى حجته عليهم، كى لا يعتذروا بأنهم أُخِذُوا على غرة، وأنهم لم ينذروا قبل أخذهم بالعذاب، فأراد الله أن يقطع حجتهم، وأن يعذر إليهم، وأن يقفهم أمام أنفسهم مجردين من كل عائق يعوقهم عن الإيمان(٦١). وعليه فالآيات تبين أن الحكمة من إرسال الأنبياء إنما هى إبطال تعلل الكفار باستمرارهم على كفرهم لعدم مجيء رسول إليهم لينصحهم ويرشدهم، وتلك العلل كاذبة، فأهل الضلال يتشبثون بالشبهات، ولو أرادوا الإيمان لكفتهم آية واحدة، ولو عادوا لفطرتهم لعرفوا الحق واتبعوه دون لجج(٦٢). وفى قوله تعالى: **[فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]** [٥٠] خطاب موجه إلى النبى الأكرم من المولى – عز وجل – لِيُعْلِمهُ أن مواقف الكفار على ما هى عليه لا تتغير بتغير المكان أو الزمان، وأنهم يستحسنون ما يحببه لهم الشيطان، وأن استمرارهم على كفرهم إنما هو اتباع لأهوائهم، وأنه لا أحد أضل ممن اتبع فى الدين هواه*. **[إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]** الآية قاطعة فاصلة فليس ثمة عذر للكفار بعدم وصول الهدى إليهم، وعرض الإيمان بالله – جل وعلا – عليهم. ثم يقول الحق – تبارك وتعالى –: **[وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]** القصص: ٥١ يقول النسفى: "التوصيل تكثير الوصل، وتكريره يعنى أن القرآن آتاهم متتابعاً متواصلاً، وعداً ووعيداً، وقصصاً وعبراً، ومواعظ ليذكروا"(٦٣). ولكنهم على غيهم لا يتعظون.

ب – الصبر على إتباع الحق، والإيمان بما أَنْزَلَ الله تعالى.

قال تعالى: **[الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ]** [٥٢: ٥٥].

تدور الآيات حول الموحدين المخلصين للحق – تبارك وتعالى – المستجيبين له – جل وعلا – الصابرين على اتباع الحق متجشمين فى سبيله كل ما هو شاق على النفوس. يقول الزمخشرى: الضمير فى **[مِنْ قَبْلِهِ]** للقرآن، وفى قوله تعالى: **[وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ....]** الفرق بين الاستئنافين (إنه وإنا) أن الأول: تعليل للإيمان لأن كونه حقاً من الله حقيق بأن يؤمن به، والثانى: بيان لقوله **[آمَنَّا بِهِ]** لأنه يحتمل أن يكون إيماناً قريب العهد وبعيده، فأخبروا أن إيمانهم به متقادم؛ لأن آباءهم القدماء من قبل وجود الإسلام كانوا مسلمين، كائنين على دين الإسلام؛ لأن الإسلام صفة كل موحد مصدق للوحى"[٦٤]. وفى قوله تعالى: **[أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا]** حديث عن الصابرين على الإيمان بما أَنْزَلَه الحق – تبارك وتعالى – المستقيمين على دينه، المغالبين للشهوات والهوى، الحالمين على الأذى. أولئك يؤتون أجرهم مرتين لأنهم صبروا صبراً عسيراً على النفوس، ولإيمانهم بالكتابين التوراة والقرآن[٦٥]. لما روى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "**ثَلاَثَة لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلُ مِنْ أَهِلْ الْكِتَابِ أَمَنَ بِنَبِيِه، وَآمَنَ بِمُحَمَدٍ (ﷺ) .... الحديث**"[٦٦] ثم من صفات هؤلاء الصابرين الصادقين أنهم **[وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ]** يقول

المفسرون: "يدفعون بالحسن من الكلام ما يَرِدْ عليهم من شيء غيرهم، فيردون على أذى الكفار بالشتم والسب بالصفح والعفو. ودرء السيئة بالحسنة تعد من أعظم خصال الخير. ويقال: إنما درجة من السماحة الراضية، التى ترد القبيح بالجميل، وتقابل الساخر بالهدوء والرحمة والإحسان، وهو أفق من العظمة لا يبلغه إلا المؤمنون، فيلقون ما يلقون من الناس راضيين مطمئنين"(٦٧). ومن صفاتهم أيضاً أنهم ينفقون من رزقهم الحلال الذى منحهم الحق – تبارك وتعالى – على خلق الله فى كل أوجه الإنفاق من زكاة وصدقات وتطوعات. والمولى – عز وجل – ذكر جودهم بالمال بعد جودهم بالإحسان لأن كليهما من معين واحد منبعه كبح شهوات النفس.

وفى قوله تعالى **[وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ]** [٥٥] تستمر الآيات فى مدحها للموحدين المخلصين للحق – تبارك وتعالى – وتذكر من صفاتهم الإعراض عن عبث الكلام الذى لا فائدة ولا طائل منه وهذا الخُلق من مظاهر الحكمة والعقل، إذ لا ينبغى شَغْل السمع واللب بما لا جدوى له، والأولى أن يتنزه العاقل عن أن يصدر منه ذلك، ومن أحسن ما يجاب السفهاء قوله تعالى: **[لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ]** فهو أقرب لإصلاحهم وأسلم من تزايد سفههم(٦٨). ثم القول الفصل وأسباب المتاركة والبعد والعزوف **[لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ]** يقول ابن عاشور: "الجملة تعليل للمتاركة أى لأنا لا نحب مخالطة أهل الجهالة بالله ويدين الحق، وأهل خلق الجهل الذى هو ضد الحلم فاستعمل الجهل فى معنييه المشترك فيها"(٦٩).

ج – صراع على الزعامة، وعلة لعدم الاتباع.

ينتقل حديث الآيات إلى تقرير استقامة دين محمد (ﷺ) وصرامته، وأن أمر

الهداية مِنَهُ لله وحده، وأن النبى (ﷺ) ليس عليه التوفيق إلى الهدى، إنما تقتصر مهمته على البيان. قال تعالى: **[إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ]** [٥٦]* فالله له الحكمة والحجة لأنه أعلم بمن يستحق الهداية، ويختارها ويَقْبَلَها، ويتعظ بدلائلها. وبمن يستحق الغواية وهى دربه ومسلكه(٧٠). ثم يبدأ الكفار فى تعليل عدم اتباعهم لمحمد (ﷺ)، وكأنهم لا يعلمون أن الحق – سبحانه وتعالى – هو الحارس من كل أمر، وأنه وحده القادر على كل شىء.

قال تعالى: **[وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعْ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ * وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ]** [٥٧: ٦١].

هنا بداية ادعاء الصراع بين مشركى مكة مع غيرهم ممن حولهم من المشركين على مكانتهم ووجاهتهم بين القبائل. وادعاؤهم أن سبب الصراع هو عدم منازعتهم القيادة، حتى وإن امتنعوا عن اتباع الحق فى سبيل هذا الذى يدعون. فيرد عليهم الحق – جل وعلا – بقوله: **[أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً]** فإذا كان العلى القدير "خولهم من المن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام. فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة

الإسلام؟"[٧١] فهل من وفر لهم الأمان وهم عصاة كفرة، يسلبهم إياه وهم على دينه؟ **[وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ]** غافلون عن الأمر كله مرده للعلى القدير. ثم يأتى تحذير الحق – تبارك وتعالى – للكفار وإنذاره لهم أنه هو القادر على إهلاكهم كما أهلك من قبلهم الذين تبطروا على نعمه – جلا وعلا – وأنكروها*. قال تعالى: **[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ]** [٥٨، ٥٩]. الآيات فيها بيان لعدله – عز وجل – وتقدسه عن الظلم، فهو لا يهلك إلا من استحق الهلاك بظلمه، ولا يهلكه لكونه من الظالمين فحسب. أما عن الحكمة من إرساله لرسول فى مكة أم القرى، "فأن تكون مركزاً تُبلغ منه الرسالة إلى الأطراف فلا تُبقى حجة ولا عذر فيها لأحد"[٧٢]. ثم تأتى الآيات بالحقائق التى لا يفهمها إلا العاقل المتدبر المدرك أن الحياة الدنيا زائلة، وأن ما عند الله هو الأبقى. قال تعالى: **[وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ]** [٦٠، ٦١]. يقول القرطبى: "نزلت فى كل كافر مُتع فى الدنيا بالعافية والغنى وله فى الآخرة النار، وفى كل مؤمن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله، وله فى الآخرة الجنة"[٧٣] وإعمال العقل فى الاختيار؛ إنما جاء تعقيباً على المفاضلة بين متاع الدنيا، وما عند الله – جل وعلا – وأن متاع الدنيا على ما فيه من ترف إلا أنه قليل زائل، أما الخالد الباقى فهو ما عند الله أُعد للمؤمنين.

ء – توبيخ وتهديد للمشركين، ثم دعوة للتوبة والإيمان:

تتوالى الآيات فى توبيخ وتقريع للمشركين بسؤالهم عن تلك الآلهة التى كانوا يعبدون؟ وأنها لا وجود لها، وأن الذين اتبعوها لا يعلمون، خفيت عليهم الأخبار والحج ولم يدروا بماذا يجيبون؟(٧٤) قال تعالى: **[وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمْ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمْ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ * فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُفْلِحِينَ * وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ]** [٦٢: ٧٥].

يستمر حديث الآيات حول مواقف الكفار الطغاة وشركائهم يوم القيامة ومذلتهم وتبرؤهم من بعضهم البعض، وادعائهم الغواية بالوسوسة، كما تحدثت الآيات عن الشركاء الذين عبدوا من دون الله – تبارك وتعالى – قال تعالى: **[ادْعُوا**

شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ][٦٤] أى: ادعوا شركاءكم ولا تتهربوا من ذكرهم وسيرتهم! ادعوهم لعلهم ينقذونكم! ادعوهم فاليوم يومهم، فليس لهم من فائدة إلا الآن. ولكنهم لم يستجيبوا، ولم يكن منتظراً غير ذاك؛ ولكنه الإذلال. ولم يبق بعد هذا إلا العذاب(٧٥). فلما تيقنوا من العذاب تمنوا لو أنهم كانوا من المؤمنين لما جاءهم من عند الحق – جل وعلا – نذير. ثم تسألهم الآيات بماذا أجابوا المرسلين الذين أرسلوا إليهم ليبلغوهم برسالات المولى – عز وجل –؟ قال تعالى: **[وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمْ الأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ * فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُفْلِحِينَ]** [٦٥: ٦٧].

يقول النسفى: "خلى عليهم الجواب فلم يدروا بماذا يجيبون؟ إذ لم يكن عندهم جواب فهم يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضاً عن العذر والحجة رجاء أن يكون عنده عذر وحجة لأنهم يتساوون فى العجز عن الجواب"(٧٦). أما من تاب عن الشرك، وآمن بالعلى القدير، وبما أُنزل من عنده فله أجر كبير. يقول ابن كثير: "وعسى من الله موجبة، فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة"(٧٧).

ثم تتحدث الآيات عما لا شك ولا جدال فيه، وهو أن الله – عز وجل – هو صاحب الاختيار، وليس هناك من يختار له، والأمر كله مرده إليه – جلا وعلا – قال تعالى: **[وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]** [٦٨: ٧٠].

ويأتى سياق الآيات لبيان أن لله وحده الحمد، وأنه لا مبدل لحكمه فيما

يقضى بين عباده، وأنه العليم البصير الذى لا تخفى عليه خافية، وإليه مرجعكم جميعكم يوم القيامة، فيجزى كل عامل بعمله من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية فى سائر الأعمال(٧٨). ثم تنتقل الآيات بعد الحديث عن تفرده – جل وعلا – بالإلهية إلى الحديث عن بديع صنعه وخلقه. قال تعالى: **[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]** [٧٣:٧١].

يقول ابن عاشور: "ومن أبدع الاستدلال أن اختير للاستدلال على وحدانية الله هذا الصنع العجيب المتكرر كل يوم مرتين، والذى يستوى فى إدراكه كل مميز والذى هو أجلى مظاهر التغير فى هذا العالم فهو دليل الحدوث ... والاستدلال بتعاقب الضياء والظلمة على الناس أقوى وأوضح من الاستدلال بتكوين أحدهما لو كان دائماً، لأن قدرة خالق الضدين وجاعل أحدهما ينسخ الآخر كل يوم أظهر منها لو لم يخلق إلا أقواهما وأنفعهما"(٧٩).

ثم تنتهى الآيات بمنة الله – عز وجل – على عباده بتعاقب الليل والنهار، فأولهما للراحة والسكينة، وثانيهما للسعى والعمل. هذا ويستمر حديث الآيات عن منته – جل وعلا – لعباده وأنها من رحمته بهم، وفضله عليهم، واختياره لهم عن علم وعن حكمة لا يعلمها إلا هو لأنه العليم الخبير. هكذا أقام الحق – جل وعلا – الحجة على وحدانيته، وكمال علمه وحكمته، أنه يجب على الناس حمده وشكره، وفى ذلك حجة جديدة على من لم يهتد، أو يضع التعلات للفرار من الإسلام(٨٠).

وفى الآيات دعوة للإيمان بالله ورسوله (ﷺ) قبل يوم لا ينفع فيه الندم. قال تعالى: **[وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ]** [٧٤، ٧٥]. هنا تكرار للتوبيخ لأنه من مقتضياته إتخاذ شركاء للمولى – عز وجل – وأن الشرك به أجلب لغضبه – سبحانه وتعالى – وأن توحيده – جل وعلا – يُدخل فى مرضاته – تبارك وتعالى[٨١]. ثم تتحدث الآيات عن أن لكل أمة رسولاً يشهد عليها بما استقبلت رسالته، وبما فعلت بها. وفى مواجهة هذا الشاهد يطلب منهم برهانهم على ما اعتقدوا وما فعلوا، ولما علموا عجزهم من إظهار برهان لهم فى جعل شركاء لله أيقنوا أن الحق مستحق لله تعالى[٨٢]. وتنتهى إلى هنا آيات تحذير الكفار والمشركين، وما جاء من تكذيبهم من الحق – تبارك وتعالى –، وإقامته – عز وجل – الحجة عليهم، وترغيب للمشركين فى التوبة إليه – جل وعلا –، وتفويض كل أمورهم إليه لأنه ليس هناك من يختار له، والأمر كله مرده إليه – سبحانه وتعالى، وأنه وحده لا شريك له.

ثالثاً: قصة قارون وبغيه على قومه.

قارون هو: بن يصهر بن قاهث، وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث، وقيل: كان عم موسى والأول أصح. وقيل إن مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلاً، وقيل بل ستين. وقيل: إنه بغى على قومه بكثرة ماله، فخسفت به الأرض[٨٣]. هذا وتعرض الآيات هنا لقصة قارون وسلطان المال والعلم، وأنها انتهت بالبغى والاستكبار على الناس، ونُكران نعم الخالق – عز وجل – كما جاءت القصة كذلك لتقرر حقيقة القيم، وتقلل من قيمة المال والزينة إلى جانب قيمة الإيمان والصلاح

مع الاعتدال والتوازن فى الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو فى الأرض ولا فساد(٨٤).

أ – بغى قارون وإعراضه عن النصح.

قال تعالى: **[إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ]** [٧٦: ٧٨].

تشير الآيات إلى أن قارون كان من قوم موسى دون إيضاح أو تحديد لما عدا هذا. ثم تتحدث الآيات عن بغيه على قومه، وأنه فعل معهم ما لا يمكن أن يفعله أحد مع قومه(٨٥). فالأخلاق القويمة، والقيم السليمة تدعوه للشعور بقومه ومواساتهم فيما لحق بهم من ظلم فرعون وملئه، ولكنه بدلاً من ذلك بغى عليهم.

ولا يُعرف كيف كان بغيه هذا؟ إنما نراه مُجهلاً يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم، وربما بحرمانهم حقهم فى أموالهم، وربما بغى عليهم بهذه أو تلك(٨٦).

وكان من قومه من نصحوه وحاولوا إرشاده إلى الطريق القويم الذى يُرضى الله – عز وجل – بإحسانه على المحتاجين كما أحسن الله إليه. بل حذروه من مغبة وعواقب ما كان عليه من غى وبغى وإفساد فى الأرض بالظلم والصد عن سبيل الله فى قوله تعالى **[لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ]** القصص: ٧٦ وفى قوله تعالى: **[وَلا**

تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] القصص: ٧٧ يقول ابن عاشور: وقوله تعالى: **[إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]** علة للنهى عن الإفساد لأن العمل الذى لا يحبه الله لا يجوز لعباده عمله"(٨٧). ثم تتحدث الآيات عن غرور قارون، واعتقاده بأن ما أُعطى من مال إنما عن استحقاق وتقدير من الله – جل وعلا –.

قال تعالى: **[قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ]**[٧٨] يقول .. ابن الجوزى وغيره: "إنها قوله المعزول المطموس الذى ينسى مصدر النعمة وحكمتها، ويفتنه المال ويعميه الثراء. وهناك كُثر يظنون أن علمهم وكدهم هما وحدهما سبب غناهم، ومن ثم فهم غير محاسبين على ما يفسدون بالمال وما يُصلحون، غير ناظرين إلى غضب الله – جل وعلا – أو رضاه(٨٨). وينهج قارون نهج غيره ممن طغوا وتجبروا وتكبروا، فلا يتعظ ولا يعتبر بسابقيه ممن أهلكهم الحق – جل وعلا – وكانوا أكثر وأشد منه بطشاً وقوة. وفى قوله تعالى: **[وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ]** تتحدث الآيات عن أن الله – عز وجل – يعلم بحجم جرم هؤلاء المجرمين، ولهذا يعذبهم بغير حساب أو سؤال. يقول القرطبى: "لا يُسألون سؤال استعتاب، إنما يُسألون سؤال تقريع وتوبيخ"(٨٩).

ب – فتنة المال بين قارون وقومه.

تستمر الآيات فى حديثها عن قارون فتصف خروجه على قومه مستعرضاً زينته من متاع الدنيا من الحُلى والثياب والطِيب وما إلى ذلك*.

قال تعالى: **[فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ**

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ] [٧٩، ٨٠] فلما رأى الناس قارون فى زينته وفى يساره انبهروا وتمنوا لو كان لهم مثل ما كان له من حظ وافر من الدنيا ومتاعها. فعنفهم وزجرهم أهل العلم وأخبروهم بأن الجنة لا يدخلها إلا من صبر على فتن الحياة الدنيا. يقول ابن عاشور: "أن ثواب الله إنما يناله المؤمنون الذين يعملون الصالحات، وأنه على حسب صحة الإيمان ووفرة العمل، أما الصبر فوسيلة لنوال الأمور العظيمة لاحتياج السعى لها إلى تجلد لما يعرض فى خلاله من مصاعب، فإن لم يكن المرء متخلقاً بالصبر خارت عزيمته فترك ذاك لذلك"(٩٠). وها هو ذا قارون لا يستجيب لنداء العقل والإصلاح يُكابر ويتعاظم بنفسه، ويُعرضها لعقاب الحكم العدل الذي لا يقبل بظلم المستضعفين فى الأرض.

جـ- عاقبة البغي والإفساد فى الأرض:

ثم كانت النهاية الأليمة المروعة، السريعة الخاطفة، لقارون ومن ظَاهره. قال تعالى: **[فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]** [٨١: ٨٤].

الخسف* هنا شمله وداره فكلاهما مخسوفان مع الأرض أى دخلا فيها. يقول البقاعى: "وداره على مقدار ما ذكرنا من عظمته بأمواله وزينته، فهى أمر عظيم، تجمع خلقاً كثيراً، وأثاثاً عظيماً، لئلا يقول قائل: إن الخسف به كان للرغبة

فى أخذ أمواله*"[٩١]. فلما وقع الخسف عقوبة لقارون على بغيه، لم ينفعه مال ولا خدم. ولم يدفع عنه أحد نقمة الله وعذابه له ونكاله به، ولا كان هو فى نفسه منتصراً لنفسه، فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره. وأولئك الذين شاهدوه فى زينته وتمنوا لو أنعم الله عليهم كما أنعم عليه عادوا لرشدهم، وأدركوا أن المال ليس دليلاً على رضا الحق – جل وعلا – وأنه – تبارك وتعالى – يعطى ويمنع ويضيق ويوسع، ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة[٩٢]. ثم يأتى قوله تعالى: **[تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]** [٨٣] ليعلم الذين لا يعلمون أن الدار الآخرة إنما جعلها الحق – تبارك وتعالى – لعباده المتواضعين الذين لا يريدون علوا ولا تكبراً فى الأرض، والمؤمنين الممتنعين عن المعاصى، الذين لا يهجس فى قلوبهم الاعتزاز بذواتهم، إنما يتوارى أمام شعورهم بالله – العلى القدير –، هؤلاء هم من قدر لهم الفوز العظيم بتلك الدار العالية[٩٣].

ثم تتحدث الآيات عن الحسنات والسيئات، وأن العلى القدير من فضله وعدله على الناس أنه لا يجزى السيئة إلا بمثلها، أما الحسنة فيجزى عليها بحسنات أمثالها. قال تعالى: **[مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]** [٨٤] يقول ابن عاشور: "العاقبة ذات أحوال من الخير ودرجات من النعيم، وهى على حسب ما يجئ به المتقون من الحسنات فتتفاوت درجاتهم بتفاوتها"[٩٤].

وهنا تنتهى قصة قارون وبغيه على قومه، وكنوزه التى كانت محنة ونقمة عليه وعليهم، لعل العقلاء يتعظون ويعتبرون قبل أن يكونوا هم أنفسهم عبرة وعظة لغيرهم، وعلى الناس أن يدركوا أنه لا خير إلا للمتقين.

رابعاً: وعد للنبى (ﷺ) وتقرير لوحدانية الله – سبحانه وتعالى.

هكذا وبعد نهاية قَصَصِ صراع الحق والباطل فى سورة القَصَصِ تتحدث الآيات عن خطاب الحق – تبارك وتعالى – واعداً النبى (ﷺ) "بتثبيت فؤاده ووعده بحسن العاقبة فى الدنيا والآخرة"(٩٥).

قال تعالى: **[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ]** القصص: ٨٥

هذا، وقد ذهب جل المفسرين* إلى أن الوعد والبشارة كانتا برد محمد(ﷺ) لمكة (مولده ومنشأه) مرة أخرى قاهراً لأعدائه، وأن – العلى القدير – الذى مَنَّ عليه بالقرآن، واختاره له كان مقدراً لميعاد النصر والتأييد.

ويستمر حديث الآيات للنبى (ﷺ) بأوامر ونواهٍ قال تعالى: **[وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ * وَلا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ * وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]** [٨٦: ٨٨] الكلام للنبى (ﷺ)، وفيه "تقرير قاطع عن عدم تطلع الرسول (ﷺ) إلى الرسالة إنما هو اختيار الله – عز وجل، والله يخلق ما يشاء ويختار، وكان (ﷺ) برسالته رحمة للبشرية لهدايتهم، رحمة توهب للمختارين لا للمتطلعين"(٩٦). وتستمر الأوامر والنواهى فى الآيات الكريمة للنبى (ﷺ) موضحة له أنه طالما مَنَّ عليك الله – سبحانه وتعالى – بمنة النبوة واختارك لها، فعليك ألا تكون معيناً للكافرين، وعليك فراقهم ومخالفتهم.

ولا تهتم بمخالفتهم لك، ولا تنشغل بمحاولاتهم لإبعاد الناس عن طريقك، فالله

– جل وعلا – مؤديك ومُظهر رسالتك التى أرسلك بها على سائر الأديان. كما تأمر الآيات النبى (ﷺ) أن يدعو الناس لعبادة الله وحده لأنه لا شريك له، ولا تجوز العبادة إلا له وحده – جل وعلا – دعوة خالصة لا لبس فيها ولا غموض(٩٧). وتُخْتَتَم السورة الكريمة بقوله تعالى: **[كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ]** [٨٨] الله الذى لا إله إلا هو انفرد – جل وعلا – بالألوهية، وأنه وحده الواحد الحى الباقى الذى لا يموت له الحكم الفصل بين الخلق فى الآخرة دون غيره، وإليه المرجع والمصير.

المبحث الثاني: وحدة النسق بين قصص السورة:

إن سورة القَصَصِ مثلها مثل باقى سور القرآن الكريم ذات موضوع واحد ومحور واحد تدور فى فلكه، ألا وهو الصراع بين الحق والباطل كما سبق وأشرت آنفاً. والسورة ذات قِصَص عرضت لها فى المبحث السابق تشكل صلب السورة. هذا "وأَوْرَدَتْ السورة خصيصة من خصائص هذا القرآن وكانت نموذجاً عليها، هذه الخصيصة هى قوله تعالى: **[وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]**[٥١] فقد وصّل الله – عز وجل – هذا القرآن بأن وصل المعنى بالمعنى. فتجد القصة بجانب التقرير، بجانب الموعظة، بجانب الإنكار يربطه رباط جامع هو سياق السورة الخاص ضمن محورها فى السياق القرآن العام. وقد رأينا فى هذه السورة نموذجاً لذلك(٩٨).

وعليه فالقاسم المشترك بين دلالات مقاطع السورة، بل بين كل آية من آيات السورة يمكن ربطها بعنوان واحد دون تكلف هو الإيمان القوى يقف فى وجه الطغيان والبغى، وينتصر فى النهاية وينخذل البغى.

أولاً: نهاية العلو والإفساد والبغى واحدة.

فالسورة الكريمة فى عرضها لقصة موسى (عليه السلام) مع الفرعون تعرض لصفتين رئيسيتين جاءتا فى قوله تعالى: **[إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ]** [٤] الصفتان هما العلو والإفساد فى الأرض. وفى قصة قارون وحديث الآيات عن صفاته قال تعالى: **[إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ]** [٧٦] فالصفة الأولى هى البغى على قومه، وأما الثانية فالإفساد فى الأرض. قال تعالى: **[وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]** [٧٧] وفى قصة محمد (ﷺ) مع كفار مكة وصفتهم الآيات كذلك بكل صفات البغى والإفساد فى الأرض قال تعالى: **[أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]** [٥٠] وقال تعالى: **[لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ]** [٥٥] وقال سبحانه: **[وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ]** [٥٨].

النهاية واحدة فى كل قَصَصِ السورة رغم اختلاف أصحابها، يقول سيد قطب: "أن الحق – تبارك وتعالى – ساق لقريش فى هذه السورة قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون، وقارون مع قومه ليتبين لهم أن الأمن لا يكون إلا فى جوار المولى – عز وجل – ولو فُقِدَتْ كل أسباب الأمن الظاهر التى تعارف عليها الناس، وإن الخوف يكون فى البعد عن ذلك الجوار، ولو تظاهرت أسباب الأمن الظاهرة التى تعارف عليها الناس"(٩٩).

ومن ثم فكل قصص قوة السلطان والحكم والمال انتهت بالبوار مع البغى والظلم، والبعد عن الله – عز وجل – وهداه، والاستكبار على الناس، ونُكران نعم الخالق – تبارك وتعالى – والتبطر عليها.

ثانياً: وحدة الحكمة من بعثة موسى ومحمد (عليهما الصلاة والسلام).

تتناسق الآيات كذلك فى حديثها عن قصة موسى (عليه السلام) التى ما كانت إلا مقدمة لإثبات رسالة محمد (ﷺ) لأن القرآن الذى يقص أدق تفاصيل قصص السابقين من الأنبياء ما كان ليكون كذلك إلا إذا كان من عند الله – عز وجل – أنزله على النبى (ﷺ) لأن من سنته الإرسال(١٠٠). وعليه فالحكمة واحدة من بعثة موسى (عليه السلام) ومحمد (ﷺ)، كما كانت المنة واحدة على كل من بنى إسرائيل وكفار قريش، وما لقيه الكتابان (التوراة والقرآن الكريم) من تكذيب كان متشابهاً. يتبين هذا فى قوله تعالى: **[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]** القصص: ٤٣ وفى قوله تعالى: **[وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]** القصص: ٤٦.

ثالثاً: لا مظاهرة ولا مولاة للكفار.

فى سياق آخر لقِصص السورة وتناسقها مع بعضها البعض تتحدث الآيات عن عدم جواز مظاهرة وموالاة الكفار الذين لا يؤمنون بالحق – تبارك وتعالى – وبما يُنَزِلُ على رُسله. قال تعالى: **[قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ]** [١٧] والآية فى سياق قصة موسى – (عليه السلام) بعد قتله للقبطى، وبعد إدراكه

لعِظَمِ ما فعل فاتخذ على نفسه هذا العهد.

أما فى قوله تعالى: **[فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ]** [٨٦] فالتوجيه فى الآية من الله – سبحانه وتعالى – لمحمد (ﷺ) بعد الوحى إليه، بنهيه عن كل أنواع وأشكال إعانة الكافرين.

رابعاً: الوعد بالعودة.

يتناسق كذلك حديث الآيات فى قِصَصِ السورة لتبيين وتوضيح وعد الحق – عز وجل – لموسى (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) بالعودة مؤيدين منتصرين على أهل الشرك، لأنهما خرجا فى طاعة الله – جلا وعلا – أما قارون الذى خرج فى معصيته بالكيد للضعفاء والفقراء فكانت عودته بشكل آخر.

قال تعالى: **[فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ]** [٢٩] تشير الآيات لعودة موسى (عليه السلام) لمصر بعد خروجه منها هارباً خائفاً مترقباً، إنها اليد التى تنقل خطاه كلها، لعلها قادته هذه المرة إلى الوطن، وأنسته الخطر ليؤدى المهمة التى خُلِقَ لها ورُعى لأجلها منذ اللحظة الأولى(١٠١). فكانت عودته (عليه السلام) حاملاً رسالة من الله – عز وجل كان فيها إنقاذ قومه من القوم الظالمين. وفى قوله تعالى: **[إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ]** [٨٥] الحديث للنبى (ﷺ) الذى اضْطُرَ للخروج من مكة للمحافظة على دينه وقومه، جاءه وعد الله الحق، بأن العودة آتية لا محالة، وأن الذى كلفك بالرسالة ما هو بتاركك للمشركين. وإن وعد الله لقائم لكل السالكين فى طريق الله، وإنه ما من أحد يُؤْذَىَ فى سبيله، وأن من رَدَّ موسى

(عليه السلام) من قبل إلى الأرض التى خرج منها هارباً مطارداً، لرادك كذلك إلى مكة مظفراً ومؤيداً بنصره – عز وجل[١٠٢] – أما فى قوله تعالى: **[فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ]** [٨١] فهكذا غَيَّبَ الله – سبحانه وتعالى – قارون وداره إلى الأرض السفلى[١٠٣] فعودته ليس كموسى (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) مؤيدين منتصرين، إنما عودة إلى باطن الأرض، محملاً بكل آثامه وذنوبه، وكان فى خسفه عبرة لمن يُعْلى قيمة المال والزينة، على قيمة الإيمان.

خامساً: العدل فى الثواب والعقاب.

تتناسق قصص السورة كذلك فى إرساء قاعدة هامة هى العدل؛ وإبراز أهمية الثواب والعقاب. فللمحسن ثواب على إحسانه، وللمخطئ عقاب على ما اقترف، ونلحظ أن فى كل قصة من قصص السورة الكريمة إشارة لتلك القاعدة. قال تعالى: **[وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ]** [٤٢]. هذا عن فرعون وملئه، وتلك عاقبة الظالمين، وقال تعالى: **[وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ]** [٤٣] وهذا عن موسى (عليه السلام) وقومه فشتان بين المصيرين والجزاءين. وفى قوله تعالى: **[أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ الْمُحْضَرِينَ]** [٦١] حديث عن المتحالفين مع اليهود من قوم محمد (ﷺ) وكانوا ضده، وسؤال هام عن أى الفريقين الفائز؟ الذى وعده الخالق – عز وجل – وعداً حسناً فسيلاقيه، أم من ركن للدنيا وبطر على نعم العلى القدير؟ وفى قوله

تعالى: **[فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُفْلِحِينَ]** [٦٧] ترغيب ودعوة للتوبة والعمل الصالح، فحين يصل المشركون إلى ذروة كربهم تتحدث الآيات عن ثواب من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً. ثم بعد خسف الأرض بقارون وقومه تأتى الآيات لتبين أن الدار الآخرة إنما هى ثواب لكل من تبرأ من أعمال المفسدين المتعالين كفرعون وملئه، وكفار قريش، وقارون. قال تعالى: **[تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ]** [٨٣]. تلك الدار السامية لمن يتوارى شعورهم بأنفسهم ليملأها الشعور بالله، ومنهجه فى الحياة، أولئك الذين لا يقيمون للأرض وما عليها حساباً، ولا يبغون فيها فساداً(١٠٤). هكذا وإلى أن يرث الحق – تبارك وتعالى – الأرض بمن عليها فليس أهل الحق كأهل الباطل.

سادساً: الله – عز وجل – يهدى من يشاء.

تُبْرِزُ قِصَصُ السورة فى تناسق تام أن الحق – تبارك وتعالى – لا يهدى إلا من يستحق الهدى، المستعد للإيمان. وأن القرابة لا تنفع ولا تشفع.

قال تعالى: **[نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]** [٣] يقول القرطبى: "ذكر قصة موسى (عليه السلام) وفرعون وقارون واحتج على مشركى قريش وبين أن قرابة قارون من موسى لم تنفعه مع كفره، وكذلك قرابة قريش لمحمد (ﷺ)، وبين أن فرعون علا فى الأرض وتجبر فكان ذلك من كفره، فليُتَجَنَبْ العلو فى الأرض وكذلك التعزز بكثرة المال، وهما من سيرة فرعون وقارون"(١٠٥). وفى قوله تعالى: **[إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ**

بِالْمُهْتَدِينَ] [٥٦] الآية نزلت فى أبى طالب عم النبى(ﷺ)*، والنبى(ﷺ) على شدة حبه له لم يقدر على هدايته، لأن الهداية لا تترتب على القرابة والحب، إنما لا تكون إلا إذا شاء الله – تبارك وتعالى – يقول سيد قطب: "إن الإنسان يقف أمام هذا الخبر مأخوذاً بصرامة هذا الدين واستقامته. فهذا عم رسول الله (ﷺ) حاميه والزائد عنه، لا يُكتب له الإيمان على شدة حبه للرسول(ﷺ)، وشدة حب الرسول (ﷺ) له. وذلك لكونه قصد إلى عصبية القرابة، ولم يقصد إلى العقيدة. ومن ثم لم يُقَدَرْ له ما كان يحبه له محمد (ﷺ) ويرجوه، وهنا أخرج المولى – عز وجل – أمر الهداية من حصة رسوله الكريم (ﷺ)، وجعلها خاصة بإرادته سبحانه وتعالى، والرسول (ﷺ) ما كان عليه إلا البلاغ، وعلى الداعين بعده النصيحة"(١٠٦). وفى قوله تعالى: **[إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ]** [٧٦] تشير الآيات إلى أن قارون كان من قوم موسى (عليه السلام) وألمح كثير من المفسرين إلى أنه كان ابن عم له*. فلم تنفعه تلك القرابة ولم تشفع له أو تنقذه من الخسف فى الأرض هو وماله، وعليه فمتى اختلفت العقيدة فإن القرابات والعِرقْيَّات تختفى فلا يكون لها وجود، ويكون الولاء لله وحده الذى لا شريك له.

وفى قوله تعالى: **[وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ]** [٢٠] وفى تلك الآية أيضاً يتبين أن الولاء والتناصر إنما يتبعا الإيمان بالله – عز وجل – ولا شىء غيره، ولهذا سعى الرجل من أقصى المدينة لموسى (عليه السلام) معادياً فرعون وملئه لاختلافه معهم فيما يعتقدون، ناصراً لموسى (عليه السلام) ناصحاً له بالخروج، لأن

الإيمان رابطة وثيقة بين المؤمنين(١٠٧). هذا والحق – سبحانه وتعالى – إنما ساق فى تلك السورة الكريمة قصتى موسى (عليه السلام) مع الفرعون وملئه، وقارون مع قومه توضيحاً وتحذيراً لليهود المتحالفين مع كفار قريش ضد دعوة محمد (ﷺ) لعلهم يتعظون من الباغين من القوم الغابرين، القاهرين للمؤمنين فى دينهم، المفسدين عليهم حياتهم، بما ذاقوه من أقصى أنواع العذاب.

ومن هنا جاءت وحدة نسق تلك القصص فى السورة الكريمة، ثم تنتهى قِصَصُ السورة بحقيقة واحدة وهى أنه لا إله إلا هو الواحد الباقى والكل هالك إلا وجهه ولا حكم ولا قضاء إلا بإذنه – سبحانه وتعالى –.

الخاتمة:

الحمد لله الذى وفقنى لإتمام ما عكفت عليه من دراسة لوحدة "نسق القِصَصَ فى سورة القَصَصِ"، آملة أن أكون قد استجليت ما كان خافياً فيها، واسأل الله – عز وجل – أن يغفر لى ما كان من تقصير أو خطأ، وأن يرشدنى للصواب فيما هو آتٍ، فهو على كل شىء قدير. هذا، وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، منها:

– إن وحدة النسق تعنى تماسك بناء السورة القرآنية، واتساق معانيها المتشعبة التى تتضمنها ضمن غرض محورى واحد دون تنافر أو تفكك.

– القصص فى القرآن الكريم تساق للاعتبار بها، ولكل منها دلالاتها، وتتغير ألفاظها بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على المقصد.

– القِصَصُ فى سورة القَصَصِ تبدو مختلفة الموضوعات للوهلة الأولى، ولكنها ذات صلة مباشرة فيما بين بعضها البعض.

– سورة القَصَصِ عَرَضتْ لقصة موسى (عليه السلام) قبل أن يولد، مروراً بمراحله العمرية والمعيشية. وهذا ما لم تعرض له أى من سور القرآن الكريم.

– السورة لم تَعْرِضْ لمراحل حياة النبى (ﷺ) كما لم يعرض لها القرآن الكريم كله لأن النبى (ﷺ) كان موجوداً مع من أُنزلت عليهم رسالته.

– عَرَضَتْ السورة لقصة قارون وقومه، وسلطان المال والعلم، بكل تفاصيلها من مكانته بين قومه، وحتى نهايته السريعة الخاطفة بالخسف فى الأرض.

– آيات السورة يمكن ربطها دون تكلف بعنوان واحد هو الصراع بين الحق والباطل، وأن الإيمان القوى يقف فى وجه الطغيان والبغى وينتصر فى النهاية.

– قصة موسى (عليه السلام) فى الآيات كانت مقدمة لإثبات رسالة محمد (ﷺ)، وهذا من دلائل وحدة نسق القِصَصِ فى السورة الكريمة.

– من وحدة نسق القصص أيضاً فى السورة أن جميعها يدعو لعدم مظاهرة أو مولاة الكفار، كذلك ما جاء فى وعد الحق – جل وعلا – لأنبيائه بالعودة لديارهم مؤيدين منتصرين، كما أظهرت قِصَصِ السورة إرساء قاعدة هامة وهى العدل، مع التأكيد على أهمية الثواب والعقاب.

– تبرز قِصَصُ السورة فى نَسَقٍ تام أن الله – سبحانه وتعالى – لا يهدى إلا من يستحق الهداية، وأن القرابات لا تشفع، والعرقيات لا تنقذ. وأن الولاء لله وحده الذى لا شريك له، والكل هالك إلا هو – سبحانه وتعالى.

الهوامش:

* النَّسَقُ: ما كان على طريقة نظام واحد عام فى الأشياء، ويقال: نَسَّقَهُ نظمه، ويقال: خرز نَسَق أى منتظم، ويقال: ثغر نَسَقُ إذا كانت أسنانه مستوية. راجع: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة (النون =

=

والسين والقاف) ٨١/٥ ط(١) دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، الرازى: مختار الصحاح (ن – س – ق) ٦٦٨/١ ط مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ت: محمود خاطر. وابن منظور: لسان العرب مادة (نسق) ٣٥٢/١٠، ط(١) دار صادر، بيروت، د.ت.

(١) رشيد الحمداوى: وحدة النسق فى السورة القرآنية فوائدها وطرق دراستها ١٣٧: ١٣٩ ط مجلة معهد الإمام الشاطبى للدراسات القرآنية العدد (٣) ١٤٢٨هـ.

(٢) البقاعى: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١٥٢/١ ط (١) مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ت: د. عبد السميع محمد أحمد حسنين. وراجع كذلك رشيد الحمداوى فى وحدة النسق ١٨٩، ١٩٠.

(٣) بتصرف رشيد الحمداوى، وحدة النسق ١٩١.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣٨ ط سمنون للنشر، تونس، ١٩٩٧م.

(٥) سعيد حوَّى: الأساس ٤١٢٢/٧ ط (٥) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

(٦) بتصرف رشيد الحمداوى: وحدة النسق ١٨٢.

(٧) بتصرف السابق ١٣٩، ١٤٠.

(٨) مختصراً سعيد الحوَّى: الأساس ٤١٢٣/٧.

(٩) ابن الجوزى: زاد المسير فى علم التفسير ٢٠٠/٦، ٢٠١ ط(٣) المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٤هـ، الرازى: مفاتيح الغيب ٢٢٤/٢٤ ط(١) دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٧/١٣، ط دار إحياء التراث العربى، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الألوسى: روح المعانى ٤١/٢٠ ط(١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، ت: على عبد البارى عطية.

(١٠) البقاعى: مصاعد النظر ٣٣٦/٢. الزركشى: البرهان فى علوم القرآن ١٩٣/١، ٢٤٥ ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، ت: محمد ابو الفضل إبراهيم، السيوطى: الاتقان فى علوم القرآن ١٧٦/١، ١٨٣ ط(٣) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، سعيد الحوَّى: الأساس فى التفسير ٤٠٥٣/٧.

(١١) الرازى: مفاتيح الغيب ٢٢٤/٢٤.

(١٢) الزرقانى: مناهل العرفان ٢٣٨/١ ط(١)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م ت: مكتب البحوث والدراسات.

(١٣) راجع الزركشى: البرهان فى علوم القرآن ١٧١/١.

(١٤) راجع المصدر السابق: ٢٧٠/١ وما بعدها.

(١٥) السيوطى: الاتقان فى علوم القرآن ١٥٧/١، وراجع التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم جمع من العلماء ٥٠٥/٥ ط كلية الدراسات العليا والبحث العلمى، جامعة الشارقة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(١٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١١٢.

(١٧) الفراهيدى: كتاب العين "القاف مع الصاد" ١٠/٥ ط دار ومكتبة الهلال، د.ت، ت: د. مهدى

=

=

المخزومى، ود. إبراهيم السامرائى، ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. "القاف والصاد" ١٣/٥. الرازى: مختار الصحاح (ق – ص – ص) ٥٦٠/١.

(١٨) راجع السيوطى: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣٨٩/٦، ٣٩٠ ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩٩م، الألوسى: روح المعانى ٤١/٢٠ وما بعدها، ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١١٢، الصابونى: صفوة التفاسير ٤١٩/٢ ط (١) دار الصابونى للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، سعيد حوَّى: الأساس ٤٠٥٧/٧.

(١٩) البقاعى: مصاعد النظر ٣٣٨/٢.

(٢٠) راجع بتصرف ابن عاشور: التحرير والتنوير ٢٩٩٤، التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٥٠٨/٥.

(٢١) الغرناطى: البرهان فى تناسب سور القرآن ٢٦٦/١ ط(١) دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع ١٤٢٨هـ.

(٢٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١١٢.

(٢٣) مختصراً عن سعيد الحوَّى: الأساس ٤٠٥٦/٧، ٤٠٥٧.

(٢٤) راجع بتصرف ما ورد عند النسفى: مدارك التنزيل ٢٢٦/٣: ٢٤٩ ط(١) دار الكلم الطيب، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٣٠/٣: ٥٣٤، الألوسى: روح المعانى ١٣٢/٢٠: ١٤٨، سعيد الحوَّى: الأساس ٤٠٥٨/٧: ٤١١٤، التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٥١١/٥: ٥١٣.

(٢٥) بتصرف مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن ص ٣٠٠ ط (٧) مكتبة وهبة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢٦) راجع ما جاء عند سيد قطب: التصوير الفنى فى القرآن الكريم ١٤٤: ١٩٥ بتفاصيل كثيرة ط(١٦) دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢٧) بتصرف د. عبد الجليل العبادلة: لغة القرآن الكريم ١٩، ٣٢٤، مكتبة الرسالة الحديثة د.ت.

(٢٨) راجع ما جاء عند ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣٧، ٣٨، وقد ذهب من قبله إلى هذا سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٧٦/٥، ٢٦٧٧.

(٢٩) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ١٥٠/١ (ط) دار الكتاب العربى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر (تاريخ أبى الفداء) ٧٦/٢ (ط) دار الكتب العلمية ١٩٩٧م، ابن كثير: البداية والنهاية ٢٢٥/١٣ (ط) دار عالم الكتب ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٣٠) راجع سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٧٧/٥، وابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١١٦.

(٣١) السابق بتصرف ٢٦٧٦/٥.

(٣٢) راجع ما جاء عند البغوى: معالم التنزيل ٥١/٦ ط(٤) دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣٩٠/٣ – ٣٩٢، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٧٧/٥، سعيد حوَّى: الأساس ٤٠٥٩/٧، ٤٠٦٠، التفسير الموضوعى لسور القرآن

=

=

الكريم ٥١٦/٥.

(٣٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١١٦.

(٣٤) نظم الدرر: البقاعى ٢٤٢/١٤.

(٣٥) راجع ما جاء بشأن الوحى إلى أم موسى، البغوى: معالم التنزيل ١٩٠/١، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١٥٧/٢، الألوسى: روح المعانى ٥٨/٧.

(٣٦) القرطبى: الجامع لأحكام ٢٢٤/١٣.

(٣٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١١٧.

(٣٨) سعيد حوَّى: الأساس ٤٠٦٣/٧.

(٣٩) مختصراً من تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٠٤/٣.

(٤٠) راجع ما جاء عند البغوى: معالم التنزيل ١٩٥/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٣، النسفى: مدارك التنزيل ٢٢٩/٣، الألوسى: روح المعانى ٥٠/٢٠.

(٤١) بتصرف ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٥٠٦/٣.

(٤٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٨٠/٥.

(٤٣) راجع ما جاء بشأن تلك المرحلة من حياة موسى (عليه السلام). البغوى: معالم التنزيل ١٩٦/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ١٤٢/٩، النسفى: مدارك التنزيل ٢٢٩/٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٠٧/٣، ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣٧٦.

* قَائِلُون؛ ويقال: وقت القَائِلَة أى منتصف النهار، والقَيْلُولة هى: نومة نصف النهار.

اللفظ للنسفى فى مدارك التنزيل ٢٣٠/٣، والسيوطى فى الدر المنثور ٣٩٧/٦.

وراجع ما جاء عند ابن منظور فى اِلِسان: مادة (قَيَلَ) ٥٧٢/١١، الفيروزآبادى القاموس المحيط (قائِلَةُ) ١٣٥٩، ط مكتب البحوث والدراسات بدار الفكر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م. ضبط وتوثيق الشيخ محمد البقاعى.

(٤٤) راجع ما جاء بشأن تلك الحادثة فى حياة موسى (عليه السلام). البغوى: معالم التنزيل ١٩٦/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٣١/١٣، النسفى: مدارك التنزيل ٢٣٠/٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٠٧/٣؛ ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٢٤.

(٤٥) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٨٢/٥.

(٤٦) السابق بتصرف ٢٦٨٣/٥.

(٤٧) راجع ما جاء بشأن تلك الواقعة: البغوى: معالم التنزيل ١٩٨/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ١٤٧/١٣، البقاعى: نظم الدرر ٤٦٢/١٤، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١٩٩٩/٣، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٨٥/٥، ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٢٤.

* وكنت قد عرضت للأمر بتفاصيله فى بحث سابق بعنوان "مكارم الأخلاق فى قصة موسى (عليه السلام) مع صاحب مدين وابنتيه" نشر فى مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، الإصدارة

=

=

العاشرة، الملحقة بالعدد (٥٨) لسنة ٢٠٠٨م.

ولهذا آثرت عدم الإطالة بشأن تلك الآيات (من الآية ٢٢ وحتى الآية ٢٨ من سورة القصص) حتى لا يحسب الأمر على أنه تكرار لا طائل منه. ولذا لزم التنويه عن ذلك.

(٤٨) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٨٥/٥، ٢٦٨٦.

(٤٩) راجع ما جاء بشأن قصته (عليه السلام) مع صاحب مدين والمرأتين البغوى: معالم التنزيل ٢٠٢/١، ابن الجوزى: زاد المسير ٢١١/٦: ٢١٣ ط (٣) المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤٠٤هـ، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٠/١٣، ٢٤١، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٨٦/٥: ٢٦٨٩، سعيد حوَّى: الأساس ٤٠٧٢/٧: ٤٠٧٤.

(٥٠) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٨٩/٥، التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٥٣٦/٥، ٥٣٧.

* يقال: قضى موسى (عليه السلام) أكمل الأجلين وأوفاهما. ويقال: القصد أتمه وفرغ منه. وقيل: مكث عند صهره عشرين سنة.

راجع ما ورد من تفاصيل عند القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/١٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥١٤/٣، وعن سعيد بن جبير قال: سألنى يهودى من أهل الحيرة أى الأجلين قضى موسى (عليه السلام)؟ قلت: لا أدرى. حتى أقدم على حبر العرب. فقدمت فسألت ابن عباس (رضى الله عنهما) فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما.

راجع البخارى: صحيح البخارى كتاب (الشهادات) باب "من أمر بإنجاز الوعد" ٩٥٣/٢ح ٢٥٣٨.

(٥١) راجع البغوى: معالم التنزيل ٢٠٥/١، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥١٤/٣.

(٥٢) السيوطى: الدر المنثور ٤١٢/٦.

(٥٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٩٢/٥.

(٥٤) راجع ما جاء بشأن أمر الحق – تبارك وتعالى – لموسى (عليه السلام) بوضع يده فى جيبه، وآراء المفسرين وتأويلاتهم للأمر برمته. البغوى: معالم التنزيل ٢٠٦/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن – ١٧٤/١١، ١٤٧/١٣، ابن كثير: ١٩٩/٣، ٤٧٤/٣، السيوطى: الدر المنثور ٥٦٥/٥، ٥٧٤/٥، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٩٢/٥، ٢٦٩٣، سعيد الحوَّى: الأساس ٤٠٨٢/٧.

(٥٥) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٩٣/٥، سعيد الحوَّى: الأساس ٤٠٨٢/٧.

* راجع ما جاء فى خداع فرعون لقومه وما ادعاه بأن لا إله غيره.

ابن الجوزى: زاد المسير ٢٢٢/٦: ٢٢٤، النسفى: مدارك التنزيل ٢٣٥/٣: ٢٣٧، البقاعى: نظم الدرر ٢٩٥/١٤، ٢٩٦، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥١٦/٣: ٥١٨، التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٥٤٦/٥، ٥٤٧.

(٥٦) مختصراً البقاعى: نظم الدرر ٢٩٧/١٤.

(٥٧) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٩٥/٥.

=

=

(٥٨) مسلم: صحيح مسلم كتاب "الفضائل" باب "تفضيل نبينا (ﷺ) على جميع الخلائق" ١٧٨٢/٤ ح٢٢٧٨.

(٥٩) البخارى: صحيح البخارى كتاب "المناقب" باب "خاتم النبيين" (ﷺ) ١٣٠٠/٣ح ٣٣٤٢، مسلم: صحيح مسلم كتاب "الفضائل" باب "ذكر كونه (ﷺ) خاتم النبيين ١٧٣٠/٤ ح٢٢٨٦.

(٦٠) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٤٣، وبتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٩٧/٥، ٢٦٩٨.

* راجع ما جاء عند ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم بهذا الشأن مستفيضاً ٥١٩/٣ وما بعدها.

* راجع ما جاء عند القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/١٣: ٢٦١.

(٦١) مختصراً سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٩٨/٥، ٢٦٩٩.

(٦٢) بتصرف التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٥٥٠/٥.

* راجع ما جاء باستفاضة عند ابن الجوزى فى زاد المسير ٢٢٧/٦، ٢٢٨، القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١٣، ٢٦٢، النسفى فى مدارك التنزيل ٢٤٠/٣، ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم ٥٢٠/٣.

(٦٣) النسفى: مدارك التنزيل ٢٤٠/٣، سعيد حوَّى: الأساس ٤٠٩٣/٧.

(٦٤) بقليل من الاختصار الزمخشرى: الكشاف ٩٣٦/١، ٩٣٧.

(٦٥) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧٠١/٥، التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٥٥٥/٥.

(٦٦) البخارى: صحيح البخارى كتاب "العلم" باب "تعليم الرجل أمته وأهله" ٤٨/١، ح٩٧، مسلم: صحيح مسلم كتاب "الإيمان" باب "وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (ﷺ) إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته" ١٣٤/١ ح١٥٤.

(٦٧) راجع: القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/١٣، النسفى: مدارك التنزيل ٢١٦/٢، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٢٢/٣، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧٠١/٥.

(٦٨) بتصرف ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٥٠.

(٦٩) السابق: ٣١٥٠.

* أجمع جل المفسرين على أنها نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى (ﷺ) راجع: الزمخشرى: الكشاف ٩٣٧/١، البغوى: معالم التنزيل ٢١٥/١، ابن الجوزى: زاد المسير ٢٣١/٦، النسفى: مدارك التنزيل ٢٤١/٣، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/١٣. وراجع ما ورد فى الصحيحين، البخارى: صحيح البخارى كتاب "التفسير" باب "إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء" ١٧٨٨/٤ ح٤٤٩٤، مسلم: صحيح مسلم كتاب "الإيمان" باب "الدليل على صحة اسلام من حضره الموت، ما لم يشرع فى النزاع وهو الغرغرة ..." ٥٤/١ ح٢٤.

(٧٠) بتصرف ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٢٣/٣.

(٧١) الزمخشرى: الكشاف عن حقائق التنزيل ٩٣٧/١ط (٣) دار الكتاب العربى، بيروت ١٤٠٧هـ.

=

=

النسفى: مدارك التنزيل ٢٤١/٣.

* راجع ما جاء فى تفسير الآيات البغوى: معالم التنزيل ٢١٦/١، ابن الجوزى: زاد المسير ٢٣٢/٦، ٢٣٣، النسفى: مدارك التنزيل ٢٤٢/٣، ٢٤٣، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/١٣.

(٧٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧٠٤/٥.

(٧٣) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/١٣.

(٧٤) راجع ما جاء فى تفسير الآيات البغوى: معالم التنزيل ٢١٧/١، ٢١٨، ابن الجوزى: زاد المسير ٢٣٥/٦: ٢٣٧، النسفى: مدارك التنزيل ٢٤٣/٣، ٢٤٤، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٣: ٢٧١، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٢٦/٣، ٥٢٧، سعيد الحوَّى: الأساس ٤١٠٥/٧: ٤١٠٨.

(٧٥) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧٠٦/٥.

(٧٦) النسفى: معالم التنزيل ٢٤٤/٣.

(٧٧) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٢٦/٣.

(٧٨) راجع ما جاء فى تفسير الآيات ابن الجوزى: زاد المسير ٢٣٥/٦: ٢٣٧، النسفى: مدارك التنزيل ٢٤٣/٣، ٢٤٤، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/٣: ٢٧١، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٢٧/٣، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧٠٧/٥، سعيد الحوَّى: الأساس ٤١٠٨/٧.

(٧٩) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٦١.

(٨٠) بتصرف سعيد حوَّى: الأساس ٤١٠٩/٧.

(٨١) بتصرف النسفى: مدارك التنزيل ٢٤٣/٣ ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٦٣. سعيد حوَّى: الأساس ٤١٠٩/٧.

(٨٢) بتصرف ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٦٣، وقد ذهب من قبله لهذا سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧٠٩/٥.

(٨٣) ابن الأثير: الكامل ١٧٧/١، ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٢/٢.

(٨٤) ببعض التصرف سيد قطب: فى ظل القرآن ٢٧١٠/٥.

(٨٥) راجع ما جاء عند البقاعى فى نظم الدرر ٣٤٩/١٤، التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ٥٦٩/٥.

(٨٦) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧١١/٥.

(٨٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٦٧.

(٨٨) راجع ما جاء فى تفسير الآية ابن الجوزى: زاد المسير ٢٤٢/٦، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/١٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٢٩/٣، واللفظ بتصرف من سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧١٢/٥.

(٨٩) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/١٣.

* راجع ما جاء بشأن خروج قارون فى زينته على قومه عند كل من: البغوى: معالم التنزيل ٢٢٢/١، ابن الجوزى: زاد المسير ٢٤٣/٦، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٨٠/١٣، ابن كثير:

=

=

تفسير القرآن العظيم ٥٣٠/٣، السيوطى: الدر المنثور ٤٤٦/٦، ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٦٨.

(٩٠) ببعض التصرف ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٦٩.

* خَسَفَ: الخَسْفُ هو سؤوخ الأرض بما عليها من الأشياء، وخَسَفَ الله به الأرض أى غاب به فيها، ويقال: خَسَفَ الله به الأرض، وخَسَفَ الله به المكان أى ذهب فى الأرض ودخل فيها.
راجع الفراهيدى: العين باب "الخاء والسين والفاء" ٢٠١/٤، الرازى: مختار الصحاح (خ س ف) ١٩٦/١، ابن منظور: لسان العرب (خسف) ٦٧/٩.

* راجع ما جاء بشأن خسف الأرض بقارون وداره عند المفسرين وإشارة بعضهم لقول بنى إسرائيل أن موسى (عليه السلام) أهلكه ليرث ماله.
البغوى: معالم التنزيل ٢٢٣/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ١٣، ٢٨١، النسفى: مدارك التنزيل ٢٤٧/٣.

(٩١) البقاعى: نظم الدرر ٣٥٨/١٤.

(٩٢) ببعض التصرف ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٣١/٣.

(٩٣) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٥٧١٤/٥.

(٩٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٦٩.

(٩٥) السابق ٣١٧٢.

* البغوى: معالم التنزيل ٢٢٦/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٨٤/١٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٣٣/٣، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧١٥/٥، ابن عاشور: التحرير والتنوير ٣١٧٣.

(٩٦) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧١٥/٥.

(٩٧) بتصرف ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٣٣/٣، سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧١٦/٥.

(٩٨) سعيد حوَّى: الأساس ٤١٢٢/٧.

(٩٩) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٧٥/٥.

(١٠٠) سعيد حوَّى: الأساس ٤٠٩١/٧.

(١٠١) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٦٩١/٥.

(١٠٢) بتصرف السابق ٢٧١٥/٥.

(١٠٣) راجع الشوكانى: فتح القدير ٢٦٩/٤، ط (٢) مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٦٤م.

(١٠٤) بتصرف سيد قطب: فى ظلال القرآن ٢٧١٤/٥.

(١٠٥) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٢٢/١٣.

* راجع ما ورد عند البخارى فى صحيحه كتاب "فضائل الصحابة" باب "قصة أبى طالب ١٤٠٩/٣ ح٣٦٧٠ وفى كتاب "التفسير" باب "إنك لا تهدى من أحببت" ١٧٨٨/٤ ح ٤٤٩٤، وما ورد عند مسلم فى صحيحه كذلك كتاب "الإيمان" باب "الدليل على صحة إسلام من حضرة الموت ما لم

=

=

يشرع فى النزع" ٥٤/١ ح٢٤، وما جاء عند السيوطى فى لباب النقول ٦٥/١، ١١٥.

(١٠٦) مختصراً وبتصرف من سيد قطب فى ظلال القرآن ٢٧٠٣/٥.

* راجع ما جاء فى أمر قرابة قارون من موسى (عليه السلام) عند البغوى: معالم التنزيل ٢٢٠/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٢٧٤/١٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٥٢٩/٣.

(١٠٧) راجع التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم ٥٣٢/٥.

القيمة الدلالية للحروف وتطوراتها

إعداد

د. شعبان قرني عبد التواب

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥

القيمة الدلالية للحروف وتطوراتها

د. شعبان قرني عبد التواب*

ملخص البحث:

المستوى الصوتي أحد الجوانب الأساسية المعروفة في الدراسة العلمية للغة، وقد كان للعرب، قديمًا، فضل السبق في هذا الجانب، فكانوا من أوائل من درسوا الصوت اللغوي من جوانبه المتعددة دراسة علمية: فقدموا وصفًا علميًا للأصوات من حيثمواضع نطقها، وصفاتها، وتأثيراتها التركيبية، وقيمها الدلاليةوالوظيفية، وجاءت دراساتهم لهذه الجوانب أصيلة في منهجها وطرائق دراستها، وكان ذلك كله ضمن اهتمامهم المعروف بالمحافظة على لغة القرآن الكريم وقراءاته.

وقد كانت البداية مبكرة جدًا حيث تزامنت مع بداية ظهور اللحن وتفشيه على ألسنة الناس؛ فهبَّ العلماء من أجل المحافظة على لغة هذا الكتاب الخالد يدرسونها على كافة مستوياتها الصوتية، والصرفية والنحوية، والدلالية، والمعجمية.

ومن أبرز جوانب دراسة الصوت عندهم جانبان: دراسة الصوت بوصفه حدثًا نطقيًا، ودراسة الصوت بوصفه وحدة تجريدية ذات وظيفة معينة، ويعنينا هذا الجانب الأخير الذي يمثل القيمة الدلالية للحروف، قضية هذا البحث، حيث يعرض بحثنا لهذه القضية وتطوراتها من خلال تناول علماء العربية لهذه القضية بداية من أقدم إشارة لها في كتب القدماء حتى العصر الحديث، ومن أجل ذلك خططنا لهذا البحث أن يتكون من: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: دلالة الحروف عند القدماء. والمبحث الثاني: دلالة الحروف عند المحدثين. والمبحث الثالث: وصف تكوين الحروف العربية وبيان قيمها الدلالية...

*كلية دار العلوم – جامعة الفيوم.

مقدمة:

مفهوم الحرف:

حرف كل شيء طرفهوشفيره، والحرفواحد حروف الهجاء[١]،والحرف في الأصل الطَّرَف، وحرف كل شيء جانبه، وحرف الجبل أعلاه، وحرف السفينة جانبها، وحرف كل شيء حده، وفلان على حرف من الرأي أي: ناحية منه، ومادة (ح، ر، ف) أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته وجانبه [٢]،والحرف واحد من حروف الهجاء، وسميت حروف التهجي بذلك لأنها أطراف الكلمة[٣]،وعرَّفَ ابن سينا الحرف بأنه: "هيئة للصَّوت عارضة له، يتميَّزُ بها عن صوت آخر مثلهفي الحِدَّة، والثِّقَل، تميزا في المسموع"[٤].

وشاع تعريف الحرف بأنه رمز مكتوب يقوم مقام الصوت في المادة المكتوبة، ويقابله الصوت في المادة المنطوقة، ولكننا نجد في التراث العربيأن مصطلح الحرف يطلقعلى الصوت اللغوي المنطوق، وعلى الخط المكتوب الذي يقابله، وقد وردذلك عند الحديث عن مخارج الأصوات حيث تحدث نفر من علماء العربية المتقدمين عن مخارج الحروف قاصدين مخارج الأصوات، قال اللّيث: قال الخليل: في العربية تسعة وعشرون حَرْفًا: منها خمسة وعشرون حَرْفاً صِحَاحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّيِنَة

---

[١] لسان العرب،ابن منظور،دار صادر، بيروت، ط ١٤١٧،٦هـ، ٤١/٩.

[٢] ينظر: سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق ١٩٨٥م، ١٥/١

[٣] ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: عبد المنعم العفيفي، دار الرشاد، القاهرة، ص٩٧.

[٤] رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، مجمع اللغة العربية، ط١، دمشق١٩٨٣م ، ص ١٠.

والهمزة، وسُمِّيتْ جوفاً لأنها تَخْرُجُ من الجوف، فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْف[١].

وشايع "سيبويه" الخليل في استعمالهالحروف قاصدًا الأصوات بقوله: الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها، ومجهورها، وأحوال مجهورها، ومهموسها[٢].

وورد ذكر الحرف في تعريف "ابن جني" للصوت حيث يقول في تعريف الصوت: "عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفًا"[٣]، ونلاحظ أنه يميز بين الصوت والحرف، فالأول، من وجهة نظره، مشترك بين الإنسان والحيوان، والثاني خاص بالإنسان، ثم لابد لكل حرف من صوت ولا ينعكس[٤].ويذكر السيوطي كلامًا قريبا من هذا،فيقول: "ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرف فصوت"[٥]

ويشيرفندريس"Vandryes"إلى أن عدد أصوات اللغة يفوق بكثير عدد حروفها حيث يقول: "لسنا في حاجة إلى القول بأننا لا نستطيع إحصاء الأصوات

---

[١] ينظر: كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/ عبد الله درويش بغداد ١٩٨٥م، ٦٤،٦٥/١.

[٢] كتاب سيبويه ، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٩م ، ص ١٧٣.

[٣] سر صناعة الإعراب، ابن جني ، ٦/١.

[٤] المنصف لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، البابي الحلبي، القاهرة ،ط١،١٩٦٠م، ص ٣٤٥.

[٥] الأشباه و النظائر في النحو، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،١٩٨٧م، ٤/٢.

المستعملة في لغة ما بعدد الحروف الموجودة في أبجديتها، فكل لغة فيها من الأصوات أكثر مما في كتابتها من العلامات"[١]

ويوضح الدكتور تمام حسانذلك مبينًا الفرق بين الصوت والحرف فيقول:""فالصوت ينطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء النطق، و ما يصاحب هذا التحريك من آثار سمعية، ولكن الحرف فلا ينطق، و إنما يفهم في إطار نظام من الحروف يسمى النظام الصوتي للغة[٢]."ومثل الأصوات و الحروف في علاقة كل منهما بالآخر مثل الطلاب و الصفوف، فالطالب حقيقة مادية و الصف وحدة تقسيمية ...لأن الحرف عنوان على عدد من الأصوات و الصف مثله عنوان على عدد من الطلبة . أي أن الصوت و الطالب حقيقتان ماديتان، والحرف والصف قسمان من نظام يضم غيرهما من الأقسام"...والصوت جزء من تحليل الكلام، والحرف جزء من تحليل اللغة[٣].

وقد أثيرت نقاشات كثيرة في الفكر العربي حول مفهوم الحرف ودلالته، خاصة في مجال القراءات القرآنية،وقد اشتهر في العصر الحديثاستخدام مصطلح (الحرف) للدلالة على الرمز المكتوب، ومصطلح (الصوت) للإشارة إلى صوت الحرفالمنطوق، ولكننا في هذا البحث سنسير على ما كان معروفًا لدى القدماء من علماء العربية من استخدامهم لمصطلح الحرفللدلالة على الصوت المنطوق، والرمز المكتوب، وذلك لما لهم من سبق في مجال الدراسات

---

[١] اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمدالقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠ م، ص٦٢

[٢] اللغة العربية معناها و مبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م، ص٧٣، ٧٤

[٣] السابق، ص٧٤.

الصوتية فاقت به نظيراتها عند الأمم الأخرى في ذلك الوقت، بل سبقت به الدراسات الغربية الحديثة نفسها، هذا من جانب، ومن جانب آخر لأننا سنعتمد في بحثنا لهذه القضية على كثير مما ذكروه من قيم دلالية للحروف،وبهذا يتحدد مفهوم الحروف في هذا البحثبأنه مصطلح يدل على أصوات الحروف الهجائية المنطوقة،وعلى رموزها المكتوبة أيضًا.

وقد حظيت الحروف العربية منذ القديم بعناية اللغويين العرب، ابتداء من الخليل (ت ١٧٥ هـ) وسيبويه (ت ١٨٠هـ) وحتى يومنا هذا، وقد استطاع هؤلاء اللغويون أن يقدموا في هذا المجال دراسات متميزة عن الحروف من كافة جوانبها: الصوتية، والكتابية، والدلالية.

ويعنينا هنا الجانب الدلالي للحرف، قضية هذا البحث، حيث يعرض بحثنا لهذه القضية وتطوراتها من خلالماورد عن علماء اللغة والمفكرين في هذا الشأن، بداية من أقدم إشارة وردت في كتب القدماء حتى العصر الحديث.

القيمة الدلالية للحروف:

نقصد بالقيمة الدلالية للحروف الدور الذي تؤديه على المستوى الدلالي، أو ما لها من دور في بناء دلالة الكلمات أو تغييرها،ويعد الحرف أصغر وحدة صوتية تتركَّب منها كلمات اللغة، وعن طريقها يمكن التفريق بين المعاني. وكل حرف له تحقق صوتي خاص به، ويمتلك قيمة دلالة خاصة به ، وذلك حال إفراده، وحال تركبه مع غيره من الحروف، هذه القيمة مستمدة من هذا التحقق الصوتي، وما له من وقع خاص به ناتج عن إيقاعه وجرسه، ويتجلى هذا بوضوح حال إيثارنا صوت على آخر أو مجموعة من الأصوات على الأخرى.

وتظهر القيمة الدلالية للحرف من خلال الدور الذي يؤديه داخل الكلمة، وما لذلك من تأثير في توجيه معناها،وبقدْر ما يمثله الحرف تكونقيمته الدلالية،ويعني هذا أن أي حرف يمتلك دالًا و مدلولًا؛فالدال هو الصوت المنطوق، أو الرمز المكتوب، والمدلول هو القيمة التي يحملها والناتجة عنه، وتعدالحروف علامات لغوية تثير في أذهان الجماعة اللغوية التي تستعملها معاني ومشاعر، وعن طريقها يتم إيصالها للأخرين من أبناء هذه الجماعة، وتلك هي الدلالة الصوتية للحروف، ويمكن إدراك ذلك عن طريق الاستبدال،أو الحذف، أو الزيادة، حيث ينتج عن هذه العمليات تعديل، أو تغيير في معاني الألفاظ التي تتم فيها عمليةالاستبدال، أو الحذف، أو الزيادة،كما نقول في العربية: (قال ومال)، فبمجرد استبدال الميم بالقاف يتغير المعنى،وتظهر القيمة الدلالية للحرف.

وكل حرفيمكن أن يكون مقابلا استبداليا يحمل قيمة دلالية مؤثرة يكتسبها من خلال الوظيفة التي يؤديهافي تغيير معاني الكلمات،ولا يقتصر ذلك على الحروف ، فكما أن الحروف في تبدُّلها ذات قيمة دلالية، كذلك الحركات لها قيمة دلالية، وتؤدي دورًا مؤثرًا في تغيير معاني الكلمات، ولا عجب في ذلك فالحركة حرف صغير، كما قال ابن جني، والحركات أبعاض للحروف ومن جنسها.[١]

[١] ينظر: الخصائص، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت ٢/٣١٥، ٣١٦.

ويعرف الدكتورإبراهيم أنيس الدلالة الصوتية بأنها " الدلالة التي تستمد من طبيعة الأصوات... والفضل في ذلك مثل هذا الفهم يرجع إلى إيثار صوت على آخر، أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به"[١].

ويذكر " كرامون Cramon " أن القيمة الدلالية لأصوات الحروف: " تحدديباعتبارات خارجة عن الأشعار التي تستعمل فيها تلك الأصوات، فقيمتها التعبيرية ترجع إلى طبيعة تلك الأصوات نفسها، وأن الأشعار لا تأتي فيما بعد إلا شبيهة بأمثلة مخصصة للبرهنة على النظرية[٢].

وعلاقة الصوت بالدلالة ترتبط بطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول على اعتبار أن الصوت دالّ؛ يحمل مدلولًا، وعلى هذا الأساس سنتناول هذه العلاقة بين الصوت والدلالة ضمن هذا الجدل الدائر حول حقيقة علاقة الدال بالمدلول في الدراسات القديمة والحديثة.

دلالة الحروف عند القدماء:

يرتبط أصل بحث قضية دلالة الحروف عند القدماء بموضوع البحثفي نشأة اللغة، وعلاقة الإنسان ببيئته ولغته التي يتكلمها،والمصدر الأصلي لها،وقد شغلت طبيعة العلاقة بين الصوت اللغوي المفرد ودلالته، وكذلك العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها، أذهان كثير من اللغويين والمفكرين، ابتداء من فلاسفة اليونان، إلى اللغويين الهنود، ثم إلى علماء اللغة العربية، وقد استمر الجدل حول إثبات هذه العلاقة: هل هي علاقة طبيعية بين الأصوات ومدلولاتها؟ بمعنى

---

[١] دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ط ٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٩٣م، ص ٤٦.

[٢] تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ط ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢م، ص ٣٤.

آخر، هل يوجد ارتباط طبيعي بين الصوت ومدلوله متعّلق بخصائص الصوت نفسه؟ أم هي علاقة اصطلاحية تواضع عليها أفراد الجماعة اللغوية، وأن الأصوات وضعت بإزاء مدلولاتها دون رابط طبيعي بينهما؟

ونستطيع أن نميّز بين ثلاثة آراء لفلاسفة اليونان في هذه القضية: الرأي الأول يرى أن العلاقة بين الصوت ومعناه علاقة طبيعية، و الرأي الثاني يرى أن العلاقة بين الصوت ومعناه علاقة عرفية، تعارف الناس عليها واصطلحوا فيما بينهم على ذلك، و الرأي الثالث يجمع بين الرأيين، الأول والثاني، ويوفق بينهما، وينتمي "أفلاطون"، الفيلسوف اليوناني المعروف، إلى الرأي الأول، حيث يرى أن الصلة بين الأصوات ومدلولاتها صلة طبيعية ذاتية، أي أنها تثير في الذهن مباشرة مدلولاتها وأن هذه الصلة الطبيعية " كانت واضحة سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ، ولم يعد من اليسير أن نتبين بوضوح تلك الصلة، أو نجد لها تعليلا أو تفسيرًا "[١].ويقول أفلاطون: واذا استطاع أحد ما أن يحاكي الطبيعة الجوهرية للأشياء بواسطة الحروف و المقاطع، فإنه عندئذٍ يكون قد أشار إليها، ودل عليها كما هي في الواقع، أو بلفظ آخر يكون قد أطلق عليها أسماءها الحقيقية[٢].

وأما الرأي الثاني فمن أبرز ممثليه "أرسطو"، الفيلسوف اليوناني المعروف أيضا، حيث يرى أن الصلة بين الأصوات ومدلولاتها صلة ناجمة عن اتفاق وعن

[١] دلالة الألفاظ، ص٦٣.

[٢] محاورة كراتيليوس أفلاطون، في فلسفة اللغة، ترجمة: د. عزمي طه السيد محمد، الأردن، ١٩٩٥م، ص٥٢.

تراضٍ بين البشر[١]. و"اللغة نتاج العرف ما دامت الأسماء لا تنشأ بشكل طبيعي"[٢]

وأما الرأي الثالث الذي اتَّخذ موقفا وسطا بين الفريقين، ويجمع بين الرأيين، الأول والثاني، فيمثله " أبيقور " حيث يرى أن "صيغ الكلمات نشأت بشكل طبيعي، ولكنها تغيَّرت عن طريق العُرف"[٣].

أما حقيقة العلاقة بين الحروف والدلالة في التراث اللغوي العربي، فأقدم إشارات وردت في كتب القدماء وردت عند "الخليل"، ومنها قوله: "وكذلك قالوا "صر الجندب صريرًا" فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوته، وقالوا: "صرصر الأخطب" لما هناك من تقطيع صوته"[٤].

وقد تنبه "سيبويه" إلى الدلالة الصوتية على مستوى البنية، فقال "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربتْ المعاني: النزوان والنقزان، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع". وجاؤوا بـ "الفعلان" في أشياء تقاربت. ومن ذلك: الطَّوفان، والدوران، والجولان، شبهوا هذا حيث كان تقّلبا وتصرفًا بالغَليان، والغَثيان، لأن الغَليان أيضا تقلُّب ما في القدر وتصرفه"[٥].

---

[١] تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، جورج مونين، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٧٢م ص ٩١٠

[٢] موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبنز، ترجمة: د.أحمد عوض، عالم المعرفة. الكويت،١٩٩٧ ص٤٩

[٣] السابق ص ٤١

[٤] العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٤، ٨١،٨٢/٧

[٥] كتاب سيبويه، ١٤/٤و١٥

ويشير "ابن جني" إلى أن الأصوات، بما تحمله من قيم دلالية، منفردة كانت أو مقترنة بغيرها، تشترك في التعبير عن معنى بعينه، فإذا تقلبت هذه الأصوات كانت المعاني متقاربة أيضًا وهذا باب واسع يعمُّ أكثر اللغة [١]، وفي ذلك يقولفي كتاب الخصائص: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتْلَئِبٌ عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها، فَيُعَدِّلُونهَا بها وَيَحْتَذُونهَا عَلَيْهَا، وذلك أَكْثَرَ مِمَّا نقدِّرُه عنها، وَأَضْعَافَ ما نَسْتَشْعِرُه، من ذلك قولهم: "خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطّيخ والقثّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصُّلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها، وفي الخبر: قد يدرك الخَضْم بالقَضْم، أي قد يدرك الرخاء بالشدة، وعليه قول أبي الدرداء: يخضمون ونقضم والموعد الله ونحو ذلك، فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حَذْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[٢].

ولا يقصر "ابن جني" هذا الأمر على الصوامت فقط، فالحركات عنده كذلك حيث يقولعن دلالة الحركات: "جعلوا (الذِّل) بكسر الذال في الدابة ضد الصعوبة، و(الذُّل) بضمها للإنسان وهو ضد العز، وكأنهم اختاروا للفصل

[١] المنصف لكتاب التصريف ٢٩/١

[٢] الخصائص ، ١٥٨/٢،١٥٧.

بينهما الضمة للإنسان والكسرة للدابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا مما يلحق بالدابة، فكأن العرب اختاروا الضمة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدابة"[١] .

وقد ربط "ابن جني" أصوات اللغة بالأغراض والمقاصد، و عقد لهذا الربط في كتابه المشار إليه سابقًاعددًا من الأبواب.وهو في هذا الجانب يعدمن أكثر اللغويين إيماناً بهذه القيمة الدلالية للحروف،وقدَّم أمثلة كثيرة بيَّن من خلالها وجهة نظره هذه، وذكر خلاصة ما انتهى إليه في هذا الشأنبأن "كثيرًا من هذه اللغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها"[٢].ومن ذلك قولهم: "جرّ الشيء يجرّه، قدّموا "الجيم" لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقةٍ على الجار والمجرور جميعا، ثم عقّبوا ذلك "بالراء" وهو حرف مكرر، وكرّروها مع ذلك في نفسها. وذلك لأن الشيء إذا جُرّ على الأرض في غالب الأمر اهتزّ عليها، واضطرب صاعدًا عنها، ونازلا إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتعة والقلق. فكانت "الراء" – لما فيها من التكرير، ولأنها أيضا قد كررت في نفسها في (جرّ) و (جررت) – أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها.[٣]

ومن العلماء الذين تناولوا العلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي المفرد ودلالته"ابن سينا"، فقد قال في رسالته التي بعنوان "أسباب حدوث الحروف ": إن كل صوت من الأصوات الهجائية يحاكي صوتًا من أصوات الطبيعة: " فالخاء: عند حكك كل جسم لين حكًا كالقشر بجسم صلب...، والقاف: عن شق الأجسام

---

[١] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى، أبو الفتح عثمان، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي. ط ٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م ، ٢/ ١٨ .

[٢] الخصائص، ١/٦٥.

[٣] الخصائص، ٢ /١٦٤.

وقلعها دفعة...، والكاف: عند وقوع كل جسم صلب كبير على بسيط آخر صلب مثله...، والطاء: عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان، بل ينحصر هناك هواء له دوي، ويسمع عن القلع أيضا مثله...، والراء: عن تدحرج كرة على لوح من خشب من شأنه أن يهتز اهتزازًا غير مضبوط بالحبس...، واللام: عن صفق اليد على رطوبة...، والفاء: عن حفيف الأشجار...، والباء: عن قلع الأجسام اللينة المتلاصقة بعضها عن بعض"[١]

ويقول ابن سينا في موضع آخر: "ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال المسموع اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النَّفْس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه[٢].

ويعدُّ "السيوطي" من المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته ويذكر "أنّ لفيفًا من علماء العربية وأهلها كادوا يطبقون جميعًا علي إثبات المناسبة بين اللفظ والمعني أو الصوت والمعني"[٣]، وينتصر لوجهة النظر هذه بقوله: "فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعففيهاوالألين،والأَخْفى، والأَسهل، والأَهمس، لما هو أدنى وأقلّ وأخف عملا أو صوتًا، وجعلت الحرف الأقوى، والأشد والأظهر، والأجهر لما هو أقوى عملا

---

[١] رسالة أسباب حدوث الحروف، ص ٩٣:٩٧

[٢] الشفاء: المنطق، العبارة، ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله تحقيق: محمود الخضيري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٧٠ . ص٠ ١٨

[٣] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، شرحه محمد أحمد جاد المولى بك وآخرين. ط ٣، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م ص ٢ /٤٨-٤٩

وأعظم حسًا، ومن ذلك المد والمط، فإن فعل المط أقوى، لأنه مد وزيادة جذب، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال [1].

ومن المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته، "ابن قيم الجوزية" ويقول في ذلك: "اعلم أن المتكلم لما استغنى عن اسم الظاهر في حال الإخبار لدلالة المشاهدة عليه جعل مكانه لفظًا يومئ به إليه، وذلك اللفظ مؤلف من همزة ونون (أنا). أما الهمزة فلأن مخرجها من الصدر، وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم، إذ المتكلم في الحقيقة محّله وراء حبل الوريد. قال الله تعالى:ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠفإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك، وأردت من الحروف ما يكون عبارة عنه، فأولاها بذلك ما كان مخرجه من جهته، وأقرب المواضع إلى محّله، وليس إلا "الهمزة" أو "الهاء" ، لأن مخرجهما من داخل الحلق: الحنجرة، و"الهمزة" أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر والشدة، وضعف الهاء بالخفاء؛ فكان ما هو أجهر، أقوى وأولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذي الكلام صفة له، وهو أحق بالاتصاف به. وأما اتصالها مع النون؛ فلما كانت "الهمزة" بانفرادها لا تكون اسمًا منفصلا كان أولى ما وصلت به "النون" أو بحرف المد واللين؛ إذ هي أمهات الزوائد[2].ويقول في موضع آخر "ولقد مكثت

[1] السابق، ١ /٥٣

[2] بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٠م، ١/١٧٦.

برهة يرد عليّ اللفظ لا أعلم موضوعه، فأجد معناه من قوة لفظه، ومناسبة تلك الحروف لذلك المعنى، ثم أكشفه فأجده كما فهمته أو قريبًا منه"[١].

ومثّل ابن القيم للعلاقة بين الصوت ومعناه بقوله: "وتأمل قولهم: "حجر"، و"هواء" كيفوضعوا للمعنى الثقيل الشديد هذه الحروف الشديدة ووضعوا للمعنى الخفيف: الهواء التي هي من أخف الحروف... وانظر في تسميتهم الغليظ الجافي بالعُتلِّ والجِعِظْرى والجواظ، كيف تجد هذه الألفاظ تنادي ما تحتها من المعاني"[٢]

وكما وسع "ابن جني" الأمر ليشمل الحركات، فعل "ابن قيم الجوزية" الأمر نفسه فلم يقصر حديثه في هذا الموضوععلى الصوامت فقط، فالحركات كذلك حيث يقول عن دلالة الحركات: ومنه قولهم " حِمْل، و حَمْل "فبالكسر لما كان قويًا مرئيًا مثقلا لحامله على ظهره، أو رأسه، أو غيرهما من أعضائه، و "الحَمْل " بالفتح لما كان خفيفه غير مثقل لحامله، كحمل الحيوان، والإنسان، وحمل الشجرة به أشبه[٣].

و ذكر ابن القيم أنهمراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه كالوسوسة لماكانت كلاماً يكرره الموسوس، ويؤكده عند من يلقيه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناهاونظير متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه كالدوران والغليان

[١] التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٧٨، ص٢٠٥

[٢] السابق، ص٢٠٧

[٣] السابق، ص ٢٠٦

وبابه، ومثلهزلزل ودكدك وقلقل وكبكب لأن الزلزلة حركة متكررة وكذلك الدكدكة والقلقلة.[١]

وقد ذكر ابن السكيت في كتابه" إصلاح المنطق " قريبًا من هذا الكلام، فقال: "الحَمْل ": ما كان في بطن أو على رأس شجرة، وجمعه أحمال، و "الحِمْل ": ما حُمِل على ظهر أو رأس"[٢]

ويعدُّالسكاكي منالمؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته فقد ذكر في كتابه: مفتاح العلوم: "أن للحروف في أنفسنا خواص بها تختلف كالجهر والشدة والرخاوة والتوسط بينهما، وغير ذلك... وإذا أخذ في تعيين شيء منها لمعنى أن لايهمل التناسب بينهما، مثل ما ترى في (الفصْم) بالفاء الذي هو حرف رخو، لكسر الشيء من غير أن يبين، و(القَصْم) بالقاف، الذي هو حرف شديد، لكسر الشيء حتى يبين، وفي (الثلم)، بالميم الذي هو حرف خفيف ما يبنى للخلل في الجدار، و (الثلب) بالباء هو حرف شديد ما يبنى للخلل في العرض وما شاكل ذلك.[٣]

---

[١] ينظر: بدائع الفوائد ج ٢ص ٢٥١ .

[٢] إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة،١٩٥٦م ص٣

[٣] ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد، حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٤٦٧

دلالة الحروف عند المحدثين:

حظيت فكرة الربط الطبيعي بين أصوات الحروف ومدلولاتها على اهتمام عدد من اللغويين في العصر الحديث، وانقسموا إزاء هذه القضية إلى فريقين:مؤيد، ومعارض. وسنعرض فيما يلى وجهة نظر كل فريق.

ويأتي على رأس الفريق المؤيد للربط بين الأصوات ومدلولاتها،أحمد فارس الشدياق، والشيخ عبد الله العلايلي، والأستاذ جورجي زيدان، والأستاذ عباس محمود العقاد، والدكتور صبحي الصالح، والأستاذ محمد المبارك، وسنبين وجهة نظرهم فيما يأتي:

يعد أحمد فارس الشدياق من أقوى المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته، فقد ذكر أن كل صوت يختص بمعنى من المعاني دون غيره، وعدَّ ذلك من أسرار اللغة العربية التي قلَّ من تَنبه لها، ويمثل لذلك بذكر عدد من الحروف، ويبين ما تحملهمن معانٍ، ويرى أن ذلك مقيس على سائر الحروف الأخرى،ونذكر هنا طرفًا من الذي ذكره عن بعض الحروف، فقدذكر أن من خصائص حرف "الحاء" السعة والانبساط وذكر أمثلة: البراح، الرحرح، والأبطح، ومن خصائص حرف "الميم " القطع والاستئصال والكسر نحو: أرم، أزم، ثلم، جذم، جرم، ومن خصائص حرف "الهاء" الحمق، والغفلة،نحو: أله، وبله، وتفه، وشده... [١]

[١] ينظر: الساق على الساق، الشدياق، أحمد فارس، تقديم نسيب وهيبه الخازن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٠م ص٦٥،٦٦

ويؤيد الشيخ عبدالله العلايلي الفكرة نفسها مستعرضًا الحروف حرفًا حرفًا بقوله: أصبح من الضروري أن نتكلم على تحديد حروف الجدول بما تسمح به النصوص المحفوظة: الهمزة: يدلُّ على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى، ويدل على الصفة تصير طبعًا. والباء: يدلُّ على بلوغ المعنى في الشيء بلوغًا تامًا، ويدل على القوام الصلب بالتفعل. والتاء: يدلُّ على الاضطراب في الطبيعة، أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديدًا. والثاء: يدل على التعلق بالشيء تعلقًا له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى. والجيم: يدلُّ على العظم مطلقًا...، والحاء: يدلُّ على التماسك البالغ وبالأخص في الخفيات ويدل على المائية. والخاء: يدلُّ على المطاوعة والانتشار، وعلى التلاشي مطلقًا. الدال: يدلُّ على التصلب وعلى التغير المتوزع. والذال: يدلُّ على التفرُّد. والراء: يدلُّ على الملكة، و يدلُّ على شيوع الوصف. والزاي: يدلُّ على التقلع القوي. والسين: يدلُّ على السعة والبسطة من غير تخصيص. والشين: يدلُّ على التفشي بغير نظام. والصاد: يدلُّ على المعالجة الشديدة. والضاد: يدلُّ على الغلبة تحت الثقل. والطاء: يدلُّ على الملكة في الصفة، وعلى الالتواء والانكسار. والظاء: يدلُّ على التمكن في الغؤور. والعين: يدلُّ على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقًا. والغين: يدلُّ على كمال المعنى في الشيء. والفاء: يدلُّ على لازم المعنى، أي على الوضع في المعنى الكنائي. والقاف: يدلُّ على المفاجئة التي تحدث صوتًا. والكاف: يدلُّ على الشيء يلتج عن الشيء في احتكام. واللام: يدلُّ على الانطباع بالشيء بعد تكلفه. والميم: يدلُّ على الانجماع. والنون: يدلُّ على البطون في الشيء، أو على تمكن المعنى تمكنًا تظهر أعراضه. والهاء:

يدلُّ على التلاشي. والواو: يدلُّ على الانفعال المؤثر في الظواهر. والياء: يدلُّ على الانفعال المؤثر في البواطن.[١]

وكذلك يعدُّ جرجي زيدان منالمؤيدين للعلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي حيث انتهى إلى أن لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول قليلة،أحادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكات الأصوات الخارجية و بعضها عن الأصوات الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزياً. وإنها من هذه الأصول نشأت و نمت حتى بلغت ما هي عليه الآن بتركيبها و تنوعها بين نحت وإبدال وقلب واستعارة كل ذلك سداً لاحتياجات الإنسان وجرياً على ناموس الارتقاء العام.[٢]

ومن المؤيدين للعلاقة الطبيعية بين صوت الحرف اللغوي ودلالتهالأستاذ العقاد، ويرى أن اللغة العربية من أصلح اللغات في هذا الباب، وبخصوص هذا الأمر يقول: ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسات اللغوية؛ لأن مخارج حروفها مستوفاة متميزة، خلافًا لأكثر اللغات التي تُعوزها الحروف الحلقية، أو تلتبس فيها مخارج حروف الهجاء[٣]...

ومن الحروف التي تحدث العقاد عن دلالتهاحرف: « الحاء » حيث يقولعنه: إن « الحاء » حقًّا من الحروف التي تصور معنى السعة بلفظها ووقعها

---

[١] مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية، بيروت، (د. ت) ص٢١٠-٢١١

[٢] ينظر:الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية، جرجي زيدان، مطبعة القديس جاو رجيوس، بيروت ،ط ١٨٨٦م، ص ٧٠

[٣] أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد ، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.ص٣٦

في السمع، ولكن على حسب موضعها من الكلمة، ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت في أوائل الكلمات أو أواسطها. فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات: الارتياح، والسماح، والفلاح، والنجاح، والفصاحة، والسجاحة، والفرح، والمرح، والصفح، والفتح والتسبيح، والترويح وما جرى مجراها[١] ... والنتيجة بعد هذه الملاحظات السريعة قد تكون كبيرة الجدوى مع التوسع فيها، وتعدد الناظرين إليها من جميع جوانبها، وخلاصتها:

أولًا: أن هناك ارتباطًا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات.

وثانيًا: أن الحروف لا تتساوى في هذه الدلالة، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها في الحكاية الصوتية.

وثالثًا: أن العبرة بموقع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله في تركيبها.

ورابعًا: أن الاستثناء في الدلالة قد يأتي من اختلاف الاعتبار والتقدير، ولا يلزم أن يكون شذوذًا في طبيعة الدلالة الحرفية[٢].

ويؤيدالدكتور صبحي الصالح العلاقة الطبيعية بين الصوت اللغوي ودلالته بقوله: " أما الذي نريد الآن بيانه، فهو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية، إذلم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية

[١] السابق، ص ٣٤

[٢] السابق، ص٣٦

التي يمكن حلُّ أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوالّ المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص مادام يستقل بإحداث صوت معين. وكل حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع"[١]، ولكن "القيمة التعبيرية الموحية للحرف العربي لا تلمح إلا عند القائلين بمناسبة حروف العربية لمعانيها، وهذه المناسبة يتعذر القول بها على جهل بالأسرار الصوتية المودعة في مخارج الحروف وصفاتها، كما عرفها العرب ولمحوها، واستشعروا وقوعها على الأسماع، وأثرها في النفوس."[٢]

وبعدما تتبع الأستاذ محمد المبارك جهود علماء العربية في هذا المجال أبدى تأييده للعلاقة الطبيعية بين أصوات الحروف ودلالاتها بقوله: " للحرف في اللغة العربية إيحاء خاص، فهو إن لم يكن يدلُّ دلالة قاطعة على المعنى، يدلُّ دلالة اتجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوًا يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به[٣].

ويربالأستاذ زكي الأرسوزي أن وضوح العلاقة الطبيعية بين أصوات الحروف وقيمها الدلالية علامة على عروبتها وأصالتها، والعكس صحيح، وفي ذلك يقول: " إن الكلمة التي لا يمكن إرجاعها إلى صور صوتية، مقتبسة عن الطبيعة، وفي حدود الصناعة العربية لهي كلمة دخيلة على العربية.ويذكر الأرسوزى أن الحرف العربي يتمتع بقيمة بيانية لا يضارعه فيها نظيره في اللغات

[١] دراسات في فقه اللغة ، د/ صبحي الصالح ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٣م، ص١٤٣.

[٢] السابق، ص٢٧٧

[٣] فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، ط ٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ص٢٦١.

الأخرى، وإن تحددت هذه القيمة بمنظومة الكلمة الصوتية إلا أن بعض الحروف في هذه المنظومة بمثابة نبرة الإيقاع في بيان معنى الكلمة، ويفي الحرف الأول من الكلمة على الأغلب بهذه الوظيفة.[١]

ويوردالأستاذ زكي الأرسوزي أمثلة لدلالات عدد من الحروف يؤيد بها وجهة نظره هذه، فيذكر أن حرف الغين بحسب مخرجه وما يلقى من صدى فى النفس عند خروجه يعبر عن معنى تنطوي عليه تقريبًاكافة الكلمات التي تبدأ به، وهو الغموض والغيبوبة ، ومنها غب وغبر وغبش وغبن وغبى وغنت وغرب وغرز وغرس وغلف وغرق وغشم وغشى وغط، وحرف السين فيعبر حسب صدوره عن معنى الحركة أو الطلب وهو يحدد المضارع نحو المستقبل ومنه سار وسأل وسأى وسبب وسيح وسبر وسبق وسبل وستل إلى آخره الألفاظ التى يسوقها أمثلة لذلك، ويدخل حرف الباء فى كلمات ذات معان مختلفة، ومع هذا فإنه يتغلب عليه معنى الظهور والوضوح، وهو المعنى الأكثر توافقاً مع مصدر خروجه من الفم، ومنه بدأ وبدح وبدخ وبدع وبذخ وبرح وبرز وبرع وبرق وبسق وبسم وبزغ وبضع وبقل وبلج ، وهكذا.[٢]

وخلاصة القول عند أنصار هذا الفريق، أن للصوت معنى ودلالة وسمة في اللسان العربي، ومايعزز هذا فواتح سورالقرآن التي وردت بأصوات صرفة، فردية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية، فهي لم ترد عارية من المعنى و الدلالة والسمة، كما أنها ليست في موضع زيادة،وأنها ليست كلمات ولا جملا على حدّ

[١] ينظر: العبقرية العربية في لسانها، زكى الأرسوزي، مطبعة الحياة، دمشق، (د. ت).ص٥، ٤٧.

[٢] ينظر: السابق، ص ٥٤.

قول بعض المفسرين، إنما حقيقتها أصوات، ولا بد لهذه الأصوات من معنى و دلالة وسمة، أكتشفت أم لم تكتشف.[١]

أما الفريق الذي يعارض وجود تلك العلاقة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها فيمثله الدكتور إبراهيم أنيس في أحد رأييه، والدكتور عبده الراجحي، والدكتور تمام حسان، والدكتورحسن ظاظا، والدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور محمود فهمي حجازي.

وينكر هذا الفريق مع كثير من اللغويين المحدثين وجود علاقة ذاتية بين الحرف ومدلوله، ويرون أن هذه العلاقة عرفية اصطلاحية، وفي هذا السياق يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "والأمر الذي لم يبد واضحًا في علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجوب التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة، ففي كثير من ألفاظ كل لغةنلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها، ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها، وإنما اكتسبتها اكتسابًا بمرور الأيام، وكثرة التداول، والاستعمال، وهي في بعض الألفاظ أوضح منها في بعضها الآخر، ومرجع هذا إلى الظروف الخاصة التي تحيط بكل كلمة في تأريخها، وإلى الحالات النفسية المتباينة التي تعرض للمتكلمين، والسامعين في أثناء استعمال الكلمات".[٢] وفي موضع آخر يقول: " قد ترتبط الألفاظ بالدلالات في بعض الحالات النفسية كالكلمات التي تعبر عن الغضب أو النفور والكره، كما قد ترتبط بحجم الأشياء أو أبعادها. فقد لوحظ أن الكسرة وما يتفرع عنها من ياء المد ترمز

[١] قراءة في سيمائية أصوات العربية أ.د/ عمار ساس ص٦١ضمن أبحاث الملتقى الوطني الأول: الصوتيات من التاريخية إلى الوظيفية ، مجلة الصوتيات التي تصدر عن مخبر الصوتيات العربيةالحديث العدد الأول٢٠٠٥

[٢] من أسرار اللغة ،إبراهيم أنيس، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ،١٩٧٥م ، ص ١٤٤

في كثير من اللغات إلى صغر الحجم أو قرب المسافة. ففي العربية نجد أن الياء هي علامة التصغير وأن الكسرة علامة التأنيث "[١].

وعلى نهج الدكتور إبراهيم أنيس يمضيالدكتور تمّام حسّان في إنكار وجود علاقة طبيعية بين الأصوات أو الألفاظ ومدلولاتها فيقول: فالعلاقة بين الكلمات وأصواتها ومعانيها علاقة عرفية اعتباطية محددة بالاستعمال، ومدونة في المعجم[٢].

وكذلك يرى الدكتور عبده الراجحي أن "الكلمة تختلف أصواتها بألفاظ متباينة اصطلح عليها الناس دون أدنى تناسب بين أي صوت من أصوات هذه الكلمة، وبين المسمى الذي يدل عليه[٣].

ويبررالدكتور رمضان عبد التواب رفضه للعلاقة الطبيعية بأنه لو صح ذلك "لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة على وجه الأرض، وأن مذهب المحاكاة يحصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الإحساس بما يحدث في البيئة، ويتجاهل الحاجة الطبيعية إلى التخاطب والتفاهم، والتعبير عما في النفس[٤].

ويرفض الدكتور محمود فهمي حجازي هذه الفكرة قائلا: "لو كان هناك علاقة بين اللفظ والمدلول، فإنّها لا تتجاوز كونها اصطلاحية عرفية[٥].

---

[١] ينظر: دلالة الألفاظ، ص ٦٦

[٢] ينظر: اللغة العربية؛ معناها ومبناها، ص ٣١٨

[٣] فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية بيروت،١٩٧٩م، ص ٦٩

[٤] المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١١٤

[٥] مدخل إلى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، ط ٢ ، دار الثقافة، القاهرة ، ١٩٨١م ص ١١

ولم يكن تناول العلاقة بين الصوت والدلالة قاصرًا علي اللغويين العرب، فقد تناولها غيرهم منااللغويين المحدثين، حيث يؤيد" ياكبسونJakobson الربط بين الصوت والمعنى بقوله: "إن رمزية الأصوات علاقة موضوعية لا تنكر، وهي علاقة قائمة على ربط ظاهري بين مختلف الوسائل الحسية، وبخاصة بين الإحساسات البصرية والسمعية[١].

وكذلك يؤيد "بنفينيستBenveniste " ضرورية هذه العلاقة، فيقول "إن العلاقة بين الدال والمدلول ليست اعتباطية، بل هي على العكس من ذلك علاقة ضرورية[٢].

وعلى الجانب الآخر يقف "دي سوسير" حيث يعدُّ العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، وفي ذلك يقول: ولما كنت أعنى بإشارة النتيجة الإجمالية بين الدال والمدلول تهيأ لي أن أقول بأسلوب أبسط وببساطة: إن العلامة اللغوية اعتباطية ولا علاقة لها بذاتها، وما يمكن أن تدلَّ عليه إلا بالاتفاق والاصطلاح، وأما الكلمات التي هي أمثلة حقيقية للعلاقة بين الصوت والمعنى فهي قليلة العدد[٣].

وينكر ستيفن أولمان Stephen Ollman" وجود علاقة طبيعية أو ذاتية بين الصوت ومدلوله، حيث يقول: هناك شيآن يعارضان افتراض وجود أية صلة

---

[١] قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد المولى، ومبارك حنون، ط ١، دار توبقال الدار البيضاء، ١٩٨٨م،ص ٥٤

[٢] اللغة نصوص مختارة. ترجمة محمد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالي. ط ٢، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٩٨م ص٣٨

[٣] علم اللغة العام، فردينان دي سوسير، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، بغداد، ١٩٨٥، ص٨٧-٨٨

طبيعية بينهما مهما كانت هذه الصلة غامضة: الشيء الأول: يتمثل في تنوع الكلمات واختلافها في اللغات المختلفة، والثاني يتبلور في الحقائق التاريخية: فلو كانت معاني الكلمات في أصواتها، لما أمكن أن تتغير هذه الكلمات في لفظها ومدلولها تغيرًا يستحيل ربطه بالمعنى بالوضع الأصلي لها[١].

وصف تكوين الحروف العربية وبيان قيمها الدلالية

يقول ابن الجزري: "كل حرف شارك غيره في الصفات فإنه لا يمتاز عنه إلا بالمخرج، وكل حرف شارك غيره في المخرج لا يمتاز عنه إلا بالصفات، ولولا ذلك لاتحدت أصوات الحروف في السمع"[٢]، وتعمل الخصائص الصوتية النطقية التي تميز الحرف، من حيث مخرجه وصفاته، على تكوين القيمة الدلالية التي يحملها والتأثير فيها وتوجيهها، وفى الصفحات القادمة سوف نقدم تعريفات مختصرة لحروف العربية حرفًا حرفًا، نبين فيها كيف يتكون هذا الحرف، وذلك من خلال وصف ما يحدث لأعضاء النطق حال النطق به، وما ينتج عن ذلك من سمات تمييزية تكوّن الشخصية المستقلة لهذا الحرف، وتؤثر في القيمة الدلالية التي يحملها، وما يوحي به من معنى، وذلك وفقًا لما تسمح به النصوص وفي ضوء ما أثر عن علماء العربية، وما أسفرت عنه الاستقصاءات البحثية، مع ملاحظة أن الحرف يستمد قيمه الدلالية عن طريق رافدين: الأول: أن الحرف يكتسب دلالته من المخرج الذي يحدده، والصفات التي تميزه، والآخر:

[١] دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة كمال بشر، ط ١٢ دار غريب. القاهرة، ١٩٩٧، ص ٧٣

[٢] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري:. تحقيق: علي محمد الضباع. المطبعة التجارية الكبرى، ١/ ٢١٤.

أن الحرف قد يستمد العديد من المعاني بحسب موقعه في الكلمة، وما يتصاحب معه من حروف أخرى.

١-الأصوات الشفوية :

وهى تلك الأصوات التي تنطق باشتراك الشفتين معًا ، وهى " الباء، والميم،الواو".

الباء:

عند النطق بالباء يمر الهواء بالحنجرة، فيهتز الوتران الصوتيان، ويستمر الهواء في المرور حتى يصل إلى الشفتين فيتوقف توقفًا تامًا عندهما حيث ينطبقان انطباقًا محكمًا يمنع خروج الهواء ويضغط مدة من الزمن، ثم تنفرجان فيندفع الهواء فجأة من الفم محدثًا صوتًا انفجاريًا، وعلى هذا يوصف الباء بأنه: صوت صامت شفوي انفجاري مجهور مرقق [١] .

ويدلُّ حرف "الباء" على بلوغ المعنى في الشيء بلوغًا تامًا، وعلى القوام الصلب بالتفعل، وعلى قلع الأجسام اللينة المتلاصقةبعضها عن بعض، وعلى تجمع رخو مع تلاصق ما، و يتغلب عليه معنى الظهور والوضوح، وهو المعنى الأكثر توافقًا مع مصدر خروجه من الفم ومنه: بدأ، بتَّ، بدا، وبدح، وبدخ، وبدع، وبذخ، وبرح، وبرز، برع[٢]، ويرى الأستاذ حسن عباس أن حرف الباء أكثر تمثيلاً لمعاني البقر والبعج والحفر ، والقطع والشق، والتحطيم والتبديد، والمفاجأة

١ علم اللغة العام : الأصوات، كمال بشر، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٧٩م، ص١٠١.

٢ ينظر:العبقرية العربية في لسانها، ص٤٨ ورسالة أسباب حدوث الحروف، ص ٩٣:٩٧، و المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١ ، ٢٠١٠م، ص٤٠.

والشِّدة، وأكثر إيحاء بمعنى الشدة والقوة[١] وتعطي صفة الانفجار في الباء غلظة تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض[٢] وتعطي صفة الجهر في الباء قوة وعلوًا ووضوحًا في السمع.

الميم:

الميم ينطق كالباء فتنطبق الشفتان انطباقًا تامًا عند النطق به، فيحبس الهواء في الفم ولكن في أثناء انطباق الشفتين يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين من المرور من الممر الثاني وهو الأنف، ويتضام الوتران الصوتيان تضامًا شديدًا يسمح بمرور الهواء مع تذبذبهما حال النطق بالميم؛ وبناء على ذلك يوصف الميم بأنه: صوت صامت شفوي أنفي مجهور مرقق .

وحرف "الميم " من أول الحروف التي يبدأ الطفل نطقه بها نظرًا لارتباطه بالشفتين اللتين يستعملهما كثيرًا في مصّ ثدي أمه، ويوحيحرف "الميم " بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما على بعضهما بعضًا، من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة ، و ويدلُّ حرف "الميم " على معاني الشدة والغلظة والضخامة، وعلى القطع والاستئصال والكسر، ويدلُّ على الانجماع، ويدلُّ على امتساك واستواء ظاهري، وعلى التوكيد والتشديد والقطع الذي يدل على المعاني الحسية، كما يستعار أحيانًا لمعاني القطع بالرأي

[١] خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨، ص ١٠١.

[٢] ينظر: الخصائص،٢/ ١٦٣ .

والإصرار على العزيمة[١].واجتماع صفتي الجهر والأنفية في الميم تكسبانه رنينًا وجرسًا خاصًا.

الواو:

ينتمي حرف "الواو" إلى تلك الأصوات التي يطلق عليها أشباه الصوامت، وهذا المصطلح يطلق على تلك الأصوات التي تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات، ولكنها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى؛ ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الانزلاقية، ولقصرها وقلة وضوحها في السمع إذا قيست بالحركات الصرفة، اعتبرت هذه الأصوات أصواتًا صامتة، لا حركات، بالرغم مما فيها من شبه واضح بالحركات، وعندنا في العربية من هذا النوع صوتان هما: الواو والياء[٢]

وينطق حرف "الواو" بأن تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضمة ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى، وتنضم الشفتان ويسد الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصوتيان، فالواو إذن صوت صامت(أو نصف حركة) من أقصى اللسان مجهور، نحو الواو في "ولد"، ويمكن وصفه بأنه شفوي كذلك، حيث إن الشفتين تنضمان عند النطق به.[٣]

والواو يبقى مخرجها كما هو، ساكنة كانت أومتحركة، وإنّما الذي يتغير هو سلوكها، فالمتحركةتكتسب قوّة أكبر، إذْ يمكن أن تكون مثل الحروف الصحيحة،

---

[١] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٧٢ و ٧٦ ، والساق على الساق، ص٦٥،٦٦، و مقدمة لدرس لغة العرب ،ص٢١٠-٢١١، والمعجم الاشتقاقي ، ص٤١،وأشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص٣٥.

[٢] علم اللغة العام : الأصوات، ص ١٣٢

[٣] السابق: ص ١٣٣

وهي كذلك فعلا، ومن أجلذلك لم يصور العرب لهذا الحرف صورتين مختلفتين، مع أنه قد اشتمل على إمكانيتين الصائتوالصّامت.[١]

ويدلُّ حرف "الواو" على الانفعال المؤثر في الظواهر. ويذكر حسن عباس "أن صوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم يوحي بالبعد إلى الأمام". ويعبر حرف "الواو" عن اشتمال واحتواء، وذلك أخذًا من "الواو" وهو اسم البعير الفالج، وهو ذو السنامين، ولما كانت الإبل المعتادة المتعارفة عند العرب ذات سنام واحد، فإن ذا السنامين يعد جامعًا ومشتملًا على أكثر من غيره، وهذا يتفق مع المعنى الاستعمالي للواو[٢].

٢-الأصوات الشفوية الأسنانية :

وهى تلك الأصوات التي تنطق باشتراك أطراف الثنايا العليا وباطن الشفة السفلى و " الفاء " العربية تنطق بهذه الكيفية. ولا يوجد في العربية صوت آخر ينطق على هذا النحو.

الفاء:

يتكون "الفاء" بأن تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا، ويرفع الحنك اللين، فلا يمر الهواء خلال الأنف ولا يتذبذب معه الوتران الصوتيان، فالفاء صوت صامت شفوي أسناني احتكاكي مهموس مرقق.

[١] ينظر: دراسات في علم اللغة، كمال بشر، كمال بشر، دار غريب، القاهرةدت، ص٩٩.

[٢] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، وخصائص الحروف العربية ص ٩٧، والمعجم الاشتقاقي ص٣٨

ويدلُّ حرف" الفاء " علىحفيف الأشجار وما أشبهها، وعلى لازم المعنى، أي على الوضع في المعنى الكنائي، ويدلُّ على الإبانة والوضوح، و على النفاذ بقوة (كالطرد والإبعاد) إلى ظاهر الشيء مع اتساع النافذ أو انتشاره، وذلك أخذًا من "الفُوفة" بالضم: القشرة الرقيقة على النواة [١]، وتعد صفتي الهمس والترقيق من ملامح الضعف في هذا الحرف، ولرقة صوته، كثيراً ما يضفي معنى الضعف والوهن على الألفاظ التي يدخل في تراكيبها، ولاسيما المؤلفة من حروف : (د. ت. ط. ر. ل. ن).

ويرى "حسن عباس" أن هذا الحرف بحفيف صوته الرقيق وبعثرة النفَس لدى خروجه من بين الأسنان العليا وطرف الشفة السفلى، يوحي بملمس مخملي دافئ، كما يوحي بالبعثرة والتشتت، لتكون الخصائص الصوتية لهذا الحرف موزعة بين اللمسي والبصري[٢].

٣-الأصوات الأسنانية:

وهى الأصوات التي يشترك في نطقها الأسنان العليا والأسنان السفلى مع وضع طرف اللسان حال النطق بها بين الأسنان العليا والأسنان السفلى، ويتم في هذا المخرج إنتاج ثلاثة أصوات من الصوامت العربية هي: الثاء والذال والظاء وتوصف على النحو الآتي:

---

[١] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ومقدمة لدرس لغة العرب ،ص٢١٠-٢١١، وأشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص،٤٥والمعجم الاشتقاقي ، ص٣٤.

[٢] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٣١.

الثاء :

يتم إنتاج هذا الصوت بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء؛ ويكون معظم اللسان مستويًا، ويرفع الحنك اللين، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، ويخرج الهواء محتكًا محدثًا صوت الثاء، ولا يتذبذب معه الوتران الصوتيان، إذن الثاء: صوت صامت أسناني احتكاكي مهموس مرقق .

ويدلُّ حرف" الثاء " علىالتعلق بالشيء تعلقًا له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى، ويدلُّ على البعثرة والتشتت والتخليط، مما يماثل بعثرة النفس بعد خروج صوت الثاء منها،ويدلُّ على كثافة أو غلظ مع تفشٍّ، وعلى الانتشار والتفريق، وعلى العين من كل شيء، واللين من كل شيء[١]. وتعد صفتا الهمس والترقيق من ملامح الضعف في هذا الحرف.

ولا فرق بين صوتي (الثاء والذال) إلا الهمس بالثاء والجهر بالذال، لاشتراكهما في المخرج، وصفة الاحتكاكية، ويرى حسن عباس أن "النَّفَس مع الثاء الملثوغة يخرج بشيء من البعثرة؛ فيسمع له حفيف طري، بينما يخرج النفَس مع الذال الملثوغة بعد مخرج الثاء مباشرة بذبذبة صوتية عالية؛ ولذلك كانت إيحاءات صوتيهما في منتهى التناقض: فالرقة والليونة والملمس الدافئ الوثير في صوت الثاء. والخشونة والحرارة والفعالية في صوت الذال. .. فالثاء، إنما هي تأنيق

[١] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ،ص٢١٠-٢١١، والمعجم الاشتقاقي ، ص٤٠ و دقائق العربية، الأمير أمين آل ناصر الدين، ط ٣ بيروت ١٩٨٦م ، ص١٧ وثلاثة كتب في الحروف، للخليل بن أحمد، وابن السكيت، الرازي، تحقيق: رمضان عبد التواب ، ط١، القاهرة، الرياض، ١٩٨٢، ص٣٥ وطرائف من روائع الأدب، أحمد تيمور، دار الكتاب العربي، القاهرة،ط١، ١٩٥٦م، ص٢٣٦،وما بعدها وخصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٦٢،٦٠.

للسين الرقيقة، وتأنيث لتاء التأنيث. وكأني بالعربي لم يبدع صوت هذا الحرف إلا خصيصاً للأنثى، ليميزها بالثاء حتى من النساء أنفسهن، إيفاء لحقها من الرقة والدماثة والإحاطة واللين. فما كل امرأة تتوافر فيها خصائص الأنوثة وإن كانت أنثى. فلفظة الأنثى إنما هي ألصق بالجنس من لفظة المرأة"[١].

الذال:

وهو النظير المجهور للثاء، أي أن الذال يختلف عن الثاء في شيء واحد هو أن الوترين الصوتيين يتذبذبان عند نطقه، فالذال: صامت أسناني احتكاكي مجهور مرقق .

وتعد صفة الجهر من ملامح القوة في صوت" الذال " وتسهم في علو الصوت ووضوحه. ويدلُّ حرف" الذال " على التفرُّد، وعلى القطع، وعلى نفاذ ثخين ذي رخاوة ما وغلظ [٢]، وإذا كانت خصائص الأنوثة قد تجمعت كلها في (الثاء)، رقة ودماثة وحشمة، فقد تركزت في (الذال) كل الذكورة، توتر صوت، وخشونة ملمس، وشدة ظهور .وإذا كانت (الثاء) تدغدغ طرف اللسان بكثير من المرونة والدماثة، فتوحي بطعم الدسم والملمس الدافئ الوثير، فإنّ الذال ألذع مذاقًا، وأكوى حرارة، وأوخذ ملمساً، وأشد توتراً، ليشف بذلك صوت كل حرف منهما عن خصائص الجنس الذي يمثله. وهكذا تتراءى مفاهيم الجنس في الذكورة والأنوثة كأحاسيس لمسية خلف أستار شفافة من صوتي هذين الحرفين، ولا أوحى منهما بخصائص الأنوثة والذكورة في لغتنا[٣].

---

[١] ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٦٠.

[٢] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ،ص٢١٠-٢١١ودقائق العربية ص١٧والمعجم الاشتقاقي ، ص٤٠.

[٣] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٦٤،٦٥.

الظاء:

يتم إنتاج هذا الصوت بالطريقة نفسها التي يتم بها إنتاج صوت الذال، إلا أن شكل اللسان معه غير شكله مع الذال حيث يرتفع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك كما يرجع إلى الخلف قليلا فيحدث الإطباق كما هو الحال في نطق الضاد والطاء والصاد كذلك، إذن الظاء: صامت أسناني احتكاكي مجهور مفخم (مطبق) .

ويلاحظ في هذه الأصوات الأسنانية أن الذال والثاء أختان ويفرق بينهما جهر الأولى وهمس الثانية، كما يلاحظ أن الذال والظاء أختان ويفرق بينهما أن الأولى مرققة والثانية مفخمة .

و يدلُّ حرف"الظاء " على التمكن في الغؤور، وعلى نفاذ بغلظ أو حدة مع كثافة، وهو يوحي بالفخامة والنضارة والأناقة والظهور، وبشيء من الشدة والقساوة [1].وتعد صفتا الجهر والتفخيم من ملامح القوة في هذا الحرف، وتعملان على علو درجته ووضوحه.

ويذكر حسن عباس أنه باستقرائه معاني المصادر اللغوية التي حوت هذا الحرف لاحظ أن حرف الظاء قد تفرَّد عن سائر الحروف العربية بعدد من الميزات منها: ندرة الألفاظ الدالة على عيوب جسدية أو نفسية، وذلك يرجع إلى ما في صوت الظاء الملثوغة من موحيات الفخامة والعذوبة والنضارة والأناقة بما يتناقض أصلاً مع معاني الخسَّة والقذارة والتشوهات الجسدية والنفسية والفحش،

[1] مقدمة لدرس لغة العرب ،ص٢١٠-٢١١والمعجم الاشتقاقي ، ص٤١وخصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٢٢

وأنه لم يعثر في المعجم الوسيط على أية لفظة دخيلة أو معربة أو مولدة أو محدثة في مشتقات المصادرالتي شارك في تركيبها هذا الحرف سوى لفظة (وظيفة) بمعنى المنصب والخدمة المعينة، وذلك لعدم وجود حرف الظاء في لغات الشعوب المجاورة من غير الساميين[١].

٤-الأصوات الأسنانية اللثوية :

يعد هذا المخرج أغنى المخارج بالأصوات في العربية، ففيه تنطق الأصوات التالية: التاء، والدال، والطاء، والضاد، والزاي، والسين، والصاد، ويتم نطق هذه الأصوات باشتراك مقدم اللسان مع اللثة وأصول الثنايا العليا، وذلك على النحو الآتي:

التاء:

يتم إنتاج صوت التاء بتوقف الهواء وقوفًا تامًا حال النطق به عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة، ويضغط الهواء مدة من الزمن، ثم ينفصل العضوان انفصالاً فجائيًا محدثًا صوتًا انفجاريًا، ويلاحظ ارتفاع الحنك اللين حال النطق به، فلا يسمح بمرور الهواء من الأنف، ولا تذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بالتاء، ولذلك فالتاء: صامت أسناني لثوى انفجاري مهموس مرقق.

ويدلُّ حرف" التاء " على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديدًا، و يدلُّ على ضغط بدقة وحدة يتأتى منه معنى الامتساك الضعيف، وإذا جاء ثانيالكلمة دلَّ على القطع، نحو:" بتَّ الحبل" و" بتر العضو"

[١] ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٢٤.

أي قطعهما، ويحاكيحرف" التاء " من أصوات الطبيعةقرع الكف بالإصبع قرعاً بقوة، وتأتي للتأنيث والزيادة والبدل والقسم، ويدلُّ على الآنية التي تحلب فيها الناقة[1].وتدل معانيها على الرقة والضعف والتفاهة، بما يحاكي الرقة والضعف في صوت التاء بسبب صفتي الهمس والترقيق في هذا الصوت. ومنها: تبتب (شاخ)، والتّبن (القش اليابس)، وتخّ العجين (لان واسترخى)، والتراب، وترف النبات (كثر ماؤه ونضر)، وتره (وقع في الترهات)، وتفتف (اتسخ بعد نظافة) والتّفّ (وسخ الظفر)،وتفه (قلّ وخسّ وحقر)، وتكّ الرجل (حمق)، والتّلب (الخسار)، وتلف (هلك)...وقد تدل معانيها على الشدة والغلظة والقساوة والقوّة بما يتجافى مع موحيات الرقة والضعف في صوت التاء، ومنها: تبّ الشيء (انقطع) وتَبِر(هلك) وتَبرَ الشيء (كسره) وتبل فلانًا (ثأر منه)، وتُرِز لحمه (صلُب وغلُظ)، وتُرِص الشيء (احكِم وضبِط)[2].

الدال:

صوت الدال هو النظير المجهور للتاء، وهو يتكون بنفس الكيفية التي يتكون بها التاء إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء النطق مع الدال، فالدال: صامت أسناني لثوى انفجاري مجهور مرقق.

و يدلُّ حرف" الدال "على التصلب وعلى التغير المتوزع، وعلى احتباس بضغط وامتداد، والدال عندهم المرأة السمينة، ويصاحبه غالبًا معنى اللين

[1] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب،ص٢١٠-٢١١ والمعجم الاشتقاقي، ص٤٠ ودقائق العربية، ص١٧، ورسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣،وأصول اللغة العربية: أسرار الحروف ، أحمد زرقة، ط١ ، دمشق، ١٩٩٣م، ص١٢٧، وما بعدها وطرائف من روائع الأدب، أحمد تيمور، ص٢٣٦وما بعدها.

[2] ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص٥٨، ٥٩.

والنعومة، وإذا كان ثاني الكلمة دل على التفريق، نحو (بدد القوم) ، ومن صفاتها الشدة،" كما في (شد الحبل) ونحوه، فالشين بما فيها من التّفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشدّ والجذب، وتأريب العقْد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، لا سيما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعتها، وأدلّ على المعنى الذي أُريد بها، ومن خصائص حرف " الدال " اللين والنعومة والغضاضة نحو: البراخدة والتيد.. والرداهة والعبرد والفرهد ... ويلحق به من الأمور المعنوية الرغد والسرهدة والمجد وغير ذلك، وربما عادلوا في بعض الحروف، أي راعوا فيها الإكثار من النقيض فإنّ حرف الدال يشتمل أيضا على ألفاظ كثيرة تدل على الصلابة والقوة والشدّة، ونحو ذلك، التأدد والتأكيد، والتأييد والجلمد ..."[١].ومصدرالصلابة والقوة والشدّة يتأتمن الشدة النطقية التي تظهر مع نطق الصوت بسبب صفة الانفجارية، و يتأتى اللين والنعومة من ملامح صفة الترقيق في هذا الصوت.ويذكر حسن عباس أن "صوت الدال أصمّ أعمى مغلق على نفسه كالهرم، لا يوحي إلا بالأحاسيس اللمسية وبخاصة ما يدل على الصلابة والقساوة، وكأنه من حجر الصوان. فليس في صوت (الدال) أي إيحاء بإحساس ذوقي أو شمي أو بصري أو سمعي أو شعوري، ليكون بذلك أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدة والفعالية الماديتين"[٢] .

[١] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١ والمعجم الاشتقاقي، ص٤٠،وكتاب الحروف، الخليل بن أحمد، تحقيق د. رمضان عبدالتواب، القاهرة١٩٦٩،ص٢٩، والألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها، عبد الحميد حسنالقاهرة، ١٩٧١م، ص٤٢،ودقائق العربية، ص١٧، والخصائص،٢/١٦٣، والساقعلى الساق، ص٢.

[٢] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٦٧.

الطاء:

صوت الطاء هو النظير المفخم للتاء، فشكل اللسان مع الطاء يكون غير شكل اللسان مع التاء، ففي حالة النطق بالطاء يرتفع مؤخر اللسان نحو الحنك القصي، ويتأخر قليلاً نحو الجدار الخلفي للحلق، ويصبح شكل اللسان مقعرًا، أي يرتفع أقصاه وطرفه مع تقعير وسطه، وهذا هو المقصود بالإطباق عند علماء العربية، فالطاء: صامت أسناني لثوى انفجاري مهموس مفخم (مطبق)

ويحاكي حرف"الطاء " من أصوات الطبيعة تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان، بل ينحصر هناك هواء له دوي، ويسمع عن القلع أيضا مثله[١]، و" الطاء " من الحروف القوية، بسبب وجود صفتي الانفجار والتفخيم اللتين تعدان من ملامح القوة في الصوت، يقول السيوطي: "فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين، والأَخْفى، والأَسهل، والأَهمس لما هو أدنى وأقلّ وأخف عملا أو صوتًا، وجعلت الحرف الأقوى، والأشد والأظهر، والأجهر لما هو أقوى عملا وأعظم حسًا، ومن ذلك المد والمط، فإن فعل المط أقوى، لأنه مد وزيادة جذب، فناسب الطاء التي هي أعلى من الدال [٢]، ويدلُّ حرف" الطاء " على الملكة في الصفة وعلى الالتواء والانكسار، ويدلُّ على ضغط باتساع واستغلاظ، والكلمة التي ثانيهاحرف" الطاء " تكون في معنى

[١] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها.

[٢] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص ١ /٥٣.

القطع، نحو: (قطَّ القلم) و(قطف الثمر) وصوته أشبه ما يكون بضجّة الطبل، وله إيحاء لمسي بين المرونة والطراوة، وله من المذاقات طعم الدسم، ومن الشمّيات رائحة العطور، ويلاحظ أن أهم مصادر الروائح الذكية في حياة البدوي يوجد في ألفاظها حرف الطاء، ومنها: الطِّيب، العطر، الخمط (الريح الطيب) [١].

الضاد :

صوت الضاد النظير المجهور للطاء، فلا فرق بين الضاد والطاء إلا أن الأول مجهور والثاني مهموس، ولا فرق بين الضاد والدال إلا أن الضاد " مطبق " والدال لا إطباق فيه، فالضاد: صامت أسناني لثوى انفجاري مجهور مفخم (مطبق) .

ولقد حمل هذا الحرف لقب اللغة العربية، فقيل: (لغة الضاد)، و يدلُّ حرف" الضاد "على الغلبة تحت الثقل، وعلى غلظ وثقل له حدة ما، وعلى ضغط بكثافة وغلظ، ويدلُّ على الضجيج، وصوت الضاد في حالة التفخيم والتشديد يوحي بالصلابة والشدة والدفء كأحاسيس لمسية، وبالفخامة والضخامة والامتلاء كأحاسيس بصرية، وبالضجيج كإحساس سمعي، وبالشهامة والرجولة والنخوة كمشاعر إنسانية[٢]، ويقول ابن جني: "القبض بالضاد معجمة باليد كلها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع، وذلك أن الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها

[١] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١ المعجم الاشتقاقي ، ص٤٠ ودقائق العربية، ص١٧وخصائص الحروف العربية ومعانيها، ص،١٢٠،١١٩.

[٢] مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١ والمعجم الاشتقاقي ص٣١ و٤٠ أسرار الحروف، ص ١٢٨وخصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٥٤.

جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها، وضيق محّلها جعلت عبارة عن الأقل"[١]، وبالرجوع إلى المصادر التي شاركت الضاد في تراكيبها في مختلف المواقع منها يتضح أن معظم معانيها يتوافق مع الخصائص الصوتية للضاد.. فمعظم المصادر تدل معانيها على الشدة والضخامة والامتلاء والصلابة والنضارة والأصوات والمشاعر الإنسانية[٢]، وتعد صفات الانفجار والجهر والتفخيم من ملامح القوة في هذا الصوت.

السين:

ينتج هذا الصوت بأن يعتمد طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا بينما يرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، ويكون الفراغ بين اللسان واللثة قليلا جدًا، ويرفع الحنك اللين ويندفع الهواء مارًا بالحنجرة دون أن يحرك الوترين الصوتيين، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو كما تقدم عند التقاء مقدمة اللسان باللثة، ويضيق منفذ الهواء ضيقا شديدًا يندفع خلاله الهواء فيحدث الاحتكاك.

ويتميز السين أيضا بأنه عند النطق به تقترب الأسنان العليا من السفلى فلا يكون بينهما إلا منفذ ضيق جدًا، كما أن السين العربية عالية الصفير إذا قيست بها نظيراتها في بعض اللغات الأخرى، فالسين إذن: صامت لثوي احتكاكي مهموس مرقق.

---

[١] المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ٢/٥٥.

[٢] ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٥٦.

وحرف "السين " نسمعه من المسموعات الطبيعية عند مس جرم يابس بجرم آخر مثله، وفي سأسأة الإبل وزجرها، وحرف " السين " يدلُّ على المعاني اللطيفة كالهمس والوسوسة والنبس والتنفس والحس والمساس والاقتباس، وهو يحدد المضارع نحو المستقبل،ويعبر حسب صدوره عن معنى الحركة أو الطلب، ومنه سار، وسأل، وسأى ،وسبح، و، وسبل، وسبب، وسيح، وسبر،و يدلُّ حرف" السين "على السعة والبسطة من غير تخصيص،و على الرقة والسلاسة، وهو أحد الحروف الصفيرية، وصوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسيبين النعومة والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير، ويعبر عن امتداد دقيق(حاد أو قوي) نافذ في جرم أو منه، و يدلُّ حرف" السين " على الليونة والسهولة والنقص في أكثر أحواله[١]. وتعد صفات الاحتكاك والهمس والترقيق من الملامح التي تدل على الرقة والسلاسة في هذا الصوت.

الزاي:

صوت الزاي هو النظير المجهور للسين يتم نطقه بوضع طرف اللسان فى اتجاه الأسنان ومقدمته مقابل اللثة العليا، مع رفع الحنك اللين تجاه الحائط الخلفي للحلق، فيسد المجرى الأنفي، ويتم كل هذا مع وجود ذبذبة في الأوتار الصوتية، فالزاي: صامت أسناني لثوي احتكاكي مجهور مرقق.

[١] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها، و أسرار الحروف، ص ١٢٨، وأشتات مجتمعات في اللغة والأدب، ص ٣٥، والعبقرية العربية في لسانها، ص٤٨، ومقدمة لدرس لغة العرب، ص٢١٠-٢١١، وخصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١١٠، والمعجم الاشتقاقي، ص٣٠، وفقه اللغة، محمد المبارك، ص١٠١.

ويدلُّ حرف"الزاي "على التقلع القوي، ويعبِّر عن شدة اكتناز بازدحام أشياء أوأجزاء بعضها إلى بعض، ولئن كان صوت هذا الحرف يقوم أصلاً على الاهتزاز الصوتي كحرفي الذال والظاء، فإنه يتميز منهما بحدَّة خاصة، لا يخفِّف منها لثغ كما في الذال، ولا فخامة وأناقة في اللفظ كما في الظاء، ليكون حرف الزاي بذلك أحدَّ أصوات الحروف قاطبة.

وعلى الرغم من بساطة صوت هذا الحرف الأسَلي، فهو متنوع الخصائص، فحدَّة صوته توحي بالشدة والفعالية، وهذه الحدَّة التي تحاكي صوت حزِّ الحديد على الحديد، تؤهِّله للتعبير عن الأصوات المماثلة في الطبيعة. ولما كان صوت هذا الحرف يستمد حدَّته من ذبذباته الصوتية العالية، فهو إذا لفظ بشيء من الشدَّة أوحى بالاضطراب والتحرّك والاهتزاز، أما إذا لفظ مخففًا بعض الشيء، فهو يوحي بالبعثرة والانزلاق، وذلك حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث، وحرف "الزاي" نسمعه في "الزمزمة" من الكلمات التي لا تزال تحفظ آثارًا سمعية من أصواتها الطبيعية الأم[1]،وتمثل طبيعته الصفيرية مع صفة الجهر، قوة الصوت وعلو درجته ووضوحه.

الصاد :

"الصاد" مطبق "السين" ، أي أنه يتكون بنفس الطريقة التي يتكون بها السين إلا أن فيه إطباقًا أي أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق، فالصاد إذن: صامت أسناني لثوي احتكاكي مهموس مفخم (مطبق) .

[1] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب، ص٢١٠-٢١١، والمعجم الاشتقاقي ص٢٩، وخصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٣٨، والخصائص٢/ ١٥٧، وأسرار الحروف ص٥٨.

ولقد مَنَحَتْه هذه الخصائص الصوتية شخصيةً فذَّةً، طغى بها على معاني معظم الحروف، في الألفاظ التي تَصَدَّرَها، لِيُعطيَها من نقاء صوته صفاءَ صورةٍ وذكاءَ معنى، ومن صلابته شدَّةً وقوةً وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقيّة، ما كان أصلَحها لِمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة. فمن مئةٍ وخمسةٍ وأربعين مَصدراً تبدأ بحرف الصاد في المعجم الوسيط، كان منها ستة وعشرون مصدراً تدلُّ معانيها على أصواتٍ يتوافَق معظمها مع خصائصه الصّوتية[١] .

وحرف "الصاد " نسمعه في "الصرصرة"، وفي صوت الصرصور ليلًا، وفي صلصلة قدور النحاس، وفي صليل السيوف، من الكلمات التي لا تزال تحفظ آثارًا سمعية من أصواتها الطبيعية الأم، و يدلُّ حرف" الصاد "على المعالجة الشديدة، وعلى كون الشيء غليظًا قويًا في ذاته خالصًا مما يخالطه، وعلى نفاذ بغلظ وقوة وخلوص[٢]. و ذكر ابن جني أن صوت " الصاد " يحمل معنى القوّة إذا ما قورن بالسين، ومن الشواهد التي ذكرها على ذلك:" (صعد، سعد)، فجعلوا الصاد – لأنها أقوى – لما فيه أثر مشاهد يُرى، وهو للصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك ، وجعلوا السين – لضعفها – لما لا يظهر ولا يشاهد حِسًا ...فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشمة، وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين "،والدلالةاللفظية أقوى من الدلالة المعنوية...ومن ذلك قولهم: "الوسيلة والوصيلة، والصاد –كما ترى –

[١] خصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٤٩.

[٢] أسرار الحروف ص٥٨ ومقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١ والمعجم الاشتقاقي ص٣١، ٤٠.

أقوى صوتًا من السين؛ لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، وذلك أنّ التوسل ليست له عِصْمة الوصل والصِلة؛ بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء، ومماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضًا له، كاتصال الأعضاء بالإنسان، وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسِّل جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليه. وهذا واضح. فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف...ومن ذلك: "القَسْم والقَصْم. فالقصم أقوى فِعْلا من القسم؛ لأن القصم يكون معه الدق، وقد يقسم بين الشيئين فلا يُنكأ أحدهما، فلذلك خصّت بالأقوى الصاد، وبالأضعف السين" [١]

٥- الأصوات اللثوية :

تضم هذه المجموعة ثلاثة صوامت وهى الراء واللام والنون ، وجميعها تشترك اللثة مع طرف اللسان في إنتاجها.

الراء:

يتم نطق صوت "الراء" بأن يترك اللسان مسترخيًا، فى طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة، وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت [٢] . وقد لاحظ قدامى العرب خاصة التكرار في

[١] ينظر: الخصائص٢/١٦٠،١٦١.

٢ المدخل إلى علم اللغة ٤٨.

الراء فسموه بالمكرر، وفسروا ذلك بقولهم: وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير [١]، فالراء : صامت لثوي مكرر مجهور مرقق. وتعطي صفتا الجهر والتكرارحرف " الراء " قوة في السمع ووضوحًا، ويذكر حسن عباس أن صوت حرف الراء من أصوات الحروف أشبه ما يكون بالمفاصل من الجسد، وحاجة اللغة العربية إلى حرف الراء لا تقل عن حاجة الجسد للمفاصل، فلولا صوت الراء لفقدت لغتنا الكثير من مرونتها وحيوتها وقدرتها الحركية، ولفقدت بالتالي الكثير من رشاقتها، ومن مقومات ذوقها الأدبي الرفيع، فكما أن مفاصل الجسد تساعد أعضاءه على التحرك بمرونة في كل الاتجاهات، وعلى تكرار الحركة المرّة بعد المرّة، فإن حرف الراء بتمفصل صوته (ر. ر. را) ، وبرشاقة طرف اللسان في أدائه، قد قدَّم للعربي الصور الصوتية المماثلة للصور المرئية التي فيها ترجيع وتكرار، وتأرجح ذات اليمين وذات الشمال، وذلك" حذوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"، كما قال ابن جني. وليس هناك أيُّ حرف في الدنيا يستطيع صوته أن يؤدي بعض هذه الوظائف، فهو من المقومات الأساسية للغة العربية، لابل ما أحسب أن ثمة لغة يمكن أن تخلو منه، وأنه بالرجوع إلى المصادر اللغوية التي حوت حرف الراء الواردة في المعجم الوسيط، تبين أن منها ما تدل معانيها على التحرك والترجيع والتكرار بما يتوافق مع الخصائص الحركيّة في صوتها، ومنها ما تدل معانيها على الرقة والنضارة والرخاوة بما يتوافق مع موحيات صوته مرققا، ومنها ما تدل معانيها على الفزع والخوف اللذين يتوافقان مع مظاهر الاضطراب التي في

١ علم اللغة العام : الأصوات ١٢٩.

صوت الرّاء[١]. وصوت هذا الحرف نسمعه من المسموعات الطبيعية: عن ارتعاد ثوب معرض لريح قوية مستوثق من مشد له لا يفارقه، وقد يسمع عند تدحرج كرة صلبة على لوح من الخشب،ويدلُّ حرف " الراء " على الملكة، كما يدلُّ على شيوع الوصف، ويعبَّر عن سيولة الجرم مع استرسال، أي شيء من التماسك يجعل الاتصال والامتداد واضحين، فهو يدلُّ على استرسال مع تماسك ما، و يدلُّ على التكرار وديمومة الحدثفي أ كثر أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة، ومن أبرز صفاته الربربة، أي التحريك[٢].

اللام :

ينطق هذا الصوت بأن يتصل طرف اللسان ويرتفع الحنك اللين، فيسد المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق، هذا مع حدوث ذبذبة في الوترين الصوتيين، ويوصف هذا الصوت بأنه جانبي، ومعنى ذلك أن أحد جانبي اللسان أو كليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس، في الوقت الذى لا يمكنه فيه المرور من وسط الفم، لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك، فاللام : صامت لثوى جانبي مجهور مرقق .

وتعطي صفتا الجهر والجانبية صوت حرف " اللام " علوًا ووضوحًا، ونسمع صوت هذا الحرف من المسموعات الطبيعية عن صفق اليد على رطوبة، أوعن لطم الماء باليد، أو زج الإصبع فيه بعنف يوغل فيه الهواء، ثم ينثني

[١] ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها، ٨٤- ٩٠.

[٢] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف ص٩٣،ومقدمة لدرس لغة العرب، ص٢١٠-٢١١،والمعجم الاشتقاقي ص٢٩- ٤٠،وفقه اللغة، محمد المبارك ص١٠١،وأسرار الحروف، ص ١٢٨.

صاعدًا[١]، ويذكر الأستاذ محمود شاكر أن صوت اللام من أكثر الحروف دورانًا في كلام العرب للطفها وضعفها ورقتها حيث كانت، و صوت اللام – إذا حققته – شبيه بالجرس الذي تسمعه من اصطدام شيء لين بعض اللين بشيء من مثله، فيفرغ سمعك إليه فتصغي له، فالحرف يحاكي صوته[٢]، ويدلُّ حرف "اللام" على الانطباع بالشيء بعد تكلفه، وعلى تعلق أو امتداد مع استقلال أو تميز، ويوحيهذا الحرف بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق[٣].ويحمل" اللام" دلالة الاستعلاء والعلو والعظمة.[٤]

النون :

يتم نطق صوت النون بأن يجعل طرف اللسان متصلاً باللثة، مع خفض الحنك اللين، ليفتح المجرى الأنفي، وإحداث ذبذبة في الوترين الصوتيين، ويوصف هذا الصوت بأنه صوت أنفي، ومعنى الأنفية فيه: أن الهواء الخارج من الرئتين يمر في التجويف الأنفي محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف، والنون بهذا الوصف كالميم تمامًا، غير أن الفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقى باللثة فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم، فإن الذى يمنع

---

[١] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها.

[٢] ينظر: جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة. (د ت)٢/٧٣١، ٧٣٢.

[٣] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، والمعجم الاشتقاقي ص٤١، و خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٧٩.

[٤] ينظر: اللسان العربي وقضايا العصر، د.عمار ساسي، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠١م ص ١٢٤ و١٢٥.

مرور الهواء من الفم معها هما الشفتان [١]، فالنون: صامت لثوي أنفي مجهور مرقق.

واجتماع صفتي الجهر والأنفية في "النون " تمنحانه رنينًا وجرسًا عاليًا، وصوت هذا الحرف " نسمعه في "النحنحة"، و "النقنقة" وغيرها من الكلمات التي لا تزال تحفظ آثارًا سمعية من أصواتها الطبيعية الأم، ويدل حرف النون في أكثر أحواله على الظهور، ومنه: نبع، ونبغ، ونظر، ونضج، ورنّ، ويثير هذا الحرف في النفس مختلف الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، وهو حرف أنثوي رقيق أنيق موجود في آلة الصوت الناي، وفي الألم (أنَّ أنينًا) فللنون من رقيق الفضة الخالصة صافي رنينها، ومن أنين المفجوع ذوب صميمه، لا أمسّ بإنسانية الإنسان منها ولا ألصق، ففي النون رِقَّة وعصير أنفاس وإلفة، لا أرشق بداية تبدأ الألفاظ بها ولا ألطف نهاية، وما جاورت النون حرفاً إلا وكان له من سنا أناقتها طيفُ خِفة ورِقة ورشاقة، وتفعل النون بأصوات الحروف ما تفعله الأنيقات الأديبات في نفوس الناس هزاً لمشاعرهم وتهذيباً لعواطفهم، صَحابة عيش ووفاء، ورِفقة رِقَّةٍ وإحاطة وحَنان، فكانت النون الأنيسة بذلك وحدَها، دنيا من المشاعر والشعر والموسيقى، ولولاها ما اهتدى الإنسان إلى وترٍ يئنُّ وناقوسٍ يرنُّ، ولا إلى ناي أو كمان. ومعناه لغة: شفرة السيف أو الحوت أو الدواة، ولعل رسمه في العربية قد اقتبس من صورة إحدى هذه المسميات قبل أن يتطور إلى الرسم الحالي، فالنقطة في النون تمثل نتوءاً عند مقبض السيف، أو عين الحوت، أو

١ المدخل إلى علم اللغة ٤٩.

مرتسم القلم في الدواة[١]. ويذكر الأستاذ محمود شاكر أنّ حرف النون " حرف دمث طيّع مُترفه ناعم حلو النغم لطيف الترديد، يسيل مع الهواء لينًا ونعومة ورقة، لا تدركه الجفوة التي تعرض لسائر الحروف مع التحريك إذا حُرّك، فهو لطيف مطاوع ذو نغم إذا حرك أو سُكّن"[٢]، ويدلُّ حرف "النون " على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكنًا تظهر أعراضه، ويعبِّر حرف "النون " عن الصميمية، ويعبِّر أيضًا عن امتداد لطيف في جوف أو باطن جرم أو منه، ويدل في أكثر أحواله على الظهور كيفما كان موقعه في الكلمة، وهو صوت هيجاني ينبعث من الصميم للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق (أنَّ أنيناً)...على أن صوت النون إذا لفظ مخفَّفاً مرقَّقاً أوحى بالأناقة والرقة والاستكانة، وإذا لفظ مشدداً بعض الشيء أوحى بالانبثاق والخروج من الأشياء، تعبيراً عن البطون والصميمية، كما قال العلايلي والأرسوزي. أما إذا لفظ بشيء من الشدة والتوتر، فلابد لموحياته الصوتية أن تتجاوز ظاهرة الانبثاق العفوية، إلى النفاذ القسري والدخول في الأشياء، وإذا لفظ بشيء من الخنخنة (إخراج الصوت من الأنف) أوحى بالنتانة والخِسّة. [٣].

وقد سمى بعض القدماء هذه الأصوات (الراء واللام والنون) بالأصوات الذلقية ، ولا شك أنهم بجمعهم إياها تحت اسم واحد أيًا كان هذا الاسم قد أحسوا

---

[١] ينظر: أسرار الحروف، ص٥٨ ، ١٢٨، الألفاظ اللغوية، عبد الحميد حسن، ص٤٢، وخصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١٥٩- ١٦٩.

[٢] ينظر: جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ٧٣٢/٢.

[٣] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، والعبقرية العربية في لسانها، ص٤٨، المعجم الاشتقاقي ص٣٧، الألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها، ص٤٢،وخصائص الحروف العربية ومعانيها، ص١٥٩

بالعلاقة الصوتية بين هذه الأصوات. وكذلك المحدثون من علماء الأصوات اللغوية يرون وجه شبه كبير بين هذه الأصوات الثلاثة وهو أن هذه الأصوات مع قرب مخارجها تشترك فى نسبة وضوحها الصوتي، وسهولتها وخفتها وشيوعها وكثرة استعمالها، وأنها من أوضح الأصوات الصامتة في السمع ولهذا أشبهت الحركات فهي جميعًا ليست شديدة أي لا يسمع معها انفجار، وليست رخوة فلا يكاد يسمع ذلك الحفيف الذى تتميز به الأصوات الرخوة، ولذلك عدها القدماء من الأصوات المتوسطة [١]، فتيار الهواء يخرج حرًا طليقًا كالحركات تمامًا ولكنه مع الحركات يخرج من وسط الفم، ومع اللام من جانبي الفم، ومع النون من الأنف، وأما الراء فهو شبيه بالحركات لما يوجد عند النطق به من نوع من الحرية بسبب الاتصال والانفصال المتكررين، وهذا السلوك يعطى هذا الصوت نوعًا من الوضوح السمعي أقوى مما يحدث مع بقية الأصوات الصامتة، ومما يقرب هذه الأصوات أيضا من الحركات كذلك كونها جميعا مجهورة [٢] .

٦- الأصوات الغارية :

تنطق أصوات هذه المجموعة باشتراك الغار مع مقدم اللسان ويسمى الصوت حينئذ غاريًّا، ويتم في هذا المخرج إنتاج صامتين من الأصوات الصامتة في اللغة العربية وهما الشين والجيم، وصوت شبه صامت وهو الياء:

١ انظر: علم الأصوات اللغوية ٥٣.

٢ علم اللغة العام : الأصوات ١٣١.

الشين :

يتم إنتاج صوت الشين عن طريق رفع مقدم اللسانفي منطقة الغار ورفع الحنك اللين ليسد المجرى الأنفي بالتصاقه بالجدار الخلفي للحلق، ويتم ذلك كله دون إحداث ذبذبات في الأوتار الصوتية، فإذا مر الهواء في الفراغ الضيق سبب نوعًا من الاحتكاك والصفير وهو صوت الشين، ويلاحظ عند النطق بالشين أن اللسان كله يرتفع نحو الحنك الأعلى كما أن الأسنان العليا تقترب من السفلى، غير أن نسبة هذا الاقتراب أقل منه في حالة النطق بالسين، ويشغل اللسان أثناء النطق بهذا الصوت مساحة أكبر، وعند النطق بصوت الشين يتفشى الهواء داخل الفم وخارجه، فالشين : صامت غاري احتكاكي مهموس مرقق.

ويمثّل حرف الشين "صوت الحركة الخفيفة التي تكون كأنها من احتكاك الثوب القشيب، أو صوت وقوع الرش الخفيف من المطر، أو صوت خفيف الورق الأثيث على أشجاره إذا فيّأه النسيم المتروّح، ويمثل أيضاً صوت الضاحك إذا قذَف نفَسَه بضحكة خفيفة لا تبلغ القهقهة، مع انفراج الشفتين واستعلاء الشفة العليا"[١].

والشين المتفشية في مخرجها لانتشار الهواء المزفور بين اللسان والحنك رمزها مأخوذ من شكل أشعة الشمس التي تشبه الشقوق عند الشعشعة، ونراها في تضاد الصورتين الموجودتين في شعشع النور إذا تطاير، وفي عشش الطير إذا بنى عشًا من سوق النبات، وحرف "الشين " يدلُّ على التفشي بغير نظام، ويعبِّر عن تسيب وتفرق، أي انتشار وتفش وعدم تجمع أو تعقد، وفي الحقيقة إن

[١] ينظر: جمهرة الأستاذ مقالات محمود محمد شاكر، ٢/٧٣٠.

بعثرة النفَس أثناء خروج صوت هذا الحرف يماثل الأحداث التي تتم فيها البعثرة والانتشار والتخليط، كما أن طريقة النطق بصوته المبدِّد للنفَس بين شفاه مكشِّرة إذا أخذت الكشرة أبعادها، كانت أصلح ما تكون للتعبير عن توافه الأشياء والأمور[١].

الجيم :

صوت الجيم صوت مركب أي أنه يجمع بين الشدة والرخاوة ويتم نطقه بأن يرتفع اللسان في اتجاه الغار فيلتصق به، وبذلك يحجز وراءه الهواء من الرئتين ثم لا يزول هذا الحاجز فجأة، كما في الأصوات الانفجارية، وإنما يتم الانفصال ببطء، فيترتب على ذلك أن يحتك الهواء الخارج بالعضوين المتباعدين، وعلى ذلك يعد صوت الجيم مزيجًا من الشدة والرخاوة (من الانفجار والاحتكاك) وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الجيم المعطشة الفصحى، فالجيم: صامت غاري مركب مجهور مرقق.

وتعطي صفة التركيب صوت هذا الحرف قوة خاصة تنشأ من طبيعة تكوينه، و"الجيم" أحبس وأقسى وأغلظ صوتًا من الشين، واللسان بها أشد ضغطا للهواء في غار الحنك الأعلى، وصوتها جاف على السمع ظامئ لا ماء فيه ولا قطر له ولا همس يأتي من قبله، لذلك دخلت مع الشين في بعض معانيها، وخرجت من بعضها الآخر، بما أخرجها من الميزة التي مازتها عنها في مستقبل السمع"[٢].وصوت "الجيم" مسموع في أصوات الجمال إذا اجتمعت، والجلجلة:

---

[١] ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٦، مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، والمعجم الاشتقاقي ص٣٠، وخصائص الحروف العربية ومعانيها: ص١١٤.

[٢] جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، ٢/٧٣٠.

الحركة العظيمة الحادثة عن صوت حاد يختلط بفرقعة الرطوبة الشديدة اللزوجة [١].

ويدلُّ حرف " الجيم " على العظم مطلقًا، ويعبِّر عن تجمع هش له حدة ما، ونظرًا لشدة تدافع النفس أثناء خروج الجيم الشامية، وما يحدثه من ارتجاج في مساحة واسعة من سقف الحنك، كان لابد أن تتنوع إيحاءاته الصوتية، فالجيم الشامية المعطشة، توحي بالشدة والقوة والدفء والمتانة كأحاسيس لمسية، وبطعم الدسم ورائحته كأحاسيس ذوقية وشمية، أما إيحاءاتها البصرية فهي تتردد بين الفخامة والعظم والامتلاء، وتقتصر إيحاءاتها السمعية على شيء من الفجاجة، وهي لا توحي بأية مشاعر إنسانية أصلاً [٢].

الياء:

صوت الياء ينطق عن طريق رفع مقدم اللسان في اتجاه منطقة الغار بشكل يسمح بمرور الهواء، ولكن مع حدوث احتكاك طفيف حال كون صوت الياء نصف حركة أو شبه صامت، ودون احتكاك مسموع حال ياء المد والكسرة[٣].فهذا الرمز (ي) خُص بجنسين من الأصوات، أحدهما ما نسميه الصامت أو شبه صامت، والثاني ما نسميه الكسرة الطويلة أو ياء المد.

ويدلُّ حرف "الياء" على الانفعال المؤثر في البواطن. ومن صفاتها الانخفاض واللين لعدم تكلف اللسان بها عند النطق، وهي مُدركة في اليأس..

---

[١] ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٦.

[٢] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، والمعجم الاشتقاقي ص٢٧، وخصائص الحروف العربية ومعانيها ص١٠٤، ١٠٥.

[٣] انظر: دراسة الصوت اللغوي: ص٣١٧.

واليافوخ: الجزء المتحرك من رأس الطفل، ويعبر عن الاتصال الممتد شيئًا واحدًا، وعدم تفرقه أو تسيبه[١].

وصوت هذا الحرف يوحي بصور بصرية تختلف إلى حدٍّ ما بحسب مواقعه من اللفظة،ففي أول الكلمة: يبدو صوت الياء هنا كأنه يصعد من حفرة بشيء من المشقة والجهد، لذلك قلّت الأفعال التي تبدأ بهذا الحرف ومعظمها من الأفعال اللازمة، فالأفعال التي تبدأ بالياء يصعب عليها من هذا المكان الصوتي الخفيض أن تعتدي على أحد،وفي وسط الكلمة: تختلف إيحاءات صوت الياء في هذا الموقع تبعًا لحركتها وحركة ما قبلها، فإذا كانت متحركة بالفتح وما قبلها فتحة أخذ صوت الياء صورة المطبّ الهوائي الصغير يعترض مسار طائرة: طيران . حيدان . غثيان..... أما إذا كانتالياء ساكنة وما قبلها متحرك بالفتح، فان صوتها يأخذ صورة الحفرة أو حفنة اليد. وهو يصلح أن يكون مقرًا للمعنى، على مثال ما تصلح الحفرة على سطح الأرض أو في باطن اليد أن تكون مقرا ومستقراً للماء أو الأشياء: بَيْت. عَيْب. سَيْل. عَيْن. دَيْن. غَيْظ. لَيْل. فَيْض...وإذا تحرك ما قبل الياء الساكنة بالكسر فإنها تعطينا صورة الحفرة العميقة والوادي السحيق (كريم ، فهيم . فقيه. نبيء. لئيم)، لتشف الياء في هذه الحالة عما في صميم الإنسان أو الأشياء من الخصائص المتأصلة فيها، فالكريم هو الذي تفجَّرت ينابيع الكرم في صميمه، ليس كرمه طارئًا ولا مصادفة موقف، وكذلك الأمر مع العليم والتعيس والجميل والقبيح والسعيد والحقير...وفي آخر الأسماء لا تخرج إيحاءات صوتها هنا عنه في وسط

[١] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، أسرار الحروف ص١٢٦، المعجم الاشتقاقي ص٣٩.

الكلمة: (قويّ. دويّ. شقيّ. أبيّ. تقيّ. سويّ . رضيّ. نقيّ. غبيّ...) ، وحرف الجر (في) يوحي بصورة الحفرة أيضاً.[١]

٧- الأصوات الطبقية :

تنتج هذه الأصوات باشتراك الطبق اللين مع مؤخرة اللسان وتضم المجموعة التي تخرج من هذا الموضع ثلاثة صوامت هي: الكاف والغين والخاء ويتم إنتاجها على النحو الآتي:

الكاف :

يتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء من الرئتين مارًا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولاً، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسًا كاملاً، لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى، فلا يسمح بمرور الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالًا مفاجئًا انبعث الهواء إلى الخارج محدثًا صوتًا انفجاريًا هو ما نسميه بالكاف، فالكاف : صامت طبقي انفجاري مهموس مرقق .

وحرف " الكاف " نسمعه من المسموعات الطبيعية عند قرع جسم صلب بجسم صلب، وعن انشقاق الأجسام اليابسة،وقيل إن أصل الكاف في النطق صوت شيئين لينين بين بين، يزحم أحدهما الآخر زحماً شديداً، لذلك فهو يحمل معنى الاحتكاك أو يصوره، أو يقارب صوته. ويدلُّحرف " الكاف " على الشيء يلتج عن الشيء في احتكام، ويعبِّر عن ضغط غئوري دقيق يؤدي إلى امتساك أو قطع، ويحاكي صوت حرف " الكاف " صوت احتكاك الخشب بالخشب،

[١] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٨، ٩٩.

ولعل العربي قد اقتبسه عفو الفطرة من هذا الحدث لإشعال النار بهذه الطريقة البدائية، وصوته في هذه الحال يوحي بشيء من الخشونة والحرارة والقوة والفعالية، مما يؤهله للانتماء إلى حاسة اللمس. أما إذا لفظ بصوت عالي النبرة وبشيء من التفخيم والتجويف، فإنه يوحي بالضخامة والامتلاء والتجميع، مما يؤهله للانتماء إلى زمرة الحروف البصرية[١].

الغين :

يتكون هذا الصوت بأن يندفع الهواء مارًا بالحنجرة فيهتز الوتران الصوتيان حتى إذا وصل إلى أقصى الحنك ارتفع أقصى اللسان حال النطق بهذا الصوت بحيث يكاد يلتصق الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسمح للهواء بالمرور مع حدوث احتكاك، إذن الغين : صامت طبقي احتكاكي مجهور ويعد حرف "الغين " عند القدامى من الحروف الحلقية.

ويدلُّ حرف "الغين " على كمال المعنى في الشيء، ويوحي معنى الغيبوبة، ونجد هذا المعنى في الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف: غاب، غاص، غرب ... وحرف الغين هو أبلغ بيانًا من كافة الحروف الأخرى فبحسب مخرجه وما يلقى من صدى في النفس عند خروجه يعبر عن معنى تنطوي عليه تقريبًا كافة الكلمات التي تبدأ به، وهو الغيبوبة والغموض، ومنها "غبَّ" والغبُّ هو الغامض من الأرض، و"غبر" مضى، و "غبش" الليل: أظلم، و "أغبط" النباتُ: تدانى وغطى الأرض، و"غبن" الغبانة: ضعف الرأي والنسيان، و"غبي" الغبوة:

[١] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣ وما بعدها ، جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ص٧٢٩ مقدمة لدرس لغة العرب، ص٢١٠-٢١١، والمعجم الاشتقاقي ص٤١،خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٦٩، ٧٠.

الغفلة، و "غرب" النجم: غاب، وظاهرة الغؤور والغموض في حرف الغين إنما هي مستمدّة من طبيعة صوته، فهو لا يوحي بالغموض فحسب، وإنما بالإمحاء والعدم أيضاً. والمصادر التي حوته تدل على الاضطراب والبعثرة، أو تأتي محاكاة لصوته في الطبيعة، أو بمعنى الظلام والسواد، والخفاء والستر والغياب، وبمعنى الغيبوبة الوجدانية والنفسية، ويعبِّر عمّا يشبه الغشاء الذي له شيء من كثافة أو قوة وحدة، مع تخلخل ما [١].

الخاء :

يعد "الخاء" عند القدامى من الحروف الحلقية، ولكن "الخاء" في عربيتنا الفصحى هذه الأيام، يتكون بأن يقرب أقصى اللسان من أقصى الحنك بحيث يكون بينهما فراغ ضيق يسمح للهواء بالنفاد محدثا احتكاكًا ويرفع الحنك اللين، وهى الطريقة نفسها التي يحدث بها صوت الغين إلا أن الوترين الصوتين لا يهتزان، فالفرق بينهما في هذا الجانب فقط، وعليه فوصف الخاء: صامت طبقي احتكاكي مهموس.

وحرف " الخاء " نسمعه من المسموعات الطبيعية عند حكك كل جسم لين حكًا كالقشر بجسم صلب، ويدلُّ حرف " الخاء " على المطاوعة والانتشار، وعلى التلاشي مطلقًا، ويعبِّر عن تخلخل مع جفاف [٢] ، ويذكر ابن جني أن حرف " الخاء " يستخدم للتعبير عن الرطوبة لما فيه من رخاوة، ووجد ذلك

[١] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، العبقرية العربية في لسانها، ص٤٨، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٢٥-١٢٩،المعجم الاشتقاقي ص٤١.

[٢] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف ص٩٣، ومقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، وما بعدها، والمعجم الاشتقاقي ص٤٠.

متحققًا في(الخضم)، خلاف (القضم) ولكون الخاء أشدّ قوّة من الحاء حين يقارن بينهما فتُختار " الخاء " للدلالة على دفع الماء القوي، و"الحاء" للدلالة على الماء الضعيف، "ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النّضح، قال الله سبحانه: فيهما عينان نضاختان[١]؛ فجعلوا الحاء؛ لرقَّتها للماء الضعيف، والخاء؛ لغلظها لما هو أقوى "[٢] .

ويذكر حسن عباس أن إيحاءات صوت هذا الحرف تختلف باختلاف كيفية النطق به فإذا لفظ صوته مخففاً مرققاً قريباً من جوف الحلق غير مخنخن به كانت إيحاءاته الصوتية مزيجاً من الأحاسيس اللمسية: رخاوة ورقة وملمساً مخملياً فيه شيء من الدفء، أما إذا لفظ صوته بشيء من الشدة والخنخنة، بعيداً عن جوف الحلق، أوحى بإحساس لمسي مخرش رخو، وبطعم يمجُّه الذوق، ورائحة شمية نتنة، وبإحساس بصري منشاري الشكل وسمعي مخرِّب للصوت، وبمشاعر إنسانية من الاشمئزاز والتقزز...[٣]

٨- الأصوات اللهوية :

في هذا المخرج تشترك اللهاة مع مؤخرة اللسان، ويسمى الصوت حينئذ لهويًا، ويتم في هذه المنطقة إنتاج صوت واحد من الأصوات الصامتة في اللغة العربية الفصحى، وهو صوت القاف، ويتكون بأن يحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسًا كليًا، وذلك عن طريق اتصال مؤخرة اللسان بمنطقة اللهاة بصورة لا تسمح بمرور الهواء، ولا يسمح للهواء بالمرور خلال الأنف، وذلك برفع الحنك

---

[١] سورة الرحمن الآية٦٦.

[٢] الخصائص،٢/١٥٨.

[٣] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٧٣.

اللين، يضغط الهواء مدة من الزمن، ثم يطلق سراحه بأن ينخفض أقصى اللسان فيندفع الهواء محدثًا صوتًا انفجاريًا، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق هذا الصوت، فالقاف: صامت لهوى انفجاري مهموس.

وحرف " القاف " نسمعه من المسموعات الطبيعية عن شق الأجسام وقلعها دفعة، ويدلُّ حرف " القاف " على المفاجئة التي تحدث صوتًا، ويدل على الاصطدام والانفصال والقطع، ويعبِّر عن تجمع (متعقد) ذي حدة في باطن الشيء أو عمقه، وهذه الدلالات تفضي به إلى أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة، وإلى أحاسيس بصرية وسمعية، من فقاعة تنفجر، أو فخارة تنكسر، ويقال إن صوت حرف " القاف " مأخوذ من اشتداد الضحك واضطرابه، ومن أبرز صفاته الشدة والقلقلة التي تعني حدوث صوت يشبه النبرة عند الوقف على نطقها، وقد يكون مأخوذًا من شكل القمر أو القطع أو القمقم أو تلك الجرار الضخمة التي كانت مستخدمة في غلي الماء الكثير [١]

٩- الأصوات الحلقية :

هي تلك الصوامت التي يتم إنتاجها عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق بصورة تسمح بمرور الهواء مع حدوث احتكاك، والأصوات التي ينطبق عليها هذا الوصف في العربية الفصحى صوتان هما: الحاء والعين، ويتكونان على النحو الآتي:

الحاء :

[١] ينظر: رسالة أسباب حدوث الحروف، ص٩٣وما بعدها، ومقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، وفقه اللغة محمد المبارك ص١٠٢، المعجم الاشتقاقي ص٣٥، وخصائص الحروف العربية ومعانيها ص ١٤٣، وأسرار الحروف ص ١٢٥.

يحدث احتكاك هذا الصوت في الفراغ الحلقى أعلى الحنجرة إذ يضيق المجرى الهوائي في هذا الموضع بحيث يحدث مروره احتكاكًا، ويرفع الحنك اللين فيخرج الهواء من الفم ولا يتذبذب معه الوتران الصوتيان، فالحاء: صامت حلقي احتكاكي مهموس مرقق.

وشذّ صوت هذا الحرف عن الحروف الحلْقية جميعاً، بأن تحولت اهتزازاته الصوتية الواهية المضمرة إلى حفيف وصحل، وإخراج صوت الحاء من على صفحات الأنسجة الحلْقية دون اهتزاز أو اضطراب، يتطلب مهارة عفوية فائقة في التحكم بخلايا هذه الأنسجة الحساسة لمنع النفَس من الاهتزاز والاضطراب لحظة احتكاكه بها، فيخرج مع هذا التحكُّم الدقيق بما يشبه الحفيف، ولذلك يستحيل على غير السامي العربي أن يلفظ صوت الحاء لفظاً معافى، فهو إما أن يلفظه مشوباً بهاء مخففة، وإما بهمزة مفخمة، أو خاء صريحة. ولهذا السبب من الصعوبة الفائقة في النطق بصوته، لم تستطع الشعوب الأوروبية أن تأخذه عن الأبجدية الفينيقية خلال الألف الثانية قبل الميلاد، كما أن الشعوب الإسلامية الشرقية لا تزال تلفظه في تلاوة القرآن الكريم مفخماً مجعجعاً به قليلاً، وكأنه يخرج من جوف الفم لا من جوف الحلْق [١].

ومعنى اسم هذا الحرف لغة "المرأة السليطة " وقيل "الخنثى". و يدلُّ حرف " الحاء "على السعة والانبساط كما في الكلمات: البراح، الرحرح، والأبطح ، كما يدلُّ على التماسك البالغ وبالأخص في الخفيات ويدل على المائية [٢] و يقول

[١] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٨٠.

[٢] ينظر: ثلاثة كتب في الحروف ص١٤٢،٣٦، الساق على الساق، الشدياق، أحمد فارس، ص ٥٦،٦٦مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١.

الأستاذ العقاد عنه: إن " الحاء " حقًّا من الحروف التي تصور معنى السعة بلفظها ووقعها في السمع، ولكن على حسب موضعها من الكلمة، ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت في أوائل الكلمات أو أواسطها، فالحكاية الصوتية واضحة في الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات الارتياح والسماح والفلاح والنجاح والفصاحة والسجاحة والفرح والمرح والصفح والفتح والتسبيح والترويح وما جرى مجراها في دلالة نطقه، ولا يمتنع مع هذا أن تكون الحاء المنفردة حرفًا سهلا قليل الحاجة إلى الضغط في مخارج الصوت،كما يرى العقاد أنّ من الممكن أن يأخذ حرف الحاء دلالة معاكسة لمعناه إذا ما جاء بعده حرف يحمل معنى معاكسًا له، فإذا جاء الجيم أو الباء كما في (حَجْر)، و(حَبْس)بعد الحاء ساكنة ، تبين فيها تغيرات المعنى كليا إلى عكس السعة والانفتاح[١].

ويقال إن حرف " الحاء " مأخوذ من لفظ الحس الذي يحتوي الشيء المحسوس، ومن أبرز صفاتها الاحتكاك الحادث في الحلق عند النحنحة... و" الحاء " من الحروف الأصول الموجودة في: الحب – الحد – الحج – الحش – الحق – الحك – الحر – الحل [٢]، والصوت الغِنائي الذي يتصف بخصائص صوت الحاء هو أغنى الأصوات عاطفة وأكثرها حرارة، وأقدرها على التعبير عن خلجات القلب ورعشاته، ليتحول مثل هذا الصوت مع البحّة الحائية في طبقاته العليا، إلى ذوب من الأحاسيس وعُصارة من عواطف الحب والحنين والأشواق [٣].

---

[١] ينظر: أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص٣٤-٤٥.

[٢] ينظر: أسرار الحروف، ص ١٢٤ و ١٢٥.

[٣] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٨١.

العين :

هو النظير المجهور للحاء ، فمخرجهما واحد ولا فرق بينهما إلا في أن الحاء صوت مهموس والعين صوت مجهور حيث تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به، فالعين: صامت حلقي احتكاكي مجهور مرقق.

ومعنى اسم هذا الحرف "سنام الإبل"، وقيل "الذهب"، وحرف " العين " نسمعه من المسموعات الطبيعية في اندفاع الهواء في الماء بقوة،وهو موجود في العنين الطبيعي للمريض، وفي جنات عدن السهلة الخصبة التي تجري فيها الينابيع والعيون العذبة المياه، وهو صوت فطري ..مأخوذ من شكل العين [١].ويقول عنه الخليل: أَما الْعَيْنُ فأَنْصَعُ الْحُرُوف جَرْسًاوأَلَذُّها سَماعًا.[٢]

وصوت العين، يتشكل بتضيق مخرجه في أول الحلْق على شكل حلقة ملساء، ومن ثم بتجميع ذبذبات النفس في بؤرة هذه الحلقة. وهكذا لا بد لصوته النقي الناصع أن يوحي بالفعالية والإشراق والظهور والسمو،...و هذا الصوت من حيث صفاؤه ونقاؤه يمت بقرابة مماثلة إلى حرف الصاد، ومن حيث فخامته فهو غير بعيد في قرابته عن حرف الضاد. أما من حيث توتره الصوتي، فهو ألصق طبيعة بحرف الزاي شدة وفعالية؛ ليبدو صوت العين بذلك وكأنه مزيج من خصائص أصوات هذه الحروف كلها، من متانة اللام وتماسكه، وصفاء الصاد وصقله، ونقاء النون وأناقته، ومن فخامة الضاد، وفعالية الزاي، ومرونة الألف والواو والياء. وهكذا كان حرف العين أكثر الحروف أرستقراطية، قد جمع

[١] ينظر: ثلاثة كتب في الحروف ،ص١٤٢،٤١ رسالة أسباب حدوث الحروف ص٩٣وما بعدها، وأسرار الحروف، ص ١٢٥.

[٢] انظر : العين، الخليل بن أحمد، المقدمة ، ص٢.

إلى نفسه خلاصة ما في خيار أصوات الحروف العربية من خصائص ومعان، وذلك على مثال ما في معدن الذهب من الأرستقراطية، وله من الفضة أنصع ما فيها من صفاء وصقل ورنين، وله من النحاس أنقى ما فيه من صفرة، لا يجاريه في ثقله النوعي معدن، وهو إذا ما رقق في أسلاك، كان في ليونته ومرونته كخيط من حرير، وحرف العين في تعامله مع الحروف، إما أن يشّدها إلى تحقيق خصائصه الذاتية، من الفعالية والقوة والصفاء والفخامة والسمو، وإما أن ينساق معها للتعبير عن مختلف خصائصها الحسية والشعورية، وإن تناقضت أصلاً مع خصائصه، ولكن ليضفي على معاني الألفاظ التي يشارك في تراكيبها في الأعم الأغلب، كثيراً من الفعالية والعيانية والظهور، فالعشق هو الظاهر من الحب الخفي، والعذاب هو الظاهر من الألم الدفين، والعبودية هي الظاهر من الطاعة والتبعية، والعداوة هي الظاهر من الحقد الدفين.[١]

و يدلُّ حرف " العين " على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقًا، ويعبِّر عن رخاوة جرم ملتحم (اتساعا وامتدادا) [٢]

١٠-الأصوات الحنجرية :

يتم في هذا المخرج إنتاج صامتين هما: الهمزة والهاء، ويتكونان على النحو الآتي:

الهمزة :

[١] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٢١١،٢١٠.

[٢] ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب.ص٢١٠-٢١١،المعجم الاشتقاقي ص٣٣.

يحدث هذا الصوت بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك بانطباق الوترين انطباقًا تامًا فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، يضغط الهواء فيما دون الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء فجأة محدثًا صوتًا انفجاريًا، فالهمزة : صامت حنجري انفجاري لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمهجور هو الرأي الراجح، إذ إن وضع الوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس [١] .وصوتالهمزة يتصف بالشدة والثقل،يجد الناطق عند النطق به شيئًا من الصعوبة، وفيه شيء من الإجهاد، ومن أجل ذلك أصاب الهمزة التخفيف فكانت بعض القبائل العربية (لغة القرشيين وغالبية أهل الحجاز) تستحسن تسهيل الهمزة.[٢]

و يدلُّ حرف " الهمزة " على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى، ويدل على الصفة تصير طبعًا، ويقال إن " الهمزة " ليس لها معنى لغوي مستقل بل يظهر معناها في غيرها، ومن أجل ذلك خففها الحجازيون بتسهيل نطقها أو حذفها تمامًا... ويؤكدحرف " الهمزة " معنى ما يصحبه من تركيب [٣].

وصوت الهمزة في أول اللفظة يضاهي نتوءاً في الطبيعة.. وهو يأخذ في هذا الموقع صورة البروز كمن يقف فوق مكان مرتفع، فيلفت الانتباه كهاء التنبيه، ولكن بفرق أنَّ الهاء شعورية والهمزة بصرية . والصورة البصرية تتصف بالحضور والوضوح والعيانية، ولذلك بدأت الضمائر المنفصلة للمتكلم والمخاطب

---

١ علم اللغة العام : الأصوات ١١٢.

٢ ينظر: دراسات في علم اللغة ،كمال بشر، دار غريب، القاهرة، د:ت، ص ٢٢ .

٣ ينظر: مقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، المعجم الاشتقاقي ص٢٦ و ٤٠.

بالهمزة: (أنا. أنت. أنتم. أنتن..) ولا أشدَّ حضوراً وعيانا منها، وبدأت الضمائر المنفصلة للغائب بالهاء: (هو. هما. هم) لعدم الحضور...كما بدأت الألوان الطبيعية بالهمزة: أبيض. أسود. أحمر. أخضر...كما جُعلت الهمزة من حروف التعدية، إذ إنها تمنح الفعل اللازم (القاصر أصلا) مرتقى يسهل معه التعدي على الأسماء، فمن كَرُمَ الرجل أكرمه ، ومن صَلُح أصلحه. [١]

الهاء :

الهاء هو صوت النفس الخالص الذى لا يلقى مروره اعتراضًا في الفم، ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعًا من الحفيف بمنطقة الأوتار الصوتية دون أن تحدث ذبذبة لهذه الأوتار، ويرتفع الحنك اللين ليسد المجرى الأنفي، ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعًا يشبه الوضع الذى يتخذه عند النطق بالحركات، ولكن بالنسبة للهاء يحدث تضيق في الوترين الصوتيين إلى حد ما، فالهاء: صامت حنجري احتكاكي مهموس مرقق.

والهاء صوت ضعيف هش يقول عنه الخليل: "ولم يكن في الحروف أهش من الهاء لأن الهاء نَفَس " و يقول عنه ابن جني: "ومن الحروف المهتوت، وهو الهاء، لما فيه من الضعف والخفاء"[٢] .وأصل معناه"لطمة في خد الظبي" ، وقيل "الهاء بياض في وجه الظبي"، و يدلُّ حرف " الهاء "على التلاشي، و من

[١] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٤ و٩٥.

[٢] سر صناعة الإعراب ١ / ٦٤.

خصائص حرف "الهاء" الحمق، والغفلة، نحو: ألـه، وبلـه، وتفـه، وشـده... ، ويعبر عن فراغ الجوف أو إفراغ ما فيه بقوة.[١]

وصوت حرف الهاء باهتزازاته العميقة في باطن الحلق يوحي أول ما يوحي بالاضطرابات النفسية، وقد يكون الإنسان العربي قد اهتدى إلى صوت هذا الحرف للتعبير عفوياً عن اضطراب نفسي معين قد أصابه، أو أن يكون قد اقتبسه عن صوت إنسان كان اعتراه مثل هذا الاضطراب النفسي[٢].

الخاتمة:

عرض هذا البحث لقضية القيمة الدلالية للحروف وتطوراتها من خلال تناول علماء اللغة والمفكرين لهذه القضية بداية من أقدم إشارة لها في كتب القدماء حتى العصر الحديث، ومن أجل ذلك جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: دلالة الحروف عند القدماء. والمبحث الثاني: دلالة الحروف عند المحدثين. والمبحث الثالث: وصف تكوين الحروف العربية وبيان قيمها الدلالية. وقد تبين من خلال البحث أن فكرة الربط الطبيعي بين الأصوات ومدلولاتها حظيتباهتمام عدد من العلماء قديمًا وحديثًا وانتصر لها الكثير منهم، وقدموا في هذا المجال إضاءات واضحة تصلح للاستفادة منها، وللبناء عليها.

وفي ختام بحثنا نستطيع أن نقول، بناء على ما سمحت به النصوص، وما أسفرت عنه الاستقصاءات البحثية: إن للحروف دلالة صوتية طبيعية تمنحها

[١] ثلاثة كتب في الحروف ص١٤٢،٤٦ ومقدمة لدرس لغة العرب ص٢١٠-٢١١، والساق على الساق ص٦٦،٦٥،المعجم الاشتقاقي ، ص٣٧.

[٢] خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ١٩٠.

قيمة تعبيرية، فكل حرف في اللغة له قيمة دلالية، تظهر من خلال الدور الذي يؤديه داخل الكلمة، ويمكن إدراك ذلك عن طريق التبديل، أو الحذف، أو الزيادة، حيث يؤدي أي إجراء من هذه الإجراءات الثلاثة إلى حدوث تغير في دلالات الكلمات، وقد تبين من خلال البحث أن الحرف يستمد قيمته الدلالية عن طريق رافدين: الأول: أن الحرف يكتسب دلالته من المخرج الذي يحدده، والصفات التي تميزه، والآخر: أن الحرف قد يستمد العديد من المعاني بحسب موقعه في الكلمة، وما يتصاحب معه من حروف أخرى.

ويوصي البحث بأن نضع الخصائص الصوتية النطقية المميزة للحروف نصب أعيننا عند شرح الكلمات وتوضيح دلالاتها، وعند تحليل النصوص ونقدها ، لما لذلك الأمر من أهمية في تحديد الدلالة وتوجيهها.

المراجع:

١- أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، عباس محمود العقاد ، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م.

٢- إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.

٣- أصول اللغة العربية: أسرار الحروف ، أحمد زرقة، ط١ ، دمشق، ١٩٩٣م.

٤- الألفاظ اللغوية وخصائصها وأنواعها، عبد الحميد حسن،القاهرة،١٩٧١م.

٥- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، ط ١ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٠م.

٦- تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، جورج مونين، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٧٢م.

٧- تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجيةالتناص)، محمد مفتاح،. ط ٣، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢ م.

٨- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م .

٩- ثلاثة كتب في الحروف، للخليل بن أحمد، وابن السكيت، الرازي، تحقيق: د. رمضان عبد التواب ، ط١، القاهرة، الرياض، ١٩٨٢م.

١٠- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة. (د.ت).

١١- الحيوان، الجاحظ: تحقيق: عبد السلام هارون، ج ٣ ، ط ٣ ، دار إحياء التراث، القاهرة.

١٢- الخصائص ، ابن جني ، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت(د. ت).

١٣- خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،١٩٩٨م.

١٤- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٥- دراسات في علم اللغة ، كمال بشر، دار غريب، القاهرة(د.ت).

١٦- دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٣م.

١٧- دقائق العربية، الأمير أمين آل ناصر الدين، ط٣ بيروت ١٩٨٦م

١٨- دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ط ٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٩٣م.

١٩- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة د.كمال بشر، ط ١٢، دار غريب، القاهرة،١٩٩٧م.

٢٠- رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحيى مير علم، مجمع اللغة العربية، ط ١، دمشق،١٩٨٣ م.

٢١- الساق على الساق، أحمد فارس الشدياق، تقديم: نسيب وهيبه الخازن، دار مكتبة الحياة بيروت،١٩٧٠م.

٢٢- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، تحقيق: د. حسن هنداوي، دمشق ١٩٨٥م.

٢٣- الشفاء: المنطق، العبارة، ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله، تحقيق: محمود الخضيري، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٤- طرائف من روائع الأدب، أحمد تيمور ،دار الكتاب العربي، القاهرة،ط١، ١٩٥٦م.

٢٥- العبقرية العربية في لسانها، زكى الأرسوزي، مطبعة الحياة، دمشق (د. ت).

٢٦- علم الأصوات اللغوية، د. عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١٩٩٢،١م.

٢٧- علم اللغة العام : الأصوات، د.كمال بشر، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

٢٨- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، بغداد، ١٩٨٥م.

٢٩- فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٠- فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، ط ٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

٣١- قراءة في سيمائية أصوات العربية أ.د/ عمار ساس،ضمن أبحاث الملتقى الوطني الأول: الصوتيات من التاريخية إلى الوظيفية ، مجلة الصوتيات التي تصدر عن مخبر الصوتيات العربيةالحديث العدد الأول٢٠٠٥م.

٣٢- قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة محمد المولى، ومبارك حنون، ط ١، دار توبقال الدار البيضاء،١٩٨٨م.

٣٣- كتاب سيبويه، سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط ١دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٣٤- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ج١ تحقيق: د. عبد الله درويش، بغداد ١٩٨٥م.

٣٥- اللسان العربي وقضايا العصر، د. عمار ساسي، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠١م

٣٦- اللغة العربية؛ معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

٣٧- اللغة نصوص مختارة، بنفست إميل، ترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، ط ٢، دار توبقال. الدار البيضاء، ١٩٩٨ م.

٣٨- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جنى: أبو الفتح عثمان، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط ٢، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٣٩- مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ط ٢، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١م.

٤٠- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢م.

٤١- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرحه: محمد أحمد جاد المولى وآخرين. ط ٣. المكتبة العصرية، بيروت،١٩٨٧م

٤٢- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة،ط١ ، ٢٠١٠م.

٤٣- مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نصنع المعجم الجديد، عبد الله العلايلي، المطبعة العصرية (د.ت).

٤٤- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٥م.

٤٥- المنصف لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، ابن جني: أبو الفتح عثمان، تحقيق. إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين. ط ١، البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٦٠م.

٤٦- موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، روبنز، ترجمة: د.أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت،١٩٩٧

٤٧- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري:. تحقيق: علي محمد الضباع. المطبعة التجارية الكبرى.